مَذَاقات فى عالم التصوُّف

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

رقم الإيداع ٩٩/٢٤٢٢

الترقيم الدولي I.S.B.N.
٩٧٧/٥٦٧٩/٢٧/٣

تطلب جميع مطبوعاتنا من :
دار البيان العربي ١٨ درب الأتراك - الأزهر - القاهرة ت : ٥١١٨٠٩٧

توزع جميع كتبنا في المملكة المغربية عن طريق :
دار الأمان للنشر والتوزيع - ٤ زنقة المأمونية - الرباط
هاتف : ٢٧٦-٧٢٣ (٧-٢٢١) فاكس : ٠٥٥-٢٠٠ (٧-٢١٢)

النهار للطبع والنشر والتوزيع

٧ ش الجمهورية عابدين ت : ٣٩١٣٦٨٨

مذاقات فى عالم التصوف

تأليف
الوزير الإنسان
د. حسن عباس زكى

تحقيق وتقديم
خديجة النبراوى

النهار للطبع والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهـــرس



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد السادات ، ومراد الإرادات «محمد » الحبيب المكرم بالكرامات ، والمؤيد بالنصر والسعادات ، السر الظاهر ، والنور الباهر، الجامع لجميع الحضرات ، صاحب لواء الحمد الذي هو مفتاح أقفال الأعطية الإلهيات .. وعلى آله وأصحابه ، الذين من اقتدي بهم اهتدى إلى الله ، وصار من أهل الهدايات .. صلاة وسلاماً لايبلغ حصر عددهما أهل الأرضين والسماوات ..

أما بعد

فهذا كتاب يحمل عنوان « **مذاقات فى عالم التصوف**» .. وهو أيضا ضمن سلسلة الكتب التى يصدرها العالم العارف بالله ، الولى التقى ، أستاذنا الفاضل الدكتور : حسن عباس زكى .. تحت عنوان «مشاهدات فى عالم الملك والملكوت» ..

وعالم التصوف : هو ذلك العالم الحقيقى الذى عاش فيه د. حسن عمره كله ، يستجلى أنوار الحق ، ويستطلع أسرار الخلق ، ويجد فيه ما يحقق تطلعات روحه نحو السمو والارتقاء ، ويشبع رغبات نفسه فى الطمأنينة والصفاء ، ويهب لقلبه ما ينشده من عشق الجمال الأبدى ، والنور السرمدى.

ومهما تكلمنا عن التصوف ، فلن نستطيع أن نحدد له أسساً راسخة ، ومعالم واضحة .. لأنه علم ذو طبيعة خاصة ، يتصل بعروج المؤمنين القلبى فى رحلة تشبه معراج الحبيب المصطفى ، ولكنها تختلف عنها فى أنها عروج بالروح فقط وليست بالروح والجسد ، كما تختلف في النتائج والمقدمات .. وإن كانت تتفق معها في أنها رحلة بالروح فى عالم الحقيقة ، العميق

الأغوار، المترامى الأطراف ، بلا حدود فى الزمان أو المكان ، حيث لابين ولا أين ، ولاجهة ولاقرار ، بل أنوار وأنوار .. ولذلك فإن تلك الرحلة ليست لها ملامح محددة . بل هى تتشعب بعدد أنفاس الخلائق ، فكل مؤمن له معراجه الروحى ، بما يتفق مع خصائصه النفسية ، والمواهب اللدنية التى وهبها الله له.. مما يجعل وضع مناهج ثابتة ، وأصول واضحة لسلوك طريق التصوف ، من الصعوبة بمكان .. وكل مايسع المتكلمين عن هذا البحر الخضم ، أو عالم النور ، أو المعراج الروحى .. هو أن يسجلوا مذاقاتهم الشخصية ، أو تجاربهم الذاتية .. لتتنسم الأرواح عبير تلك المجاهدات الزكية ، فتتشوق إلى الروضة الندية ، التى تفوح بأريج المحبة الإلهية .

ولذلك فعالمنا الفاضل د. حسن : عاش تجربته الذاتية في مجاهدته النفسية، ليحقق معراجه الروحى ، الذى فتحه النبى الأمين لأولياء أمته .. وقد استعان فى ذلك بتجارب من سبقوه على هذا الدرب المقدس ، ونفحاتهم المباركة ، وسعى سعياً حثيثاً ، لاقتطاف الثمرات من رياض الصالحين : سواء مجاهداتهم أو دعواتهم أو أنوارهم أو ما تلقوه من العلوم اللدنية ، من خزائن العلوم الاصطفائية ، عندما أنعم الله عليهم بالحضرة المحمدية .. والتزم كل آداب المريد مع شيخه ، ولم يترك باباً من أبواب الخير ، إلا طرقه ، ليستزيد من الأنوار التى تعمر قلبه ، وتقربه من ربه .. حتى فتح الله عليه ، وسار مع الأئمة المتقين ، الداعين بأنوارهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم إلى رب العالمين .

واعترافاً بفضل الله عليه : فهو يعرض لنا بعضاً من حصيلة خبراته ومذاقاته فى عالم التصوف ، لتكون زاداً لكل من يسلك هذا الطريق، ونوراً يشحذ عزيمتهم ، ويدفع همتهم ، وهدى يهتدى به الحائرون ، وقوتاً يتزود به السائرون . ونفحات يتنسم عبيرها المشتاقون ، وفيوضات تنزل على القلوب فتجلى كدوراتها وتضئ جنباتها بنور الحق المبين .

وهو إذ يعرض لنا تلك الحصيلة : فهو يعرضها من منطلق الحب في الله ، واسترشادا بمنهج المولى الكريم فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، لأنه يعرض التصوف بما يتناسب مع العقول ، وتشتاق إليه القلوب، حيث يجمع بين علوم الحقيقة وعلوم الشريعة .. وبين فيوضاته ، وفيوضات من سبقوه من علماء المسلمين المخلصين المؤمنين ، حتى ينعم القراء ببهجة الإشراق الروحى العالى ، والصفاء القلبى والنضج العقلى ، فى رحاب ذلك الفكر الصوفى المستنير.

ونحن بدورنا ندعو الله من أعماق قلوبنا ، أن يبارك لنا فى عمر أستاذنا ، وينفعنا بعلمه وبفيوضاته السنية ، وأن يجازيه عنا خير الجزاء ، على ما أسدى من جهود فى ساحة الإيمان والإخلاص والوفاء .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نعرض تلك الأبيات التى قالها فى الدكتور حسن أحد الشعراء(*) تعبيراً عما تكنه القلوب نحوه من حب وإجلال :

لـه فـى الـنـاس أنـوارُ	وبين الصحب إكبار
أخى فى الله منهجه	تسابيح وأذكار
صفا قلبا وعاطفة	وللصوفى أسرار
ويؤثر غيره برا	وشأن البر إيثار
أخى فى جهره (حسن)	ويُحمد منه إسرار
زكيٌ تاجه الحسنى	ويعلو رأسه الغار
تشف لأعين الصوفى	مساتير وأستار
وتصفو عند مورده	أعاصير وإكبار
وفيه كل جارحة	لها سمع وإبصار
همو قد حاربوا الصوفى	وهم والله قد جاروا
أليس بأرضهم كفر ؟	أليس هناك أشرار ؟
أليس بدورهم رقص؟	ومذياعٌ ومزمار

(*) ألقاها الأستاذ محمود جبر عميد شعراء العشيرة المحمدية فى قاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر الشريف .

والآن : يتوارى القلم خجلا تحت وطأة أنوار الصوفية الأخيار، ونفسح المجال لكلمات السادة الأبرار ، على مدى العصور والأزمان ، ينثرون علينا من فيض الرحمن ما تنشرح به الجنان ، وتحلق به الأرواح فى عالم الأنوار ، وتستعلى به النفوس على ظلمات المادية التى يتيه فى دروبها الإنسان .

وهكذا نأتى إلى ختام تلك المقدمة المتواضعة ، لنبدأ فى عرض مذاقات أستاذنا الفاضل ، العالم العارف بالله د. حسن عباس زكى عن التصوف ، حتى تكون علامات على الطريق ، ترشد السالكين . وتهدى الحائرين ، ليجتمع شمل المحبين على درب النبى الأمين .

صلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، وكل من اهتدى بهديه واتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين ، .



لمحة عرفان ووفاء

إذا تكلم عالمنا العارف بالله د. حسن عباس زكى عن التصوف ، فإن أول ما يتبادر إلى وجدانه ، ويجعل روحه تسمو في عليائها ، وتهفو إلي أغلى ذكرياتها ، هى ذكرى أشياخه أصحاب الفضل عليه فى إرشاده إلى طريق الحق ، وتسديد خطاه على مدارج الأنوار ، فهو قد جبل على الوفاء ، حيث حباه الله نصيبه الأوفى من مشكاة النبوة .. وهذا الوفاء يدفعه دوماً إلى الامتنان نحو من كانوا بالنسبة له مصابيح الهدى والرشاد ، إذا أحاطت به ظلمات النفس أو الهوى، وكانوا الأنيس والرفيق فى وحشة الطريق ، وكانوا الزاد والمعين على عثرات الطريق .

ومن هؤلاء الشيوخ الذين يدين لهم د، حسن بكل الحب والتبجيل والامتنان:

* **الشيخ عبدالفتاح القاضى** - رضى الله عنه وأرضاه - شيخ الطريقة الشاذلية بشبلنجة. قليوبية المنتقل إلى جوار ربه عام ١٩٦٤. وقد أحاط الشيخ القاضى - رحمه الله - عالمنا الفاضل د. حسن بكل الحب والرعاية، وأفاض عليه من أنواره وبركاته وفيوضاته ، ماكان له الأثر الكبير على معراج أستاذنا العارف بالله د. حسن .. ولذلك سيظل دوماً وأبداً ذلك الرباط النوراني يربط بين روحيهما مهما مرت السنون والأعوام لأنه رباط مقدس تم بفضل الحكيم الخبير .
* **الشيخ عبدالجليل قاسم** خليفة الشيخ القاضى بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى . وقد ظلت الصحبة والمحبة فى الله تربط بين قلب الشيخ عبدالجليل والدكتور حسن ما يقرب من أربعين عاما إلى أن قابل الشيخ عبدالجليل بارئه عام ١٩٩٨ حيث تسلم الشيخ جودة الخلافة .

وقد رثى عالمنا أشياخه - كلا منهما - فى كتاب صدر بعد انتقال كل منهما إلى الرفيق الأعلى.. وننقل ما كتبه بمداد قلبه وشفافية روحه فى رثاء أصحاب الفضل عليه.

أولا : الشيخ عبدالفتاح القاضى

كتب د. حسن فى كتاب « المنار الهادى فى خصائص شيخنا القاضى » ذلك التقديم البليغ الذى يدل على حبه العميق لشيخه المهيب فقال :

الحمد لله الذى توحد بالبقاء والأزلية ، وتفرد بالديمومية والسرمدية ، ومحق الكل بسلطان جلاله ، ومحا الآثار بسطوة جبروته ، وقهر المعلومات ، فأخفاها فى طى عمائه ، ثم منَّ عليها بنعمة الوجود فقامت به ، وتجلى عليها باسمه الظاهر فتنشقت روح الحياة منه ، ثم إذا شاء قبض إليه الظل ، وحكم بالفناء على الكل فما كان إلا هو ، وما بقى إلا هو «كان الله ولاشىء معه ، وهو الآن على ماعليه كان» .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، وهب الرحمة الكبرى للعالمين من نور ذاته ، وأفاء على الأكوان من ظلال آثار صفاته ، فبنوره اهتدى أحباؤه إليه فعرفوه ، وبسره سبحوه ووحدوه ، فما عرفه العارفون إلا به ، وماسبحوه ووحدوه إلا بسره ، حقا ما عرف الله إلا الله «وماقدروا الله حق قدره» «كنت كنزاً مخفياً ، فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق ، فبى عرفونى».

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، أول التعينات ، مجلى نور الذات، ومظهر الصفات ، من به قامت كل الكائنات ، رسول حضرته القدسية ، ومشرق شمس التجليات الإلهية ، عرش استواء الرحمانية ، ومهبط التنزلات العلوية ، إنسان عين الوجود ، والسر السارى فى كل موجود ، رسوله الدال عليه ، والمقدم لديه ، الداعى بلسان شريعته إليه .

صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، نجوم الهدى المتحققين بكل كمال ، رضوان الله تعالى عليهم ، وعلى أتباعهم أولى التقوى والإحسان، المحافظين على السنة ، والعاملين بالطريقة ، أهل الوفاء والصدق، وعيون الله من الخلق ، عمد الكون ، من بهم يكون الغوث والعون ، وبهم

تستمطر الرحمات ، وتعم البركات «كلما هممت بأهل الأرض عذاباً، نظرت إلى عبادى فيهم فأرفعه بهم عنهم» .

(وبعد) فيقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (يوسف : ١١١)

ويقول تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ (طه : ٩٩) .

فلما كان فى التأريخ تذكير بما فات ، وفي التعرف على سير رجال الله العبر والعظات ، كانت الحاجة ماسة لكل مريد طريق الحق ، ظامىء لشراب أهل الصدق ، طموح للوصول إلى حضرة الرب ، من وقفة على آثار مسلكى الطريق إلى الله ، والتعرف عما كانوا عليه ، ليترسم نهجهم ، ويخطو خطوهم، ويتأدب بآدابهم ، فيحظى بودهم وقربهم ، ويشرب من معينهم ، عندئذ تشرق شمس حقيقته من قلبه، فتسطع على أركانه ، فيهتدى بنوره إلى الحق ، وتلمع كواكب حسه ، فيعمل مخلصا لربه ، فيكون له قدم الصدق.

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة : ٥)

لذلك كله ، حاولنا جاهدين جمع شذرات ، وذكر إشارات ، والإلماع إلى ومضة من ضياء حياة شيخنا ومرشدنا ومربينا . فضيلة مولانا وسيدنا (الشيخ عبدالفتاح القاضى) رضوان الله تعالى عليه ، وسلامه الدائم إليه ، جزاء ماجاهد فى الله حق جهاده ، ووفاء لما أنفق من جهد ، وضحى من نفس ونفيس ، فى سبيل مولاه ، هادياً ومذكراً ، وداعياً ومرشداً ، إذ قد أنار الله به الطريق ، وأحيا بفيضه موات القلوب ، وجمع بهديه شتيت العباد ، وألف بحلمه بين الأفراد ، وطهر بسره دنس النفوس ، وكوّن بحكمته عصابة الحق فى عصره ، وربط بهمته جماعة الطريق برباط الحقيقة المتين ، الذى لاتنفصم عراه ، ولاتنحل أواصر عقده ، إذ كان هدفه (جزاه الله خيراً) رضا الحق ، وغايته الله ، فبقى الرباط ، ودامت العلاقة «ماكان لله دام واتصل ، وماكان لغيره انقطع وانفصل» .

سيدنا ومولانا : نستأذنك مستسمحين أن نشرف بساحة مكرماتك ، فنطوف حولها ، لعلنا ندرك منها القليل ، ونسألك متبركين أن ننزل بحرم حضرتك ، لنلتمس منه اليسير ، فنبرزه للملأ لمحة خاطفة عن أطوار حياتك ونهيىء للراغبين وقفة عاجلة مع بعض كمالاتك ، إذ إنّ سيرتك لاتفى بها المجلدات ، وتاريخك لاتجمعه المطولات ، وما حوته هذه العجالة عنك ليس إلا قطرة من فيض ماحوته مزن حياتك من خيرات ، أو زهرة من روض ما اشتملت عليه شمائلك من نفحات .. ولعلنا نلمع بهذا إلى قبس من سيرتك يهتدى بها المتطلع إلى سلوك طريق القوم فيتعرف على مسالكها ومعالمها . وليس هذا -سيدى - مبالغة فى التعبير أو مغالاة فى القول ، إنما هو عين الحق ومثال الصدق ، إذ ماكان يخطر على بالنا رحيلك ولانفكر فى انتقالك ، فكنا عن هذا كله غافلين ، بما عمنا من سابغ نعمك ، وما غمرنا من واسع كرمك ، وماتحركنا إلى كتابة ما فاض علينا من معارفك ، ولا تيقظنا إلى إلمام وجمع أسرارك ، اللهم إلا ذلك النذر اليسير والقدر القليل ، عندما كان يحفزنا إليه بعض زوارك وقصادك ، ممن لم ينعموا بمثل هذا الفيض من قبل . فإذا انقضى مجلسهم وتتابع فيضك علينا ، رجعنا إلى غفلتنا الأولى ، وتركنا الجمع والكتابة بانغمارنا في نعمك السابغة ، ووهمنا أنك لاتتركنا أبدا ، ولاتفارقنا قط ، فلا تنقضى عنا فيوضاتك ، ولايتحول عنا معين علومك ومعارفك .. وهكذا كل ذى نعمة لايفكر فى زوالها أبداً، ولايدرك قيمتها إلا بعد ذهابها.

ولذا قد هز - بحق - كياننا رحيلك ، وغشيتنا حيرة لاحد لها ، وأصابنا ذهول أفقدنا كل وعى وإدراك ، ثم تداركنا الله بلطفه ففاءت لنا أرواحنا ، ورجعت إلينا عقولنا ، وتلفتنا حولنا فوجدنا الفراغ بعدك كبيراً ، والواقع علينا أليماً ، فندمنا على ما فرطنا فى جمع علومك ومعارفك ، وأسفنا على تقصيرنا فى تدوين سيرتك ومآثرك ، وجمع غالى دررك ونفائسك ، (ولات ساعة مندم) .

سيدنا ومربينا : نحن نؤمن بأن شمس هدايتك وإن غربت عن عيوننا فهى مازالت تشرق فى قلوبنا ، وتنير بصائرنا ، وما انفك نور هدايتك عن نفوسنا، ومابرح سرك عن أفئدتنا ، فهو لايزال يهدينا ويمدنا .

وإننا جميعا - بحمد الله - نحس ونشعر بدفعك إيانا ، إلى الدنو من الله، والقرب منه ، والوصول إليه ، ولقد بدا أثر ذلك ملموسا فى تقدم الكثير من مريديك ، فى الطريق إلى الله بعد انتقالك ، ونيلهم المقامات والدرجات بعد رحيلك ، وقضاء حاجاتهم ، وتيسير أمورهم ، كل ذلك ببركتك ورعايتك لهم ، كما كنت أيام حياتك بينهم ، فهم يدركون ذلك يقينا ، ويحسونه عيانا، لاسيما عقب قصدهم ضريحك ، وتوجههم إليك ضارعين راجين .

وهذا هو شأن المربين الصادقين ، وورثة الرسول الكاملين ، إذ يتولون أولادهم بالتربية ، وهم فى برازخهم ، وبعد انتقالهم ، كما كانوا يتولونهم أيام حياتهم ومقامهم بينهم ، ماداموا لعهدهم راعين ، ولحرماتهم حافظين، ولطريق الحق سالكين .. وهذا فضل الله ، يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

ولا غرو فى ذلك يامولانا ، إذ مثالك - قدس الله سرك وطيب الحق ثراك- ممن لايقدر قدره من أمثالنا إنسان ، ولايحيط بوصفه ، أو يحصى مآثره فصيح اللسان ، ولايصور مكرماته ، أو يجمع مفاخره بليغ البيان ، فلا يعرف حقيقتك إلا من خلقك فسواك ، ولايدرك مدى كمالك إلا من اصطفاك واجتباك .. **ونهاية ما به إليك يشار ، وغاية المستطاع فيك أن يقال:-**

كنت - بحق - عمدة المحققين الموقنين ، وقدوة السالكين المرشدين ، وإمام الواصلين العارفين ، مربى المريدين ، وموجه العلماء الرسميين ، والآخذ بيد المتعثرين فى مزالق الطريق ، والناهض بأبنائك المريدين إلى المكانة العليا ، فقد أخرجتهم من ظلمات المعاصى وحجب الغفلات إلى نور الطاعات ،

وكشفت عنهم الرانات ، وأوصلتهم إلى منازل القرب والمكاشفات ومكنتهم من جنى ثمار التعرفات ، وأوقفتهم على كثير من المشاهدات .

كنت - مولانا - صاحب العلوم اللدنية ، والمواهب السنية ، مهبط الفيوضات العلية ، والنفحات الربانية ، قطب دائرة الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة ، غوث عصرك ، وفرد وقتك ، لك الباع الأطول ، فى المعارف الإلهية ، والمنازل القدسية ، صاحب القدم الراسخة فى الحكم المأثورة ، والعبارات الخالدة ، فقت رجال زمانك بعلمك وعرفانك ، وبرزت علماء الحقيقة فى عصرك بتفسير الإشارات المبهمة ، وحل الرموز المطلسمة ، ووضحت ماخفى من علوم القوم ، وأظهرت ما اندرس من معالم الطريق ، ونشرت طى ماغمض من عبارات الفحول ، وبسطت ما انعقد من المعقول والمنقول ، فملأت الأقطار بأعطار بركاتك ، وفتحت أبصار الأمصار بأسرار فتوحاتك ، حتى أصبحت نور حديقة الحقيقة ، نور حدقة هذه الطريقة ، تقصد بالرحلة من كل الجهات ، لأنك أعظم رجال النفحات والرشحات.

كنت ياشيخنا بحق فى العلم المكنون أعجوبة دهرك ، وفى التحقيق والسلوك حجة عصرك ، تفجرت من عيون قلبك غدران الحكمة ، وجرى من بين يديك أنهار العلوم ، وجداول المعرفة ، وأبرز سماتك نطقك عن كمالات الله تعالى وصفاته ، بما حارت فيه العقول والأفهام ، ودهشت لغريب شرحك وفريد فهمك عن الحق ، الأئمة الأعلام ، إذ كان يفاض عليك ، فنسمع منك من بديع القول ماتميزت به ، مما لم يسطر فى كتاب ، وندرك منك لمحات وإشارات ماسبقك بها أحد ، ولم تنشر فى صفحات ديوان ، فكنت حقاً عَلم علمٍ ما أرفعه! ومنهل فضل ما أنفعه !

حدثتنا عن الحضرات الإلهية حديث محقق متمكن ، نعمت روحه بجنى ثمار تلك الحضرات ، وكلمتنا عن المشاهد الربانية كلام من شاهد فأدرك ، وذاق فعرف ، فكنت فى عصرك أول كاشف للنقاب عن محاسن وجوه عرائس

الحضرات ، ورافعا للحجب والستور عن حجائل تلك المخدرات ، فكنت الكفء لمخدرات تلك الأسرار والمغيبات ، وفككت كل طلسم مغلق ، وحللت كل رمز معقد ، ففتحت تلك الكنوز ، وأمطت عنها اللثام ، وأوضحت بعبارتك إشارات القوم ، وفسرت غوامض معارفهم ، وأحكمت المتشابه من مقالات الرجال ، وأبنت حقيقة ما أرادوا ، ووضحت الحال التى كانوا عليها عندما قالوا ، ففهمت مقاصدهم ، وعرفت نواياهم ، وأنهم محقون فيما قالوا ، صادقون فيما أشاروا ، فنارت بك الطريق للسالكين ، وأوضحت بهديك معالمها ، فبانت مقاصدها للطالبين العاشقين .

كنت تذكر لنا عن الرسول ﷺ شمائله المحمدية ، وتحدثنا عن خصائصه العلية كأنك عاشرته ، وشافهته ، وناجيته ، وأدركت عنه الكثير من أسراره ومآثره ، والجليل من صفاته ، وعلمت العديد من تجليات الله عليه ، وماوهبه ربه من أعطيات ، وماحباه مولاه من علم وأنوار ونفحات فألمعت بذلك إلى كمال ميراثك المحمدى العظيم ، ووافر حظك من عطاء مربيك الكريم ، فكنت فى عصرك زهرة رياض الشمائل المحمدية ، وسدرة منتهى مايعرج إليه من المقامات الأحمدية .

فكنت بحق عين الله من خلقه ، ومحل نظره من عباده ، وموطن سره من أحبائه ، هيكلا صمدانيا ، ومثلا عليا ، رائدا إلى الله ، دالا عليه ، من الذين إذا رءوا ذكر الله .

سيدنا ومولانا : إننا نشهد حقا أنك كنت فى عصرك مثال المحققين ، الموقنين والصديقين المتمكنين ، فما رأينا زعازع رياح البسط ، حركت لك غصنا من أغصان شجرة نفسك الطيبة المطمئنة ، ولاصرفك عن القيام بمقتضيات الدعوة إلى الله سطوع بوارق الجلال ، التى طالما دكت كثيرا من الأطواد الشامخة من ذوى المعارف الباذخة ، فلم يلبثوا أن انقطعوا عن الإرشاد والإفادة ، فبحمد الله ما حركك بسط ، ولاغيَّرك قبض .

وهذا - بلا شك - شأن الرجال المخلصين ، والمتمكنين الراسخين ، والقادة العارفين ، والقدوة للعاملين ، فطابت بك الشريعة نفسا ، وقرت بك الحقيقة عينا ، لايرتاب من رآك ، وسمع منك ، وعرف عنك أنك المجدد لأمر هذه الأمة، والقائم على طريق الله بحق ، والداعى إليه بصدق ، فكنت للطريقة سيدا ، وللحقيقة مرشدا ، وللخليقة هاديا ، نالوا على يديك من البركات الإلهية والعلوم الربانية مانالوا ، فأحييت موات القلوب بالعرفان فى هذا الزمان ، ومحوت عن النفوس حجب الغفلات ، وأزلت عن الصدور غيم الأغيان والرانات ، فأضحت الحقائق بك سافرة للعيان ، فكم جبرت بكسر شهوات تلك النفوس أحوالها ، فاهتدت واستقامت . وأنَرْت القلوب بما نفثت فيها من العلم الموهوب ، فعرفت الحق ، وإليه سارت ، ثم به صارت ، وكم توجهت بسرك النافذ إلى قلوب مغلقة ففتحتها ، ونظرت بنظرتك الثاقبة إلى بصائر عمياء فأرشدتها ، ولاغرو فشيخنا المرسى رضى الله عنه ، كان يأتيه البدوى يبول على ساقه ، فما هي إلا نظرة واحدة منه ، وقد أوصله إلى ربه ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام : ٩٠)

ومع هذه الأسرار الباطنية ، والمواهب العرفانية والنفحات الربانية ، فلم تخل حياتك الظاهرة - ياسيدى - من الكرامات المادية ، والخوارق الحسية ، التى اجتذبت الكثير من عشاقها ، وأسرت العدد الوفير من محبيها وقصادها، فاتبعوا طريقتك ، ونهجوا سنتك ، وطاب لهم المقام فى حضرتك ، وأنسوا بجلستك ، فنالوا حظا وافرا من العلوم والمعارف على يديك ، ونهلوا من صافى موردك ، تشربت قلوبهم من فيض بحرك ، ماجعلهم للطريقة سالكين وبآداب الشرع عاملين ، وبحسن المعاملة بين الناس مشهورين .

كنت يامولاى البحر الزاخر : يمد الكل بصافي مورده . ويحبو الخواص بغالى درره ، وثمين جواهره ، بل كنت الظل الظليل ، المفىء على الكل بوافر فضله ، والروض العاطر النافح لمريديك ، كل على قدر استعداده ، وطاقة وسعه ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ (البقرة : ٦٠)

فجزاك الله عنا - سيدنا جميعا - وعن الشريعة فرائضها وسننها ، والطريقة آدابها ومقاصدها ، وعن الحقيقة علومها وأسرارها ومشاهدها خير الجزاء .

كما نسأله سبحانه أن يمنحك ويعطيك مثل أجور العاملين بالشرع ، والسالكين الطريق ، والعارفين للحقيقة أعلى المنازل ، ورفيع الدرجات ، وأسمى المقامات ، إنه سميع مجيب . ولاحرج على فضل الله يهبه من يشاء.

ولاعجب فإن غوث كل زمان ، يعطى مثل أجور جميع المسلمين فى عصره، من عرفه ، ومن لم يعرفه ، إذ مددهم منه وإن لم يشعروا ، وهذا عطاء الله يختص به من يشاء ، والله يرزق من يشاء بغير حساب .

وهكذا انتهت تلك المقدمة الرائعة ، والرثاء البليغ ، الذى نعى به عالمنا الفاضل د. حسن عباس زكى شيخه الجليل ، ذى المقام الرفيع الشيخ عبدالفتاح القاضى - رضى الله عنه وأرضاه - حيث عدَّد فيه بعضا من مآثره ومواهبه التى ينعم بها الله على أوليائه المتقين .. مما جعلنا نحلق معه فى أعلى عليين ، داعين الله مخلصين له الدين ، أن يجمعنا بعباده الصالحين ، مع النبى الأمين .. إنه بالإجابة جدير ، وعلي كل شىء قدير .

وننتقل بعد ذلك إلى ما كتبه د. حسن عن الشيخ عبدالجليل قاسم ، خليفة الشيخ القاضى علي طريق الحق المبين ، والذى ربطت المشيئة الإلهية بين قلوبهم بأقوى مشاعر الحب النورانية .



ثانياً : الشيخ عبدالجليل قاسم

كتب د. حسن في كتاب « الروضة الندية فى حياة فضيلة الشيخ عبدالجليل قاسم الصوفية » تلك المقدمة العاطرة التى تدل على عمق المحبة السامية فقال : الحمد لله الذى روى أولياءه من كوثر راحه ، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة ، وترقى بهم فى مدارج عزه ، ومنحهم من ينابيع علومه ، وقربهم إليه حتى أصبحوا به يعملون ، وبشرعه ينهجون ، ومن شراب رحيقه ينهلون، وهداهم به إليه ، وهدى بهم الخلق ، وأنار بهم قلوب المخلصين، وأوصلهم إلي حضرته ، التى من وصل لها نال سعادة الدنيا والآخرة ، ورأى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، ولاحول ولاقوة ولاحركة ولاسكون ولاوجود ولاشهود إلا به .. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، وباب السعادة لمن طرق بابه ، بالسير على سنته ، وتعلق بأحكامه ، وتخلق بأخلاقه ، وتحقق بأحواله ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين فازوا بمشاهدته ..

وبعد

فإن حب أولياء الله أمر لاريب فيه ، فإن الله جل شأنه آذن من عاداهم بحرب منه ، ومن أجلهم ساداتنا الصوفية الذين حازوا قصب السبق ، ومقامات الأنس به ، وتشرفوا بما أسبغ عليهم من النعم والمعارف والمشاهد بطرقهم المتعددة ، التى هى بعدد أنفاس الخلائق ، وهى فى ذاتها وحقيقتها واحدة، وإن اختلفت سبلها ، فكلها بإذن الله موصلة إلى الحق جل وعلا ، ومن سار على الدرب وصل ، ومن تمسك بها نجا .

ومن أجل هذه الطرق : الطريقة الشاذلية ، التى ينتسب إليها شيخنا الجليل الشيخ عبدالفتاح القاضى ، ثم الشيخ عبدالجليل قاسم من بعده . والذى كان لى شرف التعرف عليهما ، والانتساب إليهما ، والحظوة بكثرة التردد إليهما فى أواخر الخمسينات، ولمست فيهما شرف الرجال وعلو المقام ،

واستمتعت بمشاهد حقية ، ومعارف نورانية ، وكلام حديث العهد بالله ، ووصايا ونصائح للدلالة على الطريق الصحيح ، الذى اساسه القرآن الكريم والسنة الشريفة ، والتأسى والاقتداء والعمل بما جاء على لسان أشرف خلق الله ، والتأسى بأحواله ، والسير على منهاجه ..

وكان الشيخ عبدالجليل يتعبد الزمان الكثير ، بالرغم مما كان يشكو منه أحيانا من آلام . ولكن حين يحين وقت الصلاة أو قيام الليل ، يقوم وكأنه ليس به شيء .. رسائله كلها بدائع فى علوم المكاشفات ، وغرائب المشاهدات والتجليات والواردات ، وخاصة فى تفسير القرآن الكريم ، الذى برع فيه، وأتى بتأويلات لم أسمع ولم أقرأ مثلها ، إذ هى واردات فياضة ، اشتملت على معانى دقيقة ، يعترف له قارئها بعلو المقام ..

وكنت أشفق عليه من كثرة تردد الناس، الذين يفدون إليه بلا موعد ، سواء فى المسجد أو فى منزله ، فى أوقات مناسبة وغير مناسبة ، فيلقاهم ، ويعمل على نصحهم أو حل مشاكلهم ، أو الرد على أسئلتهم الشرعية ، أو طلبا للنصحية فيما يواجهونه من مشاكل نفسية أو مادية أو دينية .

وكان يتسم بصدق العبودية ، يغلب عليه من كلامه التدقيق والتحقيق والسير على المنهاج الشرعى القويم .. أما أحواله مع الله فقد اتصفت بمقام البقاء والجمال والكمال ، وجمع الجمع على غاية الكمال ، فهو لايحجبه الخلق عن الحق ، ولا الجمع عن الفرق .. فكان فى ذلك المشهد شاذليا أصيلا عميقا.. وإنى أشهد فى البضع والثلاثين سنة التى عاشرته فيها : أنى لم أسمع منه شطحة أو حتى كلمة واحدة عن الحقائق ، تخرج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .. وكل ما كتب ونقل عنه من واردات ، وهى تزيد عن عشرات الكراريس تدل على ذلك ، وقد غلب على قلبه التوحيد الحق ، علما وخلقا وسلوكا وحالا ، لايكترث بالدنيا مقبلة أو معرضة .. وهو شيخ عالم جامع بعلوم الشرع وبحقائق الطريق ، جامع للحكمة الإسلامية الصحيحة .. وكنت

كلما أطلب منه أن يكتب عن بعض العلوم الطبيعية كالطب أو غيره ، فكان يسمع منى ثم يطرق قليلا وكأنه لايكترث بذلك ، ثم إذا به فى اليوم التالى يطلعنى على ما كتب فى عدة أوراق ، وكأنه درس بتعمق مدارك هذا العلم .. والله على ما أقول شهيد ..

يقولون : إن من علامات الشيخ أربعة :

أولا : أن يكون عالما قادرا على كشف شبهات مريده .

ثانياً : أن يكون معرضا عن حب الدنيا ، وناهيا نفسه عن الهوى .

ثالثاً : أن يكون زاهدا عفيفا عما فى أيدى الناس والمريدين.

رابعاً : أن تكون جميع أقواله وأفعاله وأحواله موافقة لمقتضى الشريعة، مقتفيا أثر النبى ﷺ شريعة ، ومتحققا بحقائق أهل الحق .

والله يشهد أن شيخنا الشيخ عبدالجليل قاسم تنطبق عليه هذه الأوصاف ويتجاوزها ، بما ينم على نبل أخلاقه .

والمطلع على هذا الكتاب المسمى بالروضة النَّدية من النَّد، وهو أجود أنواع الطيب ، يشعر حقا أن ما فى الكتاب تشم منه عبيق التصوف الخالص ، وعبير معارف أهل الطريق . ومن قرأه يلمس ويشعر أنه إزاء علم كبير ، ونجم لامع، وروح كلية عالية ، تطوى فى ذاتها موجة عارمة من الإيمان العميق ، والتوحيد الخالص ، والعلم الشامخ ، والعطاء الجزيل ، فى علوم الشريعة والطريقة والحقيقة ، ومنهل لاينقطع من الواردات الغزيرة ، وإن ماورد بهذا الكتاب ماهو إلا مثال أو نبذة تسمح بها الظروف ، وتطيق حملها النفوس الزكية والبصرية الثاقبة التى تتلقي فقه القلب ، الذى لايتعلق العلم العادى به تعلق القطع ، لأنها نور يقذف فى القلب ، يستدل به العقل على جوانب الحقيقة ، على قدر ما قدّر له .

وشيخنا الشيخ عبدالجليل لطيف العشرة ، غاية فى اللطف والحنان ، بعيد عن الاستعلاء بأفكاره على الغير ، وإنما يعظ وينصح ويقول الحق ، ويفتى بما

يرضى الله ، ويكرر النصيحة ، ثم يترك السامع أن يأخذ مايراه ، بلا فرض رأى بعنوة ، وبلا ترك الحبل على الغارب ، وبلا ترغيب وترهيب .. وهو لم يكترث قط بالحظوظ الدنيوية ، ولم يلق لها بالا آخذاً بالأسباب ، راضيا بما قسم له ، وكان دائم النصح بحفظ عهد الحق على الخلق ، والتطهر من لوثة الوهم ، والشهوة التى تحجب العبد عن الله ، وحظ الدنيا الذى يتعقب القلب ويكون هما له .. فكان يأمر مريديه دائما بأن لايحبُّوا إلا الله ، وأن يخلصوا نيتهم فى كل حركة وسكنة لله جل شأنه ، وأن يكون الفرق على لسانهم ، والجمع فى قلوبهم ، ويسلموا الأقدار لله ، راضين بما يحدث لهم ، وكان يحذرهم دائما من الشرك الخفى الذى حذرنا منه رسول الله ﷺ ، وهو الرياء ، لأن من كان الحق مشهوده فى قلبه عبادة وحقيقة ، فلا يرى سواه ليرائيه ..

فلا ضار ولانافع ولارازق ولاشافي إلا الله سبحانه وتعالى ، ولامعز ولا مذل إلا إياه ، وهذه هى عزة المسلم ..

ويقول إن الله رب القلوب ، فهو لاينظر إلى صورنا ، ولكن إلى قلوبنا ، فكل ما يعمله العبد وهو غافل فهو ساقط عنه ، فأوامر الله ونواهيه موجهة للقلوب ، لأنها هى الواعية السامعة ، فكل عمل يقوم به الإنسان بيديه وقلبه عنه غافل لم يحسب له ، ومن هنا ينادى دائما بأن يكون العبد مع ربه مراقباً نفسه .

وكانت هذه الحقائق تدور على لسانه دائماً بصور مختلفة لكى يؤكد مفهومها ، وكنت ألمس منه تحققه بكل مايقول ، فنعم الشيخ هو ، فهو يعمل بما يقول فعلا وحالا حتى يكون مثلا يحتذى به ، وقدوة وأسوة لمريديه ، ومركز إشعاع لمن حوله ، من هنا كنت ألمس معنى أن الشيخ يربى مريديه بالنظرة ، لأن تواجد المريد مع شيخه ، وتتبعه لأحواله وانقياده لأوامره ، يخلق ما يشبه تحويل الحديد إلى مغناطيس ، فتترتب جزيئاته متأثرا بالمغناطيس الذى يحاذيه، وما يلبث أن يصبح صورة طبق الأصل له ، ثم يضعف ببعده عنه

ويقوى بقربه منه إلى أن يصل إلى درجة «ها أنت وربك» وحينئذ يحوز السعادة التى مابعدها سعادة ، ويصل إلى المعارج التى لاتقف عند حد .

وكان ينصح الإخوان بأن يحب بعضهم البعض ، ويتعاونوا ويعتبر كل واحد منهم مسئولا عن الكل ، وهى الأخوة الإسلامية الحقيقية ..

وكان يربى فيهم أن يتبصروا بأن دوام النعمة لاتتم ، إلا إذا نسبها العبد إلى ربه ، وشكره عليها بوضعها فى محلها اللائق بها ، وتحقيق ذاتيتها بأن يعطى منها ويحسن ، ويقول : إن المحسن هو الله المعطى ، وكان ينصح دائما بالبعد عن المعارضين لله ، وعن ممارسة ما يضر بوحدة الأمة ، ويكتفى بالنصح وتكرار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واحترام الحكام والرؤساء بما يرضى الله ، وينهى عن الفتنة وشق عصا الطاعة ، والسير بالنميمة والشائعات ، ويأمر دائما بما يلم الشمل ويدعو إلى التعاون والإخاء .

وكان غزير العلم فى الحقائق وشرحها للإخوان بأسلوب سهل ممتنع ، لا عوج فيه ولاشطط ولافلسفات ولاشطحات ، جامعا بين علم الظاهر وعلم الباطن، والكل موجود فى الوجود الإنسانى الذى هو أجمع الحقائق كلها ، فالعقل يقود علم الظاهر ، والقلب يقود علم الباطن ، ويشع على العقل بنور الشرع والحقيقة واحدة ، ولكن التجليات متنوعة ، والله تعالى يتجلى للمرء من وراء وصف الإمكان على صورة شىء ، باعتبار الصفة الغالبة عليه حين الرؤية ، ولاخارج عن وجوده ، ولذلك يقولون : (من عرف نفسه عرف ربه) ، ولاتفاوت بين المعرفتين إلا أن البعض يعرف نفسه ثم يعرف ربه ، والبعض يعرف ربه ثم يعرف نفسه ، والناظر بعين الفرق يرى التعدد والاختلاف ، والناظر بعين الجمع يرى الوحدة .

وكان ينصح مريديه بألا يشتغلوا إلا بما كلفهم به على حسب الوقت والحال وليس للمريد أن يشتغل بكل ما أراد من أسماء وذكر وقرآن وصلاة على الرسول ﷺ ، لأن الطريق طريق اتباع واستسلام ، لا استعباد أو العمل بالعقل

غافلا عن نصح الشيخ ، ولا أفهم الاعتراض على هذه المسيرة من بعض الناس مع أننا نتبعها مع المدرس ، وفى أكلنا وشربنا واتباع ما يصفه لنا الطبيب ، أليس طبيب القلوب وحكيم الأرواح أولى بالاتباع من أمور المادة والهوى والطبع ؟

وقد أمرنا الحق بذلك بقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (الجاثية : ٢٣) فعلى المريد أن يفتح عينْ بصره وبصيرته ، ليكون من المشاهدين لآيات الحق فى الأنفس والآفاق كما قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت ٥٣) .

وكان ينصح مريديه بعدم إهمال الأوراد والاستمرار عليها مهما قلت ، حتى يكون للمريد نسبة منها وتعلق بها ، فكان يقول لنا : من لاورد له لاوارد يأتيه.. وينصح دائما بالتمسك بالاشتغال بالأوراد فى أوقاتها .

وكان يوصى دائما بالاشتغال بالذكر ، والتوجه إلى الحضرة العليا ، عند اشتغال الناس الناسين ، بمعاشاتهم وشهوات الدنيا ، وخاصة قبل الفجر ، والمواظبة على ذلك ، فإنها من أعظم أسباب الفتح والظفر بالنجاح ، وكان يوصى بصلاة التهجد ، ففيها تنوير للقلب بالاشتغال بالصلاة وذكر الله ، مع أن فيهما أيضا إعطاء حق البدن من الصحة والعافية .

وقد كان حريصا على التربية بالكيف لا بالكم ، وبالمدد لا بالعدد ، ونحمد الله على ما وصل إليه من إعداد المريدين الصالحين ، للقيام بهذه المهمة الجليلة النافعة للدنيا والآخرة ، ووفق الله القائمين عليها إلى سلوك طريق الخير والفلاح .. وأيدهم بروح من عنده ..

والله أسأل أن يوفق الجميع لتحقيق الرسالة النبوية الشريفة وأداء الأمانة.. رعاهم الله وسدد خطاهم وإلى طريق الخير هداهم .

حسن عباس زكى



أضواء على التصوف

من هم الصوفية ؟

ليس كل من ادَّعى التصوف ، يعتبر متصوفا ، بل هم رجال لهم دلائل وعلامات يعرفها أولو البصائر .. إنهم صفوة عباد الله ، الذين ألبس قلوبهم ملابس العرفان ، وخصهم من بين عباده بخصائص الإحسان ، واستعدت قلوبهم لورود الأنوار العلوية .. لاتزال فى كل عصر منهم طائفة ، قائمون بالحق ، مُنحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة ، وجُعلوا للمتقين قدوة ، من اقتدى بهم اهتدى ، ومن أنكرهم ضل واعتدى .

فضَّلهم الله على الكافة من عباده ، بعد رسله وأنبيائه ، فهم الغياث للخلق والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق ، صفاهم من أكدار البشرية، ورقاهم إلى محل المشاهدات ، بما تجلى لهم من حقائق الأحدية ، وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية ، حتى سُمُّوا بحق «الصوفية» .. فالتصوف الحق هو الإنسانية المتسامية .

والمراد بالصوفى : كل مقرب من حضرة الله ورسوله ، حيث استضاءت قلوبهم بالأنوار الإلهية ، وانشرحت صدورهم بالحقيقة المحمدية .

فهم قوم علموا وعملوا ، فتزكت نفوسهم ، وانجلت مرائى قلوبهم ، بما حفلت به من التقوى ، فاتضحت لهم صور الأشياء على حقيقتها ، فبانت لهم الدنيا بقبحها فرفضوها ، وظهرت لهم الآخرة بحسنها ، فطلبوها .. ودعوا إلى الله بقوله عزَّ وجل : ﴿**قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى**﴾ (يوسف ٨) .

قال الشيخ أبوالعباس المرسى (رضى الله عنه) ، فى تفسير على بصيرة : أى على معاينة . ومعنى ذلك : أنه يعاين سبيل كل واحد من الأتباع فيحمله

عليها .. ودليله فى ذلك اختلاف وصاياه عليه السلام لأصحابه ، على حسب اختلاف سبلهم .

فالحمد لله الذى أورد أولياءه موارد الكرامات ، وجعلهم لوراثة الأسرار المقتبسة من أنوار النبوة المحمدية أهلا ، واختصهم بمزيد عنايته .. فهم دائبون تشوقا إليه ، دائبون على ما يقربهم زلفى لديه .. هجروا من أجله المضاجع ، فلا يعرفون إلى سواه سبيلا .. جعلهم الله نجوما يهتدى بها السائرون إليه ، فهم حملة الأمانة ، ورسل السلام ، العاملون بشريعته ، الحافظون لحدود الله.

وصدق رسول الله ﷺ حينما قال : «العلماء ورثة الأنبياء» . وقال أيضا : «إن الدنيا ملعونة ، ملعون مافيها ، إلا ذكر الله وماوالاه ، وعالما أو متعلما» .

والعلم الذى يتكلم عنه الله ورسوله : هو العلم النافع الذى تكتنفه الخشية، وتكون معه الإنابة .. وهذا هو مراد الصوفية دوما ، وهدفهم الأسمى، حيث يسعون إلى جوهر العلوم ، وليس إلى حروفها وحدودها ، فهم الذين قال الله عنهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ (الأحقاف ١٣) .

التصوف أشرف العلوم :

يعتبر التصوف من أشرف العلوم وأعلاها قدرا ، لأنه العلم الذى يختص بمجاهدة النفوس وصفاتها ، وتجلية القلوب ومعراجها ، ورقى الأرواح وسموها. لذلك فهو علم فقه المعرفة . سُئل الجنيد عن التصوف فقال : هو أن يميتك الحق عنك ، ويحييك به .. وهو ذكر مع اجتماع ، ووجد مع استماع ، وعمل مع اتباع .

ومجمل القول : إن الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية ، لايزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار ، بتصفية القلب عن شوب النفس .. ويعينه على

هذه التصفية ، دوام افتقاره إلى مولاه . فبدوام الافتقار ، يتفطن للكدر . وكلما تحركت النفس ، وظهرت بصفة من صفاتها ، أدركها ببصيرته النافذة ، وفرَّ منها إلى ربه . فبدوام تصفية جمعيته هو قائم بربه على قلبه ، وقائم بقلبه على نفسه ، فهو مع الحق بلا خلق ، ومع الخلق بلا نفس ، اتباعا لقول الحق جلَّ شأنه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ (المائدة ٨)

فهذه القوامية لله على النفس : هي التحقق بالتصوف .

وتظل روح الصوفى منجذبة إلى الحضرة الإلهية ، متطلعة إلى مواطن القرب ، ولابد للصوفي من دوام الحركة ، بدوام الافتقار ، ودوام القرار ، لمجاهدة نزعات النفس ، التى تميل بطبعها إلى الرسوب إلى عالمها ، والانقلاب على عقبها ..

فالصوفية تواجههم فى طريقهم إلى الله مدارك ، من عوالم لايدرك كنهها إلا الله سبحانه وتعالى ، تحتاج مجاهدات مستمرة :

فعالم النفس ، وعالم البشرية ، وعالم الطبع : مهاو ودركات لعالم العقل.. كما أن عالم القلب ، وعالم الروح ، وعالم السر : معارج ودرجات لعالم الفضل .

فعالم القلوب : معارج أهل البداية .. وعالم الروح : معارج أهل التوسط والكفاية .. وعالم السر : معارج أهل الوصول والنهاية .

ويمكن القول أيضا : إن عالم القلوب : معارج التوابين .. وعالم الروح : معارج المحبين .. وعالم السر : معارج العارفين .

فإذا لم ترق من طبعك وبشريتك ونفسك ، لاتصل إلى عالمهم .. فإذا ترقيت من ذكر صح منه طبعك وبشريتك ونفسك : يستقبلك تصرف الحق فيك (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبه كيف يشاء) .. فتارة يقلبه من قبض إلى بسط ، ومن خوف إلى رجاء ، ومن بقاء إلى فناء .. وتارة بعكس هذه الأحوال ، فهو أبدا بين قبض وبسط ، وخوف ورجاء .

فإذا وصلت إلى عالم الروح : برز لك نعت القدم .. وإذا وصلت إلى عالم السر : كوشفت بأسرار الغيب ، ثم تأتيك ألطاف القدرة ، بمالا عين رأت ، ولا أذن سمعت . فتسمع بغير أذن ، وتبصر بغير عين ، ويصير الغيب عندك عينا ، والخبر معاينة ، فحينئذ يجذبك عنك ويسلبك منك ، فتقع فى القبضة ، ويوصلك إلى أعلى مراتب التوحيد والمعرفة .. وطريقك فى كل ذلك : ذكر الله .. فإذا قلت «لا إله إلا الله» ومسكنها منك اللسان ولاثمرة لها فى قلبك ولافعلك : فأنت منافق .. وإن كان مسكنها منك القلب ، فأنت مؤمن.. وإن كان مسكنها منك الروح : فأنت محب .. وإن كان مسكنها منك السر : فأنت مكاشف .

الصوفى والحياة :

الصوفى يضع الأشياء مواضعها ، ويدير الأوقات والأحوال كلها بالعلم .. يقيم الخلق مقامهم ، ويقيم أمر الخلق مقامه .. ويستر ما ينبغى أن يستر ، ويظهر ما ينبغى أن يظهر ، ويأتى بالأمور في مواضعها ، بحضور عقل ، وصحة توحيد ، وكمال معرفة ، ورعاية صدق وإخلاص .

والصوفية لما صفت أسرارهم ، تشكلت فى سرائرهم مخاطبات ، موافقة للكتاب والسنة . نزلت لهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ، ويكون ذلك مناجاة لهم ، فيثبتون لأنفسهم العبودية ، ولمولاهم الربوبية .. كما أن لهم أحوالا ومقامات : الأحوال متحولة ، والمقامات ثابتة ، فينبعث من باطن العبد مثلا داعية المحاسبة ، ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ، ثم تعود ، ثم تزول .. فلا يزال للعبد حال المحاسبة ، حتى يتعاهده الحال ، ثم يحول الحال بظهور صفات النفس .. إلى أن تتداركه المعونة من الله تعالى ، ويغلب حال المحاسبة ، وتنقهر النفس وتنضبط ، وتتملكها المحاسبة . فتكون المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه ، ويصير فى مقام المحاسبة .. وهكذا فى المراقبة ، ثم فى المشاهدة .. ويظل يترقى من مقام إلى مقام ، وينقلب من حال إلى حال.

والأحوال مواهب تنزل بالعبد ، غير مقدورة له بكسبه .. ولذلك يقولون : «إن المقامات مكاسب ، والأحوال مواهب» .. إلا أن المكاسب محفوفة أيضا بالموهبة ، والمواهب محفوفة بالكسب ، ولذلك فهى كلها مواهب ، إلا أنه فى المقامات : ظهر الكسب ، وبطنت الموهبة ، وفى الأحوال : بطن الكسب ، وظهرت الموهبة .

البداية والمسافة والنهاية :

إن السفر لابدله من ثلاثة أمور : بداية ومسافة ونهاية . والمسافر لابد له فى الطريق من قوت . ومن قوة ، ليمكن له من قطع المسافة .. والقوت : هو الذى نسميه زادا ، والقوة : نسميها سلاحا .

الشريعة أشارت إلى القوت وإلى القوة للسالك .. والطريقة أشارت إلى المسافة ..والحقيقة أشارت إلى المقصد من السفر .. ولذلك فالصوفى يجمع بين الشريعة والحقيقة .

الشريعة : أمر بالتزام العبودية .. والحقيقة : مشاهدة الربوبية .

الشريعة : أشارت إلى تكليف الخلق .. والحقيقة : أشارت إلى تصريف الحق.

الشريعة : أن تعبده .. والحقيقة : أن تشهده .

الشريعة : كالسفينة .. والطريقة كالبحر .. والحقيقة : كالدر .

فمن أراد الدر : يركب السفينة ، ويقطع مسافة البحر ، ليصل إلى الله .. ومن ترك هذا الترتيب ، فلن يصل إلى الله أبدا .

والمراد بالشريعة : ما أمر الله به ، ورسوله ﷺ : من الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة ، وترك الحرام ، إلى غير ذلك من الأوامر والنواهى .

والمراد بالطريقة : الأخذ بالتقوى ، ومايقربك إلى المولى ، من قطع المنازل والمقامات .

والمراد بالحقيقة : هي الوصول إلى المقصد ، ومشاهدة نور التجلى.. كما قيل فى الصلاة : إن الصلاة خدمة وقربة ووصلة .

فالصلاة شريعة : من حيث أنها خدمة .. وطريقة : من حيث أنها قربة .. وحقيقة : من حيث أنها وصلة .. فهى جامعة لهذه الأمور الثلاثة .

ومجمل القول : إن الشريعة هى الأقوال - والطريقة هى الأفعال - والحقيقة هى الأحوال . وإن شئت قلت : إن الشريعة هى القشر - والطريقة هى اللب - والحقيقة هى لب اللب . فإذا أردتم سلوك طريق الصوفية :

فاعلموا أن الأنفاس ظروف ورسل ، حاملة إلى العبد من الله ، ما أودع فيها من أسرار قَدَره ، وأصناف عبره .. والرسول راجع إلى مُرسْله : إما مكرما شاكرا لمن نزل به ، إذا أكرمه واحترمه - وإما غير شاكر إذا لم يكرمه.. وكرامة الأنفاس : باستعمالها فيما خلقت له ، واحترامها : بصيانتها عن استعمالها فى قاذورات المعاصى والشهوات .. فالواجب على العبد ، إن تجلى الله عليه بالنعم : أن يقابلها بالشكر - وإن تجلى عليه بالطاعة : أن يقابلها بشهود المنة والفضل - وإن كانت البلية : فعليه الصبر- وإن كانت المعصية : فعليه التوبة والاستغفار .

وبذلك يبقى ذلك النفس حيا فى خزانة عند الله تعالى ، فى صورة نورانية، ثم يعيده الله إلى العبد يوم القيامة شاكرا ، ولفضله ذاكرا ، ويكون له من جملة الشفعاء عند الله تعالى .. فلا يهمل الأنفاس إلا الغافلون .

فإذا لم تكرم الأنفاس ، وقتلتها بالغفلة ، واستعملتها في غير ما يحمد ، ترجع إلى الله وهى لك ذامة ، وتعود عليك يوم القيامة حية أو عقربا أو نارا أو ظلمة .. وللإنسان فى اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس (أو نحوها).. فماذا ترى فى حال من أضاع فى يوم وليلة : أربعا وعشرين ألف جوهرة؟

فلا يقوم بحق الأنفاس إلا الأقطاب ، الذين كشف الله لهم عن مراد الحق فيهم ..وبهذا المقام رجح أبوبكر ، لاستغراقه فى الله فى كل نفس .

فراقب الله فى كل أوقاتك ، ولاتشتغل بما يورده على قلبك من ظلمة أو نور ، فإنها قاطعة لك .. وسبب هذه الأغيار غالبا : مايرد عليك من أكدار الدنيا ، وذلك أمر لابد منه ، فلا تيأس ، ولاتستسلم للوسواس .. ولايزيل عنك الأغيار ، إلا موالاة الأذكار ، وصافى الأفكار .

فاللهم صف أسرارنا ، ونور قلوبنا ، ودلها عليك ، وقربها منك يا الله .

مرجع التكاليف :

ترجع التكاليف كلها إلى :

(١) أحكام تتعلق بالأعمال الظاهرة : وهى أحكام العبادات والعادات .

(٢) وأحكام تتعلق بالأعمال الباطنة : وهى الإيمان وما يحدث فى القلب من صفات .

ولاشك أن أعمال الباطن مبدأ لأعمال الظاهر ، وأعمال الظاهر آثار لأعمال الباطن ، لقول الرسول ﷺ : (ألا وإن فى الجسد لمضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب).

ويقول ابن خلدون فى هذا المجال : لقد خلق الله سبحانه وتعالى فى القلب غرائز وقوى ، كل منها يطلب مقتضى طبعه الذى خلق له ، وجعل كماله وغايته فى تحصيله ، كغريزة العقل ، وغريزة الشهوة ، وغريزة الغضب وغيرها.. وليس كل مايظن القلب من هذه الغرائز أنه كمال له ولذة .. فهو كمال له ولذة ، باعتبار الأجل وحياته الدائمة ، التى أخذ الشارع بحال سعادته فيها أو شقاوته . فإنه إنما أدرك اللذة فى هذه الغرائز ، باعتبار عاجله وحاضره .. ولاطريق إلى معرفة مافيه السعادة ، باعتبار الآخرة من الأعمال الباطنة كلها ، بل والظاهرة أيضا إلا بالشرع ، حيث اهتم القرآن الكريم بالسمو بغرائز الإنسان ، وقد بين الرسول ﷺ المحمود منها والمذموم ، وميز

الخبيث من الطيب ، ونبه على أن شأن الأعمال الباطنة أهم ، لأن الباطن أصل الاستقامة ، ومنبع الصلاح والفساد ، لجميع الأعمال .

وسر ذلك : أن المطلوب من استقامة الجوارح ، إنما هو حصول آثار الاستقامة فى النفس ، ثم يتوالى أثر ذلك على الجوارح ، مرة بعد أخرى ، حتى تتمكن منها الهداية ، وتصدر عنها الاستقامة فى جميع أعمالها ، فى غير تكلف .. وأساس كل ذلك التقوى ، وهى اجتناب كل ماتخاف منه ضررا فى دينك .. فاجعل همتك أن تحفظ قلبك عن الميل إلى غير الله تعالى ، وبطنك عن الفضول ، ولسانك عن اللغو ، وعينك عن النظر إلى ما لا يعنيك.

والتقوى نوعان : تقوى فرض ، كالنهى عن المعاصى - وتقوى زجر وأدب: وهو مانهى عنه تأديبا ، وهو فضول الحلال ، كالمباحات المأخوذة بالشهوات .. فمن جمع بين الاثنين كان ورعا .

وإليكم تفصيلا لما يجب مراعاته لتقوى الأعضاء الخمسة :

(١) **فالعين** : مراعاتها أن تعلم أن مدار أمور الدنيا والدين على القلب . وخطأ القلب وفساده فى الأكثر من العين .. فهى سبب كل فتنة وآفة . فاترك النظر ، وكف البصر . لأن المرء إذا نظر إلى ما لايعنيه ، فلا يخلو من أن تقع عينه على حرام . وربما تعلق قلبه ، فيأتيه الوسواس والخواطر بسبب ذلك .. فإن غض بصره ، كان تقى الصدر ، فارغ البال.

(٢) **والأذن** : عليك بصيانتها عن الفضول : فالمستمع شريك المتكلم ، والكلام الذى يقع فى القلب ، كالطعام الذى يقع فى الجوف .. فمنه ضار ، ومنه نافع ، ومنه غذاء ، ومنه سم ، وإن كان الطعام يزول عن المعدة ، إلا أن الكلام الذى يقع فى القلب ، ويجرى به اللسان ، يبقي معه جميع عمره.

(٣) **واللسان** : اعلم أن فيه ربحك وغنيمتك ، وثمرة تعبك . واللسان إذا استقام ، استقامت بقية الأعضاء . ومن لم يصن لسانه ، وقع فى غيبة الناس. ولذلك : فإن فساد الطاعة والعبادة ، قد يكون فى الأكثر فى اللسان، إذا تصنع أو تزين ، أو اغتاب أو كذب .

(٤) **والبطن** : مراعاته أن تحفظه وتصونه عن المحرمات والشبهات ، وأن تعلم أن كثرة الأكل ، تقسى القلب ، وتذهب نوره ، وتؤدى إلى فساد الأعضاء ، وقلة الفهم والمعرفة ، وقلة العبادة ، لثقل البدن وفترة أعضائه ، وفقدان حلاوة العبادة .

(٥) **والقلب** : هو الأصل الجامع لجميع الأعضاء . وإذا رأيت عضوا فاسدا، فاعلم أن سبب ذلك خلل القلب ، فينبغى إصلاحه ، وأمره دقيق ، لأنه مبنى على الخواطر . فعليك بحفظ القلب وصلاحه ، وحسن النظر فى ذلك . واعلم أن الله عزّ وجلّ لاينظر إلى صورنا ، وإنما ينظر إلى قلوبنا ونياتنا. فالقلب موضع نظر رب العالمين .. فكيف تهتم بموضع نظر الخلق، وتهمل موضع نظر رب العالمين؟!

وعلامة حياة القلب : إشراق نور العقل ، فينشرح الصدر ، وتخمد النفس، وتنقمع الشهوات الباطنة والظاهرة.

وعلامة موت القلب : أن لايخشع ولايلين ، ولايألف ولايرحم ، وصاحبه ردىء النفس ، وليس له استئناس بالباطن ، ويكره الوحدة ، ويحب القيل والقال.

وآفات القلب كثيرة ، أهمها : الأمل والحسد والاستعجال والكبر .. ولكل منها شرح يطول ذكره .. وتحرر القلب من تلك الآفات ، يتوقف على مدى مجاهدة الإنسان نفسه ، وقربه من ربه .

نظرة المتصوفة إلى الواردات :

تكلم كثير من المتصوفين عن الواردات ، ونحاول أن نقتطف من حديثهم تلك التعريفات والإشارات :

الواردات منحة إلهية :

لولا الورد لما كان الوارد . الواردات منح وعطيات تفضلا من الله . قلما تكون الواردات الإلهية إلا بغتة ، لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد ، فهى تحف الله وهداياه ، مقدسة عن أن تعلل بأمر ، ومنزهة عن أن تقابل بأعمال بر. بل هى محض كرم وفضل ، من الكريم المتفضل.

ثم اعلم أن الواردات يكشف لهم بها عن كثير من الحقائق الغيبية : فأول ما تتجلى وترد الحقائق على قلوبهم ، ترد مجملة ، ثم بعد أن تعيها قلوبهم، تتبين لهم على طبق قول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (القيامة : ١٨ . ١٩) .

وشرط قبول تلك الواردات ، مطابقتها لما جاء مقررا فى الشريعة :

إن الواردات هى حقائق العلوم اللدنية التى يقذفها الحق تعالى فى أسرار العارفين ، عند براءتهم من الدعوى ، وتحررهم من رق الأشياء ، وتعرضهم بسيرهم إلى نفحات الحق ، والافتقار لما يفتح عليهم المولي .. يكرمهم الحق تعالى بها ، تحقيقا لوعده لهم ، من غير تعلم ولادراسة وعند ورودها عليهم وتجليها لهم ، تكون مجملة ، لاتتبين لهم معانيها ، ولايدركون جهات حقيقتها . فإذا وعوها. وتعرفت فيها أذهانهم بالاعتبار والتأمل ، تبين لهم معناها ، وظهر لهم موافقتها لما بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية ، من غير مخالفة .. فهى علوم وأسرار ذوقية ، ومنح إلهية ، ترد على الأرواح ، ولاتنال بمعتاد الطلب .

آداب تلقى الواردات :

الوارد يراد لثمرته لا لحظ النفس . فليس المراد من السحابة الأمطار ، إنما المراد منها وجود الأثمار .. فلا تمنح الوارد وتفرح به ، فإن ذلك نوع من الاغترار . والواردات وسائل لحصول مقاصدها ، وهى ثمراتها التى تكون بعد حصولها .. فإذا حصلت مقاصدها ، فلا وجه لطلب بقاء الواردات . فإياك أن تقف مع الواردات ، فتصير حجابا فى حقك .

ولاتحزن على فقد الوارد إذا فقدته ، فلك فى الله غنى عن كل شىء .. فلا تأس على فقد شىء ، إذا وجدت الله فى كل شىء .

فالله تعالى إنما أدخلك فى الحال لتأخذ منها ، لا لتأخذ منك . لأنها جاءت حاملة هدية التعريف من الله إليك ، فإذا أوصلت إليك ماكان فيها ، فلا تطلب بقاءها ، إذ لايطلب بقاء رسول بعد أن بلغ رسالته.

فجميع أنوار الواردات المنبسطة على قلب العبد ، تكيف ظاهره وباطنه بكيفيات العبودية وأسرارها المودعة فيها ، بما لاح له من عظمة الربوبية .. فإذا أفادك الوارد هذه الفوائد ، فلا تطلبن بقاءه فى حال وجوده ، ولاتأس على فقده فى حال فقده .

كيف تظهر الواردات ؟

ماورد عليك : هو ماظهر منك لك .. وماجلى عليك : هو منك عليك .. كالنواة إذا زرعت ، فكل شىء ورد عليها ، من ورق وغيره ، كان مودعا فيها بالقوة .

كذلك أنت أيها الإنسان : لايرد عليك قط ، ماهو خارج عنك ، بل الوارد عليك فيك غيبا ، ثم ظهر لك شهادة ، لتعرف مقدار ما أنعم الله عليك.

فتكون فى حالة الأخذ عن البشرية : فى حضرة تشاهد فيها ملائكة يتكلمون بعلوم لدنية ، تفهمها هناك بفهم يناسب تلك الحالة الملكية ، فإذا عدت إلى بشريتك ، نسيت ما علمت ، ولم تذكر شيئا مما سمعت ، وذلك لأنك خرجت من وصف إلى وصف ، ومن عالم إلى عالم .. وكل علم له عالم، بوصف ذلك العلم ، يدرك حقائقه العالم .. ولذلك كانت العلوم الكشفية غير العلوم العقلية ، والعقلية غير النقلية ، وعلم العبارة غير علم الإشارة . فمن أراد أن يأخذ علم الإشارة من العبارة ، فقد طلب المحال ، وأنكر على الرجال، وحرم تمام الكمال.

ويؤيد هذا : أن الإنسان قد يرى فى منامه أشياء ، يفهمها حال الرؤية لها، فإذا استيقظ من نومه ، محيت من قلبه ، ولايكاد يدرك شيئا منها، ولايستطيع أن يعبر عنها .

موارد الواردات :

الواردات التى كانت ترد للنبى ﷺ لكل منها مورد .. وهى ثلاثة موارد:

١- الروح الأمين : وهو جبريل

٢- روح القدس

٣- روح الأمر

وسنذكر فيما يلى كلمة سريعة عن كل مورد من تلك الموارد الثلاثة :

١- فمورد **الروح الأمين** ظاهر القلب ، **وهو الفؤاد** . وللفؤاد سمع وبصر. وهو قوله تعالى : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (النجم : ١١). فالروح الأمين يرد صفح القلب . وهو قوله تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء : ١٩٣ . ١٩٤)ومصدره عالم سدرة المنتهى ، إذا إليها تنتهى علوم الخلائق ، فيرد بمواهب الأفعال ، وهو علم اليقين .

٢- **روح القدس** : مورده باطن القلب ، وهو **السويداء** . وهو محل النفث. وإليه أشار الرسول ﷺ بقوله : إن روح القدس نفث فى روعى . والنفث: مايلقيه الله تعالى إلى عبده إلهاما كشفيا ، بمشاهدة عين اليقين ، ومصدره من عالم العرش بحقائق الأسماء .

٣- **روح الأمر** : مورده **السر** ، وهو باطن السويداء . ومصدره عين القدرة المطلقة الربانية ، والحضرة الواحدية ، فيرد بتجليات أنوار الصفات ، وهى حقيقة حق اليقين .

فالروح الأمين : **ينطق عن عالم الملك** - وروح القدس : **ينطق عن عالم الملكوت** وروح الأمر : **ينطق عن عالم الجبروت** .

والروح الأمين : إذا تجلى لصفح القلب اصطلم وغاب غيبة الهيمنة.. ومن هنا قال الرسول ﷺ زملونى زملونى .

وروح القدس : إذا استولى على القلب غاب غيبة الحضور ، بمشاهدة العلويات الملكوتية .. ومن هنا قال ﷺ : لستُ كأحدكم ، إنى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى ثم يرجع عن غيبة الحضور ، فيثبت ماشاهد من عالم الملكوت فى عالم الملك . وهو معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (النحل : ١٠٢).

ومن هنا إشارة : إنه ليغان على قلبى .. فليس ذلك الغين غين حجاب ، ولاعقله، وإنما كانﷺ تستغرقه أنوار التجليات ، فيغيب بذلك الحضور ، ثم يسأل الله تعالى أن يستر عليه حاله . فيطلب المغفرة ، وهى الستر .. فكأنه يسأل ستر حاله عليه ، غيرة منه عليه ، لأن الخواص لو دام لهم التجلى ، وما يكاشفهم به ، لتلاشوا عند ظهور سلطان الحقيقة .. فالستر لهم هناك رحمة ، وأما الستر للعوام فعقوبة ، لأنه حجاب لهم ، وغطاء على أعين بصائرهم . فهم مستورون عنه بغيره . ولكن الخواص مستورون به عما سواه .

أما روح الأمر : إذا استولى على القلب أخذه منه وغيبه عنه ، حتى ينظر الحقائق الربانية فى دار الفردانية . ومن هنا يظهر سر قوله ﷺ : لى وقت لايسعنى فيه غير ربى .. فروح القدس مقلق من روح الأمر، والروح الأمين مقلق من روح القدس ، وهو سر قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ (طه : ١١٤).

فلو لم يكن مبلغا من غير جبريل ، لما كان يسابق جبريل فى تلاوته .. فشتان بين يوم «يامحمد اقرأ» وهو يقول «ياصاح لست بقارىء» ثم يرجع

إلى خديجة رضى الله عنها قائلا لها «زملونى» .. وبين يوم ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ (طه : ١١٤).

فيوم « زملونى» : إشارة إلى البداية الوحيية .. ويوم «لاتعجل» إشارة إلى النهاية الكشفية .. ونظير ذلك لأهل البدايات : قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال : ٢)أى انزعجت وخافت ، وهذه صفة أهل البداية .. أما أهل النهاية فصفتهم التمكين والثبوت والطمأنينة ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد : ٢٨) .

متى تتلقى القلوب لمعات الواردات؟

فرغ قلبك من الأغيار ، وهو ماسوى الله ، بحيث لايتعلق قلبك بشيء من الكون ، علويا أو سفليا ، دنيويا أو أخرويا ، حسيا أو معنويا ، كحب الخصوصية وغيرها من الحظوظ . فإذا رحل قلبك من هذا العالم بالكلية ، ولم يبق فيه إلا محبة مولاك ، فإنه يملأه بالمعارف ، بحيث يكشف عنك حجاب الوهم ، ويذهب عنك ظلمة الحس ، فتشاهد الأشياء كلها أنوار ملكوتية ، مشاهدة ذوقية تمكينية .. كما يملأه أيضا بالأسرار ، وهي أسرار الجبروت ، فتغيب بالجمع عن الفرق ، وبشهود الجبروت عن شهود الملكوت ، وتكاشف بأسرار القدر ، فيهب عليك نسيم برد الرضى والتسليم.

فالأسرار أبلغ من المعارف .. فالمعارف : أنوار الملكوت ، والأسرار : أنوار الجبروت . لأن السائر قد يكشف له عن نور الملكوت ، فيشهد الكون كله نورا ، لكنه مفتقر إلى تلك الأنوار ، ليترقى بها إلى التمكين فى شهود الذات، كافتقار القارىء إلى النظر فى الرسوم .. فإذا حفظ القارىء المعنى وتمكن منه ، محى الرسوم ولم يفتقر إليها ، كذلك السالك : يكشف له أولا عن نور الكون ، فيغيب فى النور عن ظلمة الحس ، ثم لايزال فى السير ، حتى يقبض المعنى ويتمكن منه ، فلا يحتاج إلى مشاهدة ، فيستغنى عن نور الملكوت بنور الجبروت .

ثمرات الواردات :

ثمرة الوارد هى : هدم العوائد ، واكتساب الفوائد ، والتخلية من الرذائل، والتحلية بالفضائل .. فالغرض منه التخلص من رق الشهوات الجسمانية، والعوائد النفسية ، والخروج من سجن الأكوان ، والترقى إلى فضاء الشهود.

الوارد الإلهى : تعقبه برودة وسكون وزهد وطمأنينة وفترة .

الوارد الشيطانى : تعقبه حرارة وقساوة وتكبر وصولة .

فليس المراد من الحال فرحه وخفته وشطحته ، إنما المراد منه ثمرته .. فكما قلنا سابقا إن الوارد كسحابة الأمطار ، فليس المراد منها وجود الأمطار ، وإنما المراد ما ينشأ عنها من وجود الأثمار .

فإن وردت عليك الأحوال ، وهى الواردات الإلهية ، ثم انقشعت وانصرفت، فلا تطلب بقاءها ، بعد أن بسطت أنوارها فى قلبك ، فأخرجت منه ظلمة الأغيار وصور الآثار . وأودعت فى قلبك اليقين والطمأنينة ، والزهد والرضى والخشوع والتواضع .. فهذه علامة صدق الوارد ، وحصول نتيجته ، فإذا حصلت نتيجته ، فلا حاجة للشيخ لشىء ، فلك فى الله غنى عن كل شىء ، فلا تفتقر إلى شىء .

وفي الإشارة عن الله عزّ وجلّ :

لاتركنن إلى شىء دونى ، فإنه وبال عليك ، وقاتل لك : فإن ركنت إلى العلم ، تتبعناه عليك ، وإن أويت إلى العمل ، رددناه إليك ، وإن وثقت بالحال ، وقفناك معه ، وإن آنست بالوجد ، استدركناك فيه ، وإن لحظت الخلق، وكلناك إليهم ، وإن اغتررت بالمعرفة ، نكرناها عليك .

فأى حيلة لك ؟ وأى قوة معك ؟ فارضنا لك ربا ، حتى نرضاك لنا عبدا. فإذا حصل لك الغنى بالله ، استغنيت عن كل ماسواه ، فلاتتطلع إلى بقاء حال ولاوارد ولامقام ، سوى شهود الملك العلام .. فتطلعك إلى بقاء حال أو وارد ، دليل على عدم غناك به .



من مجالس السادة مع المريدين
وأدعية الصالحين

إن للسادة الصوفية مجالس مع مريديهم وأتباعهم ، ينصحونهم أثناءها بما يثبت قلوبهم . وقد اشتهر ساداتنا (عبدالقادر الجيلانى - وأحمد الرفاعى - وأبوالحسن الشاذلى) وغيرهم بهذه المجالس .. وأود أن أصور لكم بعضا من هذه المجالس لتسمعوا كلامهم القريب العهد من الله ، الداعى إليه بعزيمة وإخلاص.

فاسمعوا ماقاله سيدى عبدالقادر الجيلانى كنموذج لتلك المجلس :

المجلس الأول فى الله :

* ياقوم ، قد كثر النفاق فيكم ، وقل الإخلاص ، وكثرت الأقوال بلا أعمال.. ألم تعلموا أن قولا بلا عمل لايساوى شيئا ؟ بل هو حجة لامحجة.. إنه صورة بلا روح ، ومعظم أعمالكم كجسد بلا روح . فالروح هو الإخلاص والتوحيد ، والثبات على كتاب الله وسنة رسوله .
* لاتغفلوا .. امتثلوا الأمر ، وانتهوا عن النهى ، ووافقوا القدر .. آحاد أفراد من الخلق ، تسقى قلوبهم بالأنس والمشاهدة والقرب، فلا يحسون بآلام القدر وبلاياه ، فتنقضى أيام البلاء ولايعلمون بها ، فيحمدون الله عز وجل ويشكرونه .
* شرط المحبة أن لاتكون لك إرادة مع محبوبك ، وألا تشتغل عنه بدنيا ، ولا آخرة ، ولاخلق..
* لاتحتقروا أحدا من المسلمين ، فإن أسرار الحق عز وجل مبذورة فيهم .. فتواضعوا فى أنفسكم ولاتتكبروا على عباد الله .
* تنبهوا من غفلاتكم ، إنكم فى غفلة عظيمة ، كأنكم حوسبتم وعبرتم الصراط ، ورأيتم منازلكم من الجنة .. ماهذا الغرور العظيم ؟! كل واحد

منكم قد عصى الله عز وجل ، ولايتفكر فى معاصيه ، ولايتوب منها ، ويظن أنها قد نُسيت .. هى مكتوبة فى صحائفكم بتواريخ أوقاتها .. استيقظوا يانيام ، تعرضوا لرحمة الله .. من اشتدت معاصيه وزلاته ، وأصر عليها ، ولم يتب ، ولم يندم ، فقد جاء بريد الكفر ، إن لم يتدارك الأمر .

* يادنيا بلا آخرة ، ياخلقا بلا خالق ، ماتخاف سوى الفقر ؟! وماترجو سوى الغنى ؟! ويحك !! إن الرزق مقسوم ، لايزيد ولاينقص ، ولايتقدم ولايتأخر، أنت شاكٌّ فى ضمان الحق عزَّ وجلَّ ، حريص على طلب مالم يقسم لك . ويحك !! من أطعمك وأنت طفل فى بطن أمك؟ أنت معتمد عليك ، وعلى الخلق ، ودنانيرك ودراهمك ، وعلى بيعك وشرائك ، على سلطان بلدك.. كل من اعتمدت عليه فهو إلهك ، وكل من خِفْتَه ورجوته فهو إلهك ، كل من رأيته فى الضرر والنفع ، ولم تر أن الحقَ عز وجل ، مجرى ذلك على يديه ، فهو إلهك!

عن قريب ترى خبرك ، يأخذ الحق منك سمعك وبصرك ، وبطشك ومالك ، وجميع ما اعتمدت عليه دونه ، ويقطع بينك وبين الخلق ، ويُقَسِّى قلوبهم عليك، ويقبض أيديهم عنك ، ويغلق الأبواب فى وجهك ، يردك من باب إلى باب، ولايعطيك لقمة ولاذرة ، وإذا دعوته فلا يجيبك .. كل ذلك لشركك به، واعتمادك على غيره ، وطلبك النعمة من غيره ، واستعانتك بها على معاصيه.

المجلس الثانى فى الله :

* ياخلق الله : توبوا .. ياعلماء ، يافقهاء ، يازهاد ، ياعباد : مامنكم إلا من يحتاج إلي توبة .. احذروا أن يرى الحق عزَّ وجلَّ فى قلوبكم غيره .. احذروا أن يرى فى قلوبكم خوف غيره ، أو رجاء غيره ، أو حب غيره .. طهروا قلوبكم من غيره ، لاتروا الضرر والنفع إلا منه ، أنتم فى داره وضيافته.

* ياقوم : إن أعرضتم عن باب الدنيا ، وأقبلتم على باب الحق عز وجل ، خرجت الدنيا وتبعتكم .. ياسادة : ظاهر بلا معنى ؟! مظهر بلا مخبر ؟! المنظر والمخبر للآخرة .. لما ظهرت عيوب الدنيا عند القوم هربوا منها .. ولما ظهرت عيوب الخلق عندهم غابوا عنها .

* ياقوم : المريد الصادق فى إرادته الحق عزَّ وجلَّ ، فى بداية أمره ، يضيق عن رؤية الخلق ، وعن سماع كلمة منهم ، ولايزال كذلك ، حتى تقع يد الرحمة على رأس قلبه ، فيأتيه السكون ، وإذا تمكن من توحيده وإخلاصه، ومعرفته بربه عز وجل ، فيحمل أثقالهم من غير كلفة يقرب منهم ويطلبهم ، ويكون كل شغله فى مصالحهم .. وهو فى كل ذلك لايشتغل عن ربه عزَّ وجلَّ طرفة عين.

المبتدىء يهرب من الخلق ، والكامل لايبالى بهم ، ولايهرب منهم ، بل يطلبهم ، لأنه يصير عارفا بالله عزَّ وجلَّ ، ومن عرف الله ، لايهرب من شىء، ولايخشى شيئا سواه .. من كملت معرفته بالله عز وجل ، صار دالاً عليه ،يأخذ الخلق من أيديهم إليه .

* يازهاد الأرض : تقدموا واقربوا منى ، قد قعدتم فى خلواتكم من غير أصل، تقدموا والقطوا ثمار الحكم يرحكم الله .. قد غذاكم الله بنعمه وأنتم فى بطون أمهاتكم ، وبعد خروجكم منها ، ثم أعطاكم القوى والبطش ، ورزقكم طاعته ، وجعلكم مسلمين متبعين لنبيه ﷺ إذا رأيتم النعم من المولى عز وجل زالت محبة الخلق من قلوبكم .

* العارف بالله عز وجل ، المحب له ، الناظر إليه بعينى قلبه ، الذى يرى الإحسان والإساءة منه ، لايبقى له نظر إلى من يحسن إليه ويسىء .. فالخلق إن ظهر منهم إحسان ، رآه بتسخير الحق عز وجل .. وإن ظهرت منهم إساءة ، رآها بتسلطه .. ينتقل نظره من الخلق إلى الخالق ، ومع ذلك يعطى الشرع حقه ، ولايسقط حكمه .

* يافقيرا إلى الخلق ، يامشركا بهم : احذر أن يأتيك الموت وأنت على ما أنت فيه ، ما يفتح الله لروحك بابه ، ولاينظر إليها ، لأنه غضبان على كل مشرك ، معتمد على غيره .. عليك بالخلوة عن النفس ، ثم بالخلوة عن الخلق، ثم بالخلوة عن الدنيا، ثم بالخلوة عن الآخرة ، ثم بالخلوة عما سوى المولى.

إذا أردت أن تخلو مع المولى ، فاخل عن وجودك وتدبيرك .. ويحك ! تقعد فى صومعتك ، وقلبك فى بيوت الخلق ، منتظر لمجيئهم .. ضاع زمانك، وجعلت لله ، الصورة بلا معنى .. إذا لم يكن لك باطن صحيح ، وقلب خال عما سوى الله عز وجل ، فلا فائدة فيك .

المجلس الثالث فى الله :

ياسادة :

الدنيا حجاب عن الآخرة ، والآخرة حجاب عن رب الدنيا والآخرة ، وكل مخلوق حجاب عن الخالق عز وجل ، مهما وقفت معه فهو حجابك .. لاتلتفت إلى الخلق ، ولا إلى الدنيا ، ولا إلى ماسوى الحق عز وجل ، حتى تأتى إلى باب الحق عز وجل ، بأقدام سرك ، وصحة زهدك ، مستغيثا إليه ، مستعينا به ، ناظرا إلى سابقة عمله .. فإذا تحقق لك ذلك ، قربك وأدناك وحياك ، وولاك على القلوب ، وأمَّرك عليها ، وجعلك طبيبا لها .. فحينئذ التفت إلى الخلق والدنيا ، فيكون التفاتك إليهم نعمة في حقهم ، وأخذك للدنيا من أيديهم ، وردها إلى فقرائهم ، عبادة وطاعة .. ومن أخذ الدنيا على هذه الصفة لاتغره ، بل يسلم منها .

من أراد الفلاح ، فليبذل نفسه وماله للحق عزَّ وجلَّ ، ويخرج بقلبه من الخلق والدنيا ، وهكذا من الآخرة ، ومن جميع ماسوى الحق عز وجل .. فحينئذ يعطى كل ذى حق حقه بين يديه ، وتأكل أقسامك من الدنيا والآخرة، وأنت على بابه ، وهما خادمتان لك .

ياغلام :

لانجاة لك حتى تؤثر ربك على غيره ، وتؤثر دينك على شهواتك ، آخرتك على دنياك ، وخالقك على خلقه .. عليك بخويصة نفسك ، حتى تقهرها وتذلها وتستأسرها ، وتجعلها مطية تقطع بها فيافى الدنيا ، حتى تصل إلى الآخرة ، تقطع بها الخلق حتى تصل إلى الخالق .. لاتخف الخلق ولاترهبهم، فإن ذلك من ضعف الإيمان .. انظر بعين قلبك ويقينك إلى ماينتظرك من خير فى الآخرة ، وأنت صابر على ما يأتيك فى الدنيا . من أحب القوة فى دين الله ، فليتوكل على الله عز وجل ، لأن التوكل يصحح القلب ويقويه ويهديه.

لاتبال بإقبال الدنيا وإدبارها ، وإقبال الخلق وإدبارهم ، تكن أقوى الناس.. وإذا توكلت على مالك وجاهك وأهلك وأسبابك ، فقد تعرضت لمقت الله عز وجل .. فإذا أردت الفلاح : خالف نفسك فى موافقة ربك عز وجل ، ووافقها فى طاعته .

بابان لابدلك من الدخول فيهما : باب الخلق وباب الخالق .. باب الدنيا وباب الآخرة .. أحدهما تبع الآخر : باب الخلق أولا ، وباب الحق عز وجل ثانيا.. ماترى الباب الأخير ، حتى تجوز من الباب الأول .. فاخرج بقلبك من الدنيا ، حتى تدخل إلى الآخرة .. واخرج من الخلق حتى تعرف الحق عز وجل.. وهذه الأشياء أضداد ، فلا تطلب الجمع بينهما .. فرغ قلبك الذي هو بيت الحق عز وجل ، لاتدع فيه غيره .. المتقون يتقون الله عز وجل فى جميع أعمالهم ، ويدارون الخلق ، يحدثونهم بما يفعلون بقلوبهم بخلق حسن ، بخلق الكتاب والسنة ، ويأمرونهم بما فيها.

لاعبرة بعلمك من غير عمل ، ولاعبرة بعملك من غير إخلاص .. علامة إخلاصك أنك لاتلتفت إلى حَمْد الخلق ولا إلى ذمهم ، ولاتطمع فيما فى أيديهم، بل تعطى الربوبية حقها ، تعمل للمنعم ، لاللنعمة .. للحق لا للباطل.. واعلم أن الخراب إنما يتسلط على الأبنية والمبانى بالمعاصى ، لأن المعاصى تخرب البلاد ، وتهلك العباد .. وهكذا جسمك !!

توصل إلى رضا الحق عز وجل عنك ، فإنه إذا رضى عنك أحبك .. نحِّ هم الرزق عن قلبك ، وقد جاءك الرزق من الله من غير تعب منك .. نحِّ الهموم عن قلبك ، واجعل همك واحدا ، وهو الحق تعالى ، فإذا فعلت هذا كفاك الهموم كلها .

همك ما أهمك .. إن كان همك الخلق ، فأنت معهم .. وإن كان همك الدنيا ، فأنت معها .. وإن كان همك الآخرة ، فأنت معها ، وإن كان همك الحق عز وجل ، فأنت معه ، دنيا وآخرة .

من تزين للناس بما يحبون ، وبارز الله بما يكره ، لقى الله عز وجل ، وهو عليه غضبان .. أترضى بذلك ؟ أتقوى عليه ؟! يامنافق ، يابائع الحق (عزَّ وجلَّ) بالخلق .. خسرت تجارتك ، وذهب رأس مالك .. أنت متعرض لمقت الله عز وجل وسخطه ، لأن من تزين للناس بما ليس فيه ، مقته الله عز وجل.. زين ظاهرك بآداب الشرع ، وباطنك بإخراج الخلق منه ، رُدَّ أبوابهم ، أفنهم من حيث قلبك ، حتى كأنهم لم يخلقوا .. لاترى على أيديهم ضراً ولانفعاً ..

المجلس الرابع فى الله :

ياغلام :

إياك أن تنازع محظوظا ، فإنه يسلم ويرتفع ، وأنت تهلك وتنحط ، وتذل وتفتضح، كيف تغير حظك بمنازعتك ، وقد سبق علم الله بما هو فيه . وإذا نازعت الحق عز وجل فى علمه ، السابق فيك وفى غيرك ، سقطت من عينيه ولاينفعك عملك .

ياسادة :

خافوا الله واخشوه ، ألا تخافون من تقلب الأغيار ، وسوء العاقبة ، واعلموا أن ربكم لايُسأل عما يفعل ، وهو يُسألون ، وأنت ياغافل تبارز الحق

عـز وجل بالمعصـية والمخالفـة ، ثم تأمنه .. عن قـريب ينقلب أمنك خوفـا ، وسعتك ضيقا ، وعافيتك مرضا ، وعزك ذلا ، وغناك فقرا .. واعلم أن أمنك فى يوم القـيـامـة من عـذاب الله تعـالى ، على قـدر خـوفك منه فى الدنيـا ، وخوفك فى الآخرة على قدر أمنك منه فى الدنيا ، ولكنكم غـائصون فى بئر الغـفلة ، فـلا جرم أن عـيـشـتكم كـالبـهـائم ، لاتعـرفـون سوى الأكل والشـرب والنكاح والنوم !

لا إيمان لك ، وعلى وجـه الأرض من تخـافـه وترجـوه ، ولازهد لك ، وفى الدنيا شىء تريده ، ولاتوحيد لك ، وأنت ترى غيره فى طريقك إليه !

ياقوم :

أحسنوا الأدب مع الله ، وأقـبلوا على آخـرتكم ، وأعـرضـوا عن دنيـاكم ، وكلوا من كسب الحلال . كيف تطلبون الجاه والمال من الخلق ، وهم عن قـريب إما معزولون أو ميـتون ؟! يذهب مـال العبد وملكه ، وينقل إلى قـبره ، بيت الظلمـة والوحـشـة ، إلا أن يكون له عـمل صـالـح . لاتتكلوا على من يموت فيخيب رجاؤكم ، وينقطع مددكم ، وتوكلوا على الحى الذى لايموت .

يامسجونا فى سجن هواه ، ياعبدا للخلق ، ياجاهلا بعاقبة أمره ، ياجاهلا بالخلق ، والحق عز وجل ، وماعليـه ومـاله .. إن لم تعـقل فـاعـقل ذكر الموت ، فإن ذكره مفتـاح كل خير ، ومـغلاق كل شر، واعلم أن الصلاة تقطع بك نصف الطريق ، والصوم يقيمك على الباب ، والصدقة تدخلك إلى الدار .

يقـول المولى عز وجل : «أنا الله لا إله إلا أنا .. من اسـتـسـلم لقضـائى ، وصبر على بلائى ، وشكر نعمائى ، كتبتـه عندى صديقا .. ومن لم يستـسلم لقـضـائى ، ومن لم يصـبـر على بلائى ، ولم يشـكر نعـمـائى ، فـليطلب ربا سواى».

ارض بالقـضـاء ، وآمن بالقـدر ، خـيـره وشـره ، وإن مـا أصـابك لم يكن ليخطئك بالتحذر ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك بالجد والطلب .. علامة

المؤمن أن يكون موافقا لله عز وجل ، فى جميع أحواله من غير «كم» ولا «كيف» .. ولاتجعل رجاءك الخلق ، أو خوفك منهم ، ولاتجعل حمدك عند العطاء ، وذمك عند المنع للخلق ، فهذا شرك .

التوحيد الحق : هو أن توقن أن الأشياء توجد وتؤخذ من الله عز وجل ، ولا من خلقه توجد أو تؤخذ ، دون الرجوع إلى بابه .. فالاشتغال بغير الله هوس، والخوف من غيره هوس .. لايضرنا ولاينفعنا إلا الله . هو الذى جعل لكل شىء سببا .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ .(الطلاق : ٢ . ٣)

هذه الآية أغلقت كل الأبواب إلا التوكل على الله . فهو مولانا ونعم المولى ونعم النصير .

والآن :

ننتقل إلى نوع آخر من مجالس السادة مع المريدين : فهى ليست مجالسة وجها لوجه ، حيث يكون التفاعل أكبر ، نتيجة الالتقاء الروحى ، واقتباس الأنوار مباشرة .. ولكن المجالسة هنا عن طريق الرسائل ، حيث يطوف الشيخ فى عالم الملكوت بقلبه ، ويكتب لنا عصارة فكره ، الممتزج بنور قلبه .

ونسجل هنا إحدى رسائل العربى الدرقاوى ، وهو من أقطاب الشاذلية ، وتلك الرسائل لم تطبع ، فهى مخطوطات ، مما لايجعلها فى متناول الجميع ، ولذلك فنحن يهمنا أن نعرض قبسا من أنوارها ، لينتفع بها أولو الألباب أصحاب القلوب الواعية .

من رسائل العربى الدرقاوى :

* **الجلال عين الجمال** عند الأولياء الكمل .. إذ الجلال عندهم ذات ، والجمال صفات ، وكيف يفرق بين الجلال والجمال ، أو بين الذات والصفات ، من

يرى العز فى الذل ، والقوة فى الضعف ، والعطاء فى المنع ، والنعمة فى النقمة ، والحياة فى الممات ؟!

* **النفس والروح** : اسمان لشىء واحد ، من عين النور ، والله أعلم .. وقد تثنى هذا الشىء (أى عاد اثنين) لاتصافه بوصفين وهما : الصفاء والكدر.

لأن النفس مادامت مكدرة ، لايصدق عليها إلا اسم النفس ، ومتى ذهب كدرها وصفت وتجوهرت ، صدق عليها اسم الروح .. ونرى أنهما يتعاشقان دائما لبعضهما ، إذ كلاهما قريب من الآخر ، وكلاهما ذو حسن وجمال وقد واعتدال .. وإذا أراد الله أن يتولى عبدا من عباده ، زوجها له ، أى مكن هذه من هذه ، وذلك بأن النفس ترجع عن أهوائها التى أخذتها وبعدتها عن أهلها ووطنها ، وسلبتها من حسنها وجمالها وبهائها وشرفها وعلوها وارتفاعها، ومابه أمدها مولاها ، حتى أنكرت أصلها هذا ولم تقو، فلا تبقي على حالها ، بل تتركه وترجع عنه كليا .. وحينئذ تدخل الروح بها ، فتمدها بمعانيها وبأسرارها التى مدها الله بها ، من حيث هى ولانهاية لها ، وبقدر مايتنزل من أهوائها ، يتقوى مدد الروح من قبل ربها، فيكثر النكاح والنتاج، وهى العلوم الوهبية ، والأعمال القلبية الناشئة عنها .

ولذة ذلك لاتحمل صاحبها إلا على مخالفتها ، وسيرها على مكروهاتها ومشتغلاتها ومستقبحاتها، لأنه يهون عليه ذلك، بسبب مايرى من أنوارها وأسرارها وفوائدها .

* **تجريد الظاهر والباطن** : ماربح من أول الدنيا إلى آخرها ، إلاصاحب النية والمحبة والصدق والظن الحسن والتسليم .. ولاخسر إلا من أخلاه الله مما ذكرنا .

فصاحب النية يربح فى موضع الخسران ، ومن لانية له ولامحبة ، يخسر فى موضع الربح . فإن قلت : هل لاسبيل لنا إلى ربنا ، إلا من باب التجريد

الذى أنت عليه ، ولايكفينا تجريد بواطننا عنه بتجريد ظواهرنا ؟ قلنا: لاسبيل لأحدنا إلى ربنا ، إلا من باب تجريد ظاهره وتجريد باطنه ، لأن تجريد الجهتين طريق رسول الله ﷺ وطريق أصحابه ، ومن اقتدى بهم إلى الآن .. إذ لايتجرد الباطن حقيقة ، إلا إن ظهر تجرده على الجوارح ، وأما إن لم يظهر على الجوارح فلا عبرة به .

قال أستاذى سيدى على الجمل (رضى الله عنه) : التجريد هو التجريد من الدنيا حسا ، لامعنى فقط ، إذ التجريد معنى لايحصل نفعه ، حتى يحصل التجريد الحسى .. وإن حصل التجريد المعنوى لا يعبأ به ، ولايلتفت إليه ، ولايحكم به ، ولافائدة منه ، إلا إن ظهر الحسى. أمرت أن أحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر ، لأن الظواهر هى التى تثبت وهى التى تنفى ، ومن لم يثبت له شيء بالظاهر فليس هو بشيء ، وإن كان الباطن أساس الظاهر ، وعليه يبنى.

* **فلو كانت المعانى ترتبط بدون الحس** : لكفى أهل الإيمان من حيث اعتقادهم، الإيمان بقلوبهم ، عن النطق باللسان والشهادتين .. وحيث كانت المعانى لاترتبط إلا بالحس ، أمرنا بالنطق بالشهادتين بألسنتنا ، ونرى كل من تخلص قلبه من حب الدنيا حقيقة ، ومن كل ما يعنى ، تخلصت والله جوارحه.

وهذا كان حال الصحابة والأولياء ، حتى من كانت الدنيا عنده ، فقد كانت قلوبهم خالية من حبها ، مشحونة بحب الله ، وحب رسول الله ﷺ ومن كان هكذا فلا تضره ، بل تنفعه ، إذ هو يطعم بها الجائع، ويكسى بها العريان.

قال سيدى على الجمل : لامحيد لكل منا عن البول والغائط ، لكن إن فرغنا من قضاء حاجتنا ، قمنا عن ذلك ، مشينا إلى أسبابنا ، ولايستحلى أحدنا مجاورة ذلك .. وكذلك الدنيا ، إذا قضى المؤمن حاجته منها ، تركها وأقبل على ربه .

وهكذا : من تجرد باطنا ، ولم يتجرد ظاهرا ، يصدق عليه قوله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عندَ اللَّه أن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف : ٣).. ومن تجرد ظاهرا ، ولم يتجرد باطنا ، يصدق عليه قوله تعالى :﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران :١٦٧).. فإذا اشتغل الناس بالعبادة، فاشتغل أنت بالمعبود.. وإذا اشتغل الناس بالمحبة، فاشتغل أنت بالمحبوب .. وإذا اشتغلوا بطلب الكرامات ، فاشتغل أنت بلذيذ المناجاة .

* **لو شهدت الله فى كل شيء ، لحجبت بشهوده عن كل شيء** : فكيف يظهر لك مع ظهوره شيء ، وهو الواحد الذى ليس كمثله شيء ، والذى ليس معه شيء .. ولو قرنت الحادث بالقديم ، لتلاشى الحادث ، ويقى القديم .. ولو ظهرت صفات المحبوب ، لفنى الحجاب والمحجوب .. ولو تجلت أنوار الشهود ، لفنى الزاهد والمزهود .. لقد رفعت الأشياء دون قدرها ، حتى زهدت فيها ، وذلك لحجابك عنه ، ولو شهدته فيها ، أو قبلها أو بعدها ، ماحجبت بها عنه .. فاشتغالك بها عنه ، هو الذى حجبك عنه ، ولو شهدت وجودها منه ، ما حجبت بها عنه ، ولاحال بينك وبين المعبود ، إلا الفرح بالموجود ، والحزن على المفقود .. ولاحجبك عن النعيم إلا هذا الوصف الذميم، لولا الواشى والرقيب لم يكمل فرحك بالحبيب ، ولولا النار ، ولدغ النحل ، لم تكمل لذة الشهد والعسل .
* **لاتقل أنا إلا بعد حصول الفنا** .. ولاتحصل لك الحياة إلا بعد الممات ، ولاتشرق لك الشموس إلا بعد موت النفوس ، ولاتبلغ المنى ، حتى لايبقى لك بين الأنام منى ، ولاتذوق طعم الإيمان ، إلا بالخروج من الأكوان ، ولايحصل لك الهنا إلا بعد الفنا عن أهل الغنى .. ولو انهتكت لك الحجب، لشهدت فى ذاتك المحبوب .. ولوزالت عنك حجب الأوهام ، لشهدت الباقى على الدوام ، ولو طويت عنك مسافة نفسك ، لما رأيت موجودا سوى ربك .. ولو سلمت نفسك من الرذائل ، لجاء الحق وزهق الباطل .

الله قل وذر الوجود وماحوى	إن كنت ذا بلوغ كـــمـــال
فـالكل دون الله إن حـقـقـتـه	عدم على التفصيل والإجمال
واعلم بأنك والعـوالم كلهـا	لولاه في محو وفى اضمحلال
من لاوجـــود لذاته من ذاته	فـوجـوده لولاه عين مـحـال
فـالعـارفـون فنوا ولم يشـهـدوا	شيـئـا سوى المتكبر المتـعـال
ورأو سواه على الحقيقة هالكا	فى الحال والماضى والاستقبال

وفى ختام مجالس السادة المريدين :

يهمنا كثيرا التعرف على بعض أدعية السادة الكرام :

لما كان الدعاء مخ العبادة .. وهو أمر من المولى الجليل لتحقيق الإجابة .. فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر : ٦٠) لذا يهمنا أن نلقى نظرة على أدعية السادة الكرام لنستعين بها على تحقيق المرام.

ومما كان يقوله سيدى عبدالقادر الكيلانى قبل كلامه :

الحمد لله رب العالمين .. ثلاث مرات .. ثم يسكت عقب كل مرة لحظة .. ثم يقول : عدد خلقه ، وزنة عرشه ، ورضاء نفسه ، ومداد كلماته ، ومنتهي علمه ، وجميع ما شاء وخلق وذرأ وبرأ ، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، الملك القدوس العزيز الحكيم .. وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حى لايموت ، بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير ، وإليه المصير .. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون.

اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، واحفظ الإمام والأمة ، والراعى والرعية ، وألف بين قلوبهم فى الخيرات ، وادفع شر بعضهم عن بعض .. اللهم وأنت العالم بسرائرنا فأصلحها ، وأنت العالم بحوائجنا فاقضها ، وأنت

العالم بذنوبنا فاغفرها ، وأنت العالم بعيوبنا فاسترها ، فلا ترانا حيث نهيتنا ، ولاتفقدنا حيث أمرتنا ، ولاتنسنا ذكرك ، ولاتؤمنا مكرك ، ولاتحوجنا إلى غيرك ، ولاتجعلنا من الغافلين .. اللهم الهمنا رشدنا ، وأعذنا من شر أنفسنا ، واشغلنا بك عمن سواك ، واقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك ، والهمنا ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك .

ثم يلتفت عن يمينه ويقول : لا إله إلا الله ، ماشاء الله ، لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .. ثم يقول تلقاء وجهه هكذا .. ثم يلتفت عن يساره ويقول هكذا .. ثم يقول : لاتبد أخبارنا ولاتهتك أستارنا ، ولاتؤاخذنا بسوء أعمالنا ، ولاتحينا فى غفلة ، ولاتأخذنا على غرة .. ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ..ربنا ولاتحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولاتحملنا ما لاطاقة لنا به . واعف عنا ..واغفر لنا .. وارحمنا .. أنت مولانا.. فانصرنا علي القوم الكافرين .

*** كان ورد الشيخ أحمد الطيب بن بشير فى الصلاة على النبى ﷺ :**

« اللهم صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى . وعلى آله وصحبه وسلم » ١٢٠٠٠ مرة كل ليلة .

ومن الدعاء لرؤية النبى ﷺ فى المنام :

قال الشيخ أبى المواهب الشاذلى : رأيت رسول الله ﷺ فى المنام ، فقال لى: قل عند النوم :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (خمسا) - بسم الله الرحمن الرحيم (خمسا) . ثم قل : اللهم بحق محمد أرنى وجه محمد حالا ومآلا .. فإذا قلتها عند النوم فإنى آتى إليك ، ولا أتخلف عنك أصلا .. ثم قال : وما أحسنها من رقية .

* ولما كانت الصلاة على رسول الله ﷺ هي أفضل الدعاء .

فقد قال أبوالمواهب الشاذلي : قال لي رسول الله ﷺ : الأحسن أن تبتدىء بالصلاة التامة أول صلاتك ، ولو مرة واحدة ، وكذلك في آخرها وتختم بها .

والصلاة التامة هي : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك علي سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، في العالمين. إنك حميد مجيد . السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وبعد ختم الصلاة على النبي يقول : أحمد الله عزَّ وجلَّ.

* وقال له أيضا سيدنا رسول الله ﷺ : أكثر من قراءة «إنا أعطيناك الكوثر» كورد بالليل ، وليكن دعاؤك : اللهم فرج كرباتنا . الله أقل عثراتنا. اللهم اغفر ذلاتنا . وتصلى عليَّ وتقول : وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين .

• ذكر أهل الحضرة :

الحمد لله وأستغفر الله . ولاحول ولاقوة إلا بالله . ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ (الكهف :٣٩) .

وقد كتب الإمام مالك تلك الآية على باب داره لتكون حرزا له .

* **إن كثرة قراءة آية الكرسي** : يثبت الله بها القلب ، لاسيما عند الموت.

ومن قرأ آية الكرسي إحدى عشر مرة ، مع هذا الدعاء ، أمنه الله مما يخاف، وقضى حوائجه .. والدعاء هو : «اللهم إنك آمن من كل شيء، وكل شيء خائف منك . فبأمنك من كل شيء ، وخوف كل شيء منك ، أمني مما أخاف وأحذر .. يالطيف يالطيف يالطيف ، الطف بي في أموري كلها كما

تحب ، ورضِّنى فى دنياى وآخرتى ياستار (سبع مرات) استرنى بسترك الذى سترت به على ذاتك ، فلا عين تراك ، ولايد تصل إليك يا أرحم الراحمين».

* **دعاء مأثور لسيدى أبى الحسن :**

اللهم إن الأمر عندك ، وهو محجوب عنى ، ولا أعلم أمرا أختاره لنفسى، لكن أنت المختار لى . وإنى فوضت مقاليد أمرى إليك ، ورجوتك لفقرى وفاقتى. فارشدنى إلى أحب الأمور إليك ، وأرجاها وأحمدها عندك عاقبة فى الدين والدنيا والآخرة . إنك على كل شيء قدير ، وتفعل ما تشاء وتحكم ماتريد .

* **فائدة لمن أراد رؤية شيء فى المنام :**

يجدد الوضوء عند النوم ، ثم يجلس على فراش طاهر . يصلى على النبى ﷺ ثلاثا ، ثم الفاتحة (عشرا) ثم سورة الإخلاص (إحدى عشر مرة) . ثم يصلى على النبى ﷺ ثلاثا أيضا ، ثم ينام على فراشه ذلك ، على شقه الإيمن، مستقبلا القبلة ، متوسدا كفه الأيمن تحت خده .. فإنه يرى فى منامه بإذن الله تعالى مانوى من مهماته ، وهذه من الخواص العجيبة المجربة .

* قال أحد الأولياء : قال لى النبى ﷺ : من يقرأ كل يوم هذه الأسماء، إحدي وأربعين مرة ، **لايموت قلبه** ، يوم تموت القلوب .. وهى :

« ياحى ياقيوم يا لا إله إلا أنت »

أدعية الصالحين لقضاء الحاجات ، وذهاب الهموم والأحزان :

نظرا لأن الإنسان خلق ضعيفا ، وخلق عجولا ، فإنه يئن كلما اعترضته الهموم والأحزان ، أو صعب عليه قضاء الحاجات .. لذلك فإننا نسجل بعض الأدعية المجربات لأولياء الله الصالحين ، المستمدة من القرآن والسنة ، تحقق للإنسان مراده من قضاء حاجاته ، وذهاب همومه وأحزانه .

لرد الضائع والغائب :

سورة : «والضحى..» ما قرأت على غائب إلا رجع إلى ذويه سالما .. وإذا قرأت على شيء نسى صاحبه موضعه ، إلا عرف ذلك الموضع .

ومن ضاع له شيء وقرأها سبع مرات ، ثم يقول : «ياجامع العجائب ياراد كل غائب . ياجامع الشتات ، يامن مقاليد الأمور بيده . اجمع عليّ ضالتى أو حاجتى ، لاجامع إلا أنت» .. إلا رد الله عليه حاجته .

لتسهيل الرزق :

* يقرأ عند الفجر أو عند الزوال :
« لا إله إلا الله الملك الحق المبين » مائة مرة كل يوم
* ويقرأ بعد صلاة سنة الصبح ، وقبل صلاة الفريضة (أى بينهما) .. أو بعد الفريضة : (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . أستغفر الله) مائة مرة كل يوم
* هذا مع ملازمة قراءة سورة الواقعة .

لفك الكرب :

* الإكثار من ذكر «ياحى ياقيوم يامن لا إله إلا أنت» .
* تكرار : توكلت على الحى الذي لايموت . الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل ، وكبره تكبيرا .
* دعاء : «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» .
* دعاء : «اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك . الخ» لذهاب الغم والحزن ، ولمن اشتكى الدين .

لقضاء الحاجات :

* من أراد قضاء حاجته كتب فى كفه الأيسر «بسم الله الرحمن الرحيم . ياودود ياودود ، ياودود .. اقضي حاجتى ياذا العرش العظيم ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم » .

بسم الله الرحمن الرحيم تحتوى على :

الباء : وهى متعلق القدرة بالجر . إذ هى تجر الأسماء باتصالها بأوائلها ، وهى أولى مراتب القدرة . يقول القادر الحق على لسان القدرة : بى علمت وبى أدركت وبى كنت . فالباء إشارة إلى عين القدرة .

السين : إشارة إلى سريان القدرة فى الأشياء .

الميم : إشارة إلى إحاطتها بالكائنات .

*** ومن قرأ آية الكرسى عدد كلماتها (وهى سبعون) أو عدد حروفها (وهى مائة وخمسون) أو عدد المرسلين (وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر) ثم يدعو بهذا الدعاء :**

اللهم اجعل لى برهانا يورثنى أمانا ، وآنسنى بك عن كل مطلوب ، واصحبنى بعون عنايتك في نيل كل مرغوب . ياقادر ياجليل ياقاهر ياعظيم ياناصر، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة:٢١).

فإن الله يقضى حوائجه بإذنه تعالى ويسهل أموره .



تعريف العارفين لبعض المفاهيم

ننتقى بعض المفاهيم التى تبين مذاقات ومقامات مختلفة ، فى بحار علوم التصوف ، تفيد فى جلاء القلوب وفهم العقول .

• الهوى :

صدأ يعلو العقل ، فلا تنطبع فيه صور الحقائق .. وكان يقال : مالم يبلغ الهوى حد اللجاج ، فهو نشوة السكر .. فإذا بلغ اللجاج ، فذلك رين السكر وقوة سلطانه .. ويقال : لايرشد إلا من تابع الهوى فى حال استيلاء الشهوة أو الغضب عليه ، لأنها حال احتجاب عقله . وذلك أن الهوى أملك بالنفس لتقديم سلطانه عليها . وأما سلطان العقل فطارىء مستقاد . وللعقل حجابان: هما الشهوة والغضب ، ولايزال العقل ناظرا إلى الهوى ، قاهرا له ، مالم يحجبه غضب أو شهوة . فحينئذ ينبسط سلطان الهوى وينفذ حكمه .

وإذا أردنا أن نتعرف على صور الحقائق ، التى يحول الهوى دون انطباعها فى القلوب :

فهى المعانى القائمة فى القلوب ، وما اتضح لها وانكشف من الغيوب ، وهى منح من الله تعالى وكرامات ، وصلوا بها إلى البر والطاعات .

من تحقق الوجود ، فنى عن كل موجود . ومن كان بالوجود ، ثبت له كل موجود ، فاثبت أفعال العباد باثبات الله تعالى ولايضرك ذلك . وإنما يضرك الإثبات بهم ومنهم .. وأبى المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى ، لما حقهم به من شهود القيومية ، وإحاطة الديمومية .

وحقيقة زوال الهوى من القلب : حب لقاء الله تعالى فى كل نفس ، من غير اختيار حالة يكون المرء عليها . فالأولياء يفنون عن كل شىء بالله تعالى وليس معهم تدبير أو اختيار .

مبنى قواعد التصوف :

* العمل امتثالا لأمر الله تعالى ، وقياما بالعبودية ، لالحظ ولا لغرض ، فليس رجاؤهم لحصول الجنة ، ولا لخوفهم للبعد من النار . أى ليس ذلك هو الباعث على القيام بالطاعة ، حتى يكون العمل مدخولا معلولا .. بل يعبدون الله امتثالا لأمره ، ولكونه مستحق للعبادة لذاته وصفاته .. ويرجون ويخافون لأنه أمرهم بذلك ، ولكونه يستحق أن يُرجى ويُخاف منه لأنه يفعل مايشاء . ويسألونه الجنة ، ويستعيذون به من النار ، امتثالا لأمره ، وتعظيما لما عظمه ، لافى مقابلة أعمالهم .

* الصوفى لايسكن إلى هذه الدنيا ، ولا إلى ما فيها ، يأخذ قسمه منها ، ويتنحى بقلبه إلى الحق عز وجل ، يقف هناك حتى ينحى وهج الدنيا ، ويؤذن لقلبه بالدخول عليه سفارة سره ، يخرج السر إلى القلب ، والقلب إلى النفس المطمئنة ، والجوارح الطائفة .. فبينما هو كذلك ، إذا أبعد عياله عنه ، وحيل بينه وبينهم ، يكفيه الله شرور الخلق ، ويطيعهم له ، ويحيل بين قلبه وقلوبهم، ويبقى وحده مع ربه عز وجل ، كأن الخلق لم يخلقوا بالإضافة إليه ، أى كأن لاخلق لربه عز وجل سواه .. ويبقى ربه عز وجل فاعلا ، وهو الواقع عليه فعله ، لايعرف غير ربه ، ولايرى غيره ، ويطويه عن الخلق ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ (عبس :٢٢).

* المؤمن فرحه فى باطنه ، وحزنه فى ظاهره سترا للحال .. أما العارف فإن حزنه فى قلبه ، وبشره فى وجهه .. المؤمن صاحب حال ، والحال يحول .. والعارف صاحب مقام ، والمقام ثابت .. فإذا عرف العبد ربه سقط الخلق من قلبه ، وتناثروا عنه ، فيبقى بلا خلق فى الجملة ، يعمى عن رؤيتهم ويصم عن سماع كلامهم من حيث قلبه وسره .. وإذا صارت النفس مطمئنة ، سلم إليها حفظ الجوارح ، ثم يسافر القلب إلى الحق عز وجل يطلب ماعنده ، ثم تأتى الدنيا ، فتصير سائسة للنفس ، قائمة بمصالحها .

* المعصية وجود النفس ، والطاعة فقدانها .. تناول الشهوات يعنى وجود النفس ، والامتناع عنها يعنى فقدانها . امتنع عن الشهوات ولاتتناولها إلا موافقة لقدر الله عز وجل ، لا باختيارك وشهواتك .. تناول الشهوات بيد الزهد فيها ، فتجرك يد الزهد قهرا وجبرا ، فتتناول الشهوة ، فتبلغها إلى النفس .. لاتطلب الدنيا ، ولاتغضب لشىء منها ، فإن ذلك يفسد قلبك..فالتوكل ليس فيه وقوف مع سبب ، والتوحيد ليس فيه رؤية الضرر من أحد.

* فرغ قلبك لربك عز وجل ، واشغل جوارحك ونفسك بالكد على العيال، فتعمل بأمره ، وتكتسب بفعله .. السكوت بين يدى الحق عز وجل ، وترك السؤال له ، مع الصبر والرضا .. أولى من السؤال والدعاء والإلحاح .. لاتدخل فى علم الله عز وجل ، ونحن نجتهد وهو يفعل مايشاء ، دع التعلق بالسابقة ، فإنه حجة الكسالى ، بل شد الأوساط ، واجتهد واعمل، وكن دائما على قدم الطاعة والخوف والوجل ، ولاتقف مع المكتوب، فإن الذى كتبه هو القادر على محوه ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد :٣٩).

* حقيقة التقوى : أنك لوجمعت ما فى قلبك ، وتركته فى طبق مكشوف، وطفت به في السوق ، لم يكن فيه شىء يستحى منه .

اشتغل بنفسك ، وانفع نفسك ثم غيرك .. والحق إذا أرادك لأمر هيأك له ، وإذا أرادك لنفع الخلق ، ردك إليهم ، وأعطاك ثباتا ومقدرة وقوة على مخاطبتهم . فالقوم لا إرادة لهم ولا اختيار ، بل هم فى مجرد أمر الواحد القهار ، وفعله وتدبيره وإرادته .. فامح علمك لعلمه ، ونح تدبيرك لتدبيره، واقطع إرادتك لإرادته ، واعزل عقلك عند مجىء أقضيته وأقداره.

التفكر:

ينفع المبتدىء ، لأن القلب أو النفس أو الروح أو السر ، أو غيرها من المعانى الباطنة ، يألفون صفاتهم الباطنة . فإذا ألفوا التفكر ولدوا وهما ، والوهم يولد خيالا ، والخيال يولد علما ، والعلم يولد يقينا .

فلا يزال العبد المتفكر يترقى بهمته وفكره ، حتى يبلغ درجة الكمال ، فإذا كمل ، كان ما يدركه بالفكر من طريق كشفه وتعريفه .. ولايحتاج بعد ذلك إلي تفكر . ولو أنه أراد التفكر ، لم يجد ما يتفكر فيه . مع أنه فى حال كماله ، يدرك فى الزمن الفرد ، من العلوم والمعارف ، مالا يوصف ، وذلك بفضل تجرد القلب للحق ، حيث ينعم عليه الرب بخواطر رحمانية ، وأنوار لدنية ، تملأ القلب بالمعارف الربانية ، والخواطر الإيمانية .

حيث أجمع المحققون من العارفين : على أن خاطر الحق لايكون فيه أمر ولانهى . إذ قد فرغ سبحانه وتعالى من الأمر والنهى ، على لسان رسول الله ﷺ .

وإنما هذا الخاطر يكون علوما وأخبارا ، لا أحكاما ولاشرعا ، وليس فيه أوامر أصلا .

الرزق:

من أشار إلى الله ، ثم رجع بحوائجه إلى غيره ، أفقره الله إلى الخلق ، ثم نزع له الرحمة من قلوبهم . ومن شهد محل افتقاره إلى الله ، ورجع بحوائجه إليه ، أغناه الله من حيث لايحتسب ، وأعطاه من حيث لايرتقب .

قيل لبعض المحققين : أيطلب العبد الرزق ؟ قال : إن علم أين هو فليطلبه.

قيل : أيسأل الله ؟ قال : إن علم أنه نسيه فليذكره .

قيل : أيتوكل على الله ؟ قال : إن كان فى شك فليختبره .

قيل : فأى شىء يعمل ؟ قال : ما أمر به .

الحزن :

العبد لايحزن على فوات شيء ، لأنه لو قسم له مافاته ، فإن الوقت الذى قسم له فيه طاعة ، لايمكن خلوه عنها .. والوقت الذى قسم فيه بطالته من كسل وخمول ، لايمكن خلوه عنه .. ووقت النوم لايكون يقظة ، ووقت اليقظة لايكون وقت النوم . وهكذا ، ففى الحقيقة لم يفته شيء قسم له ثم فاته ، حتى يحزن عليه . وإنما هو توهم على غير حاصل . والوقت الماضى ذهب بما فيه من خمول وكسل . والحزن يعطل وظيفة الوقت الحاضر عن كمال الإقبال. والعبد مأمور بالإقبال على الله تعالى فى كل نفس ولو فى أسبابه ، فيشهد إقامة الله له فيها .

واعلم أن من حزن على شيء من الدنيا والآخرة ، لاستبعاد أن إيجاد ضد ماوقع له كان أولى ، فقد تعرض لمقت الله تعالى ، لأن الحزن سوء أدب مع الله جلّ شأنه» كالتمنى المنهى عنه ، وصاحب الحزن مع نفسه ، فلو كان مع ربه لرضى بكل حالة برزت على يده ، لأنه تحت القهر .

التوحيد :

حدد بصر الإيمان ، تجد الله تعالى فى كل شيء ، وعند كل شيء ، ومع كل شيء ، وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، وفوق كل شيء ، وتحت كل شيء ، وقريبا من كل شيء ، ومحيطا بكل شيء ، بقرب هو .. وصنعه السماوات . أما مافيها من عظمته ، ومعانى أسرار ذاته ، وكمال قدرته وإرادته ، وسائر صفاته ، فقد فتح لك باب الفهم ، لتدخل بها من ظاهر القشر إلى باطن اللب ، حتى تعرفه فى كل شيء.

توحيد الأفعال : لا فاعل سواه

توحيد الصفات : لاسميع ولابصير ولاقدير ولامتكلم إلا الله . ولاسمع ولابصر إلا به

توحيد الذات : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (البقرة :١١٥)

وكل نوع من ذلك التوحيد له رجاله :

فتوحيد الأفعال : هو توحيد الخواص من العباد .. وتوحيد الصفات : لخواص الخواص . وتوحيد الذات : لخواص خواص الخواص .

ولايثبت للولى السالك طريق المقربين ، قدم على التوحيد من المتأخرين، إلا إذا حكم شهود وحدة الأفعال ، وتلاشى فكره فيها بمشاهدته أن لافاعل إلا الله تعالى ، شهودا ذوقيا ، معه حب شوقى ، لاعلمى ولا رقمى .

إذا تحقق السالك بهذا التوحيد ، خرج من الشرك الخفى جميعه ، وتلك هى الجنة المعجلة ، وذلك بعد السكر من خمرة الحضرة العلية ، فيسلم قلبه من شهود مابه ، ويصير بيتا من بيوت الملك الديان ، فلا يشهد سواه ولايرى فى الأكوان إلا حسنا .

إذا ما رأيت الله فى الكل فاعلا .·. رأيت جميع الكائنات ملاحا

المدد (الفتح الربانى) :

اعلم أن المدد الذى هو الفتح الربانى ، إنما يقع فى القلوب الفارغة من العوائق والشواغل . وقد يوجد العبد كثير الصلاة والصيام ، ولكن باب قلبه مسدود لاشتغاله بأمور دنياه . ففرغ قلبك مما سوى الله ، حتى تشعر بالفاقة والاحتياج بشدة إلى الله .. فالإنسان يجد فى الفاقة من المزيد ، مالايجده فى الصوم والصلاة . لأن الفاقة من أعمال القلوب ، ولكن الصوم والصلاة من أعمال الجوارح . ومعروف أن الذرة من أعمال القلوب ، أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح ، فالفاقات قوت القلوب . والروح محل المشاهدة ، والقلب محل المراقبة . فمن أراد المدد الإلهى والفتح الربانى ، فعليه ألا يعلق قلبه بشىء يشغله عن ربه .

دور الشيخ :

لما كان سبب إرساله الأنبياء هو : تبصير الناس عيوبهم وبيان كمال الحق تعالى ، وعجزهم وقدرته تعالى ، وظلمهم وعدله تعالى ، وجهلهم وعلمه

تعالى، وذلهم وعز الحق تعالى ، وعبوديتهم ومعبوديته تعالى ، وفقرهم وغناه تعالى ، وتقصيرهم ونعماء الله تعالى ، وفناءهم وبقاء الله تعالى .. كذلك حال الشيخ ، حيث دوره يشبه دور الأنبياء . فهو يفتح عيون المريدين بهذا المعنى .. فالمريد إن اجتهد فى إظهار كمال نفسه ، أو عمل عملا يظهر به كمال نفسه ، تعب الشيخ منه ، لأن توجه الشيخ وخدمته ، لأجل اختفاء كمال نفسه ، وإظهاره قدرة الله تعالى .. وهوكل لحظة يفتح عيون ظهور كمال نفسه وإجلالها ، وبذلك فقد اجتهد فى إضاعة مشقة الشيخ .

فينبغى لسالك الطريق أن يجتهد لنفى إظهار كمال النفس ، وإلا فتح عينيه فى رؤية كمال نفسه ، ويصير أعمى عن رؤية كمال الحق ، لأن خاصية النفس ذلك .

معنى التصرف للأولياء :

التصرف الحقيقى الذى هو التأثير والخلق والإيجاد ، فهو لله تعالى ، وحده لاشريك له ، ولاتأثير للولى ، ولالغيره في شيء قط ، حيا ولاميتا . فمن اعتقد أن للولى أو غيره تأثيرا فى شىء ، فهو كافر بالله تعالى .. فأهل البرزخ من الأولياء فى حضرة الله ، فمن توجه إليهم وتوسل بهم ، فإنهم يتوجهون إلى الله تعالى فى حصول مطلوبه ، فالتصرف الحاصل منهم : هو توجههم بأرواحهم إلى الله تعالى ، والتصرف الحقيقى لله وحده .. فالواقع منهم من جملة الأسباب العادية التى لا تأثير لها ، وإنما يوجد الأمر عندها لا بها .

الواردات :

هى : وارد **شريعة** : إذا ورد على قلب السالك ، حثه على اتباع أوامر الله، واجتناب نواهيه .

وارد **طريقة** : كالرضا بمراد الله وحب الله ورسوله ﷺ والحلم واللطف والرحمة والصبر ، ومخالفة النفس .

وارد **حقيقة** : يرد على القلب ، فينفى عنه السوى ، ويبقى الرب لاشريك له. ويشهد صاحبه نفسه بلانفسه .

التجلى :

هو تكشف لقلب السالك ، من أنوار الغيوب ، وهو الظهور بعد الخفا .. وهو على ثلاثة أقسام :

جلالى : ومن تجلى الله له بالجلال قبضه ، وإذا نظر إلى شخص بعين غضب أهلكه . أهل هذا التجلى لهم كتم السر .

جمالى : ومن تجلى الله عليه بالجمال بسطه ، وإذا نظر إلى شخص بعين الرضا أصلحه . أهل هذا التجلى لهم كشف السر .

كمالى : ومن تجلى الحق عليه بالكمال ، كان دائرا بين ماتقدم من جلال وكمال، وأعطى كل رتبة حقها .. أهل هذا التجلى دائرون بين كتم السر وكشفه.

لايتجلى الحق تعالى من حيث ذاته على المخلوقات ، إلا من وراء حجاب الأسماء ، فالأسماء حجب بين العبد وربه .. لاتشهد وجودك ولوازمه إلا عوار عندك منه ، فلا تر وجودك إلا بوجوده ، ولابقاءك إلا ببقائه .

الكون مشكاة ، والصفات مصباح ، والأفعال زجاجة ، والنسب زيت ، والشجرة المباركة جملة الأسماء ، لاشرقية جمالية ، ولاغربية جلالية ، بل هي كمالية ، يأخذ كل واحد منها على قدر نسبته .. فالأفعال تلى المشكاة ، والنسب من شواهد الصفات ، والإضاءة دون نار ، كالظهور من غير استظهار، وربك الفتاح العليم .

من رأى الوجود من ملك وملكوت ، ولم يشهد وحدة وجوده تعالى فيه ، أى فى الوجود بقيام الوجود به ، فقد أشرك به .. فشهوده **فى** الأشياء : شهود فعله فيها ، وشهوده **عندها** : حضورها لها بالمرصاد أى حضور .

وقبلها : لوجودها به تعالى .. **وبعدها** : لما جرى عليها من ظلمة قلوبنا ، بسبب الغفلات .

وجود ظلك بالنسبة لك ، كوجودك بالنسبة لوجود الله ..وإذا كان الظل عدما بالنسبة لك ، فأنت كذلك عدم ، بالنسبة للحق عز وجل ، ولله المثل الأعلى .

الخلوة :

أن يتعرى باطن عن كل شيء ، يتعرى قلبك فيكون مجردا بلا دنيا ولا آخرة ، ولا ما سوى الحق عز وجل ..لا إيمان لك وعلى وجه الأرض من تخافه وترجوه .. لازهد لك ، وفى الدنيا شيء تريده .. ولاتوحيد لك ، وأنت ترى غيره فى طريقك إليه .

اترك شهواتك تحت أقدامك ، واعرض عنها بكل قلبك ، فإن كان لك شيء منها فى سابقة علم الله عز وجل ، فهو يجيئك فى وقته ، لأن السابقة لايصح الزهد فيها ، وعلم الله عز وجل لايتغير ولايتبدل ، يجيئك القسم فى وقته منها مكفى مطيبا ، فتأخذه بيد العز لابيد الذل ، ومع ذلك فقد حصل لك عند الله عز وجل ثواب الزهد فيه ، ونظر إليك بعين الكرامة ، لأنك لم تشره، وتلح فى طلبه .. كلما هربت من الأقسام ، تعلقت بك ، وعدت خلفك، فالزهد فيها لايصح ، ولكن لابد من الإعراض عنها قبل مجيئها .

إذا صح قلبك . كنت أبدا فى غيبة عن الخلق ، ونومة عنهم ، ويقظة بالخالق، فلا يزال بالجلوة فى الخلوة ، وأنت فى الجلوة ، فلا تزال موارد الحق عز وجل وحكمه ، ترد عليك على السر ، والسر على القلب ، والقلب على النفس المطمئنة ، والنفس تملى على اللسان ، واللسان يملى على الخلق أسرار الحق .

أعوان إبليس هم : النفس والدنيا والهوى والطبع . فاحذر الجميع ، فإنهم أعداؤك ، وليس لك محب سوى الله ، فإنه يريدك لك ، وغيره يريدك له . إذا

فقدت نفسك فى حال خلوتك ، وطلبتها مع الطالبين ، حينئذ صارت خلوتك أنسا بالحق عز وجل .. وإذا تركت نفسك مع الدنيا ، وقلبك مع الأخرى ، وسرك مع المولى ، حينئذ تصير خلوتك أنسا بالله .. الخلوة مع الله ، إنما تكون مع الوحدة من غيره .

كيفية الوصول :

هى محو أفعال العبد بشهود تجليات أفعال الحق تعالى ..ومحو صفاته بشهود تجليات صفات الحق تعالى .. ومحوذاته بشهود تجليات ذات الحق تعالى .

فالأول فناء فى الأفعال .. والثانى فناء فى الصفات .. والثالث فناء فى الذات.

«فيفنى ثم يفنى ثم يفنى فكان فناؤه عين البقاء»

وصولك إلى الله : وصولك إلى العلم به ، وإلا فجل ربنا أن يتصل به شيء ، أو يتصل هو بشيء .. **والعلم به :** رؤية الحق بالحق ، والتبرى عن الحول والقوة إلا بالحق .

فالأشياء الموجودة كلها ، مضافة إلى أسمائه تعالى ، متصلة بها غير خارجة عنها ، ولذلك فهى مظاهر الأسماء السارية فى أجزاء العوالم .. فإذا رأيت مسلما وكافرا ، فلتقل فى نفسك : هذا عدل قضاؤه .. وإذا رأيت عزيزا من الخلق ، فهذا ظهر الحق عليه باسمه تعالي (العزيز) .. وهكذا فإذا شهدت هذا المشهد ، عظمت الصفات والأسماء فى مظهر ظهر الحق فيه بها ، وإن كان ذلك المظهر جمادا أو نباتا أو حيوانا . وهذا هو السر فى أن بعض الأولياء يعظمون السلاطين ، وماذلك إلا لظهور صفات الله تعالى الظاهرة عليهم فيها ، فهم إنما يعظمون الصفة القديمة، والجاهل يحسبهم يعظمون السلطان : كذلك إذا رأيت فى الخلق صاحب قبض ، فاشهد ظهور اسمه تعالى «القابض» وكذلك الباسط .. وإذا رأيت ذلك فى نفسك ، فقل : هذا

مظهر اسمه تعالى «المذل» «وتجلياته» وهكذا : فاشهد كل شىء ، كمظهر لهذه الأسماء العلية ، وتأدب مع الاسم الذى تجلى الله عليهم به ، فظهروا فيه .. تفكر فى المعانى القديمة الأزلية ، التى ظهر الحق سبحانه وتعالى بها فى الحوادث .

فإذا أكثر العارف (بتوحيد الأسماء) من التفكير فى معانى الأسماء ، وفى تجلياته فى كل مظهر ، من قديم فى حادث .. إذا أكثر من ذلك ، ولازمه وواظب عليه ، وداوم عليه ، ارتفع فى أعلي الدرجات ، بمشيئة العلى الأعلى .

الوقت عند الصوفية :

يطلق على ما طلبه الحق منك ، وعلى كل تجل من الشئون الإلهية ، وعلى مراعاة الأنفاس ، وإعطائها حقها من عبادة أو عبودية أو عبودة .. فيستغرقهم ذلك عن الماضى والمستقبل . ولذلك يقولون : الصوفى ابن وقته ، أى نعته وصفته كل ما اقتضاه الوقت ، أى ما حقه أن يكون عليه .. فكل من لم يقطع الأنفاس فيما طلبه الحق منه ، كان عليه حسرة ، فالوقت إن لم تقطعه فيما طلبه الحق منك ، قطعك عن الطاعات بالموت .

ولذلك فإن السالك عليه أن يردد قول سيدنا على : آه من طول الطريق ، وقلة الزاد .

والعبد الموفق هو :

من اغتنم فرصة الآمال ، وقطع علائق الأشغال ، وبادر الليالى والأيام، ولم يلهه عن ذكر الله مال ولاعيال ، وقام بعبادة الله على كل حال : مرض أو صحة - فقر أو غنى - صيف أو شتاء - سفر أو حضر .. والله تعالى جعل للطاعات أنواعا لاتنحصر ، فهى ليست فقط فى الصلاة والصيام ، بل إن كثيرا من الطاعات يفعلها العبد مع الأشغال ومباشرة الأسباب .. فإن الذكر والفكر يمكن الاشتغال بهما مع الأسباب .

فعلى العبد أن يرضى بما أقامه الله فيها من الأسباب ، والأشغال المأذون فيها من الشارع ، ويستسلم لأمر الله ، ويشتغل بالذكر والفكر ، ويمنع النفس عما تشتهيه من معارضة أمر الله .. ويجاهدها حتى يكون توجهها كله إلى الله ، حتى لايضيع العمر سدى ، فإلى كل سالك طريق التصوف ، وكل مريد لمعرفة رب العالمين : عليك بقول النبى الأمين : إنما الأعمال بالنيات :

اجعل ذلك نصب عينيك ، فى حركاتك وسكناتك .. فلا تأتى ولاتذر إلا بنية صالحة ، وقصد صحيح ، فتصير أفعالك كلها عبادات ، وحظوظك حقوقا ، وعوائدك قربات ، فتكون متجردا فى عين الأسباب ، ومتسببا فى التجرد ، وتقطع فى وقت قصير ما قد يقطعه البعض فى سنين .

وحدة الشهود :

لو شهد المريد الله فى كل شىء ، كما شهده العارفون والمحبون ، لكان فى ذلك قرة عينه ، ولم يستوحش من شىء لرؤيته له سبحانه وتعالى ، ظاهرا فى الأشياء كلها ، فهى كالمرآة التى ترى فيها الشىء من غير حلول ولا اتصال ، لأنها دالة على الله وصفاته .. فيشهد الله بقلبه فى كل شىء ، فشغله ذلك عن رؤية نفسه ، فلا يكون له من الأشياء وحشة ، ولايخشى منها فتنة، لأنها متلاشية فانية عنده بهذا الاعتبار.

ومتى أوحشك الله من خلقه ، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به ، لأن المراد من الإيحاش من الخلق، أن لاتعجبك صور الألوان ، بحيث يكون لها فى قلبك وقع ، بأن تصغر فى عينك ، فلا يبقى لقلبك بها تعلق، وإن كنت تراها وتشاهدها .. وهذا لاينافى أنها تؤنسك من حيث أنك تشهد الله فيها.

فالمؤمن إذا عرف ربه أحبه ، وإذا أحبه أقبل عليه ، وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه ، لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ، ولا إلى الآخرة بعين الفترة ، فهو بجسده فى الدنيا ، وبروحه فى الآخرة .

النظر إلى المكوّنات لا لذاتها ، بل لتشهد الله فيها :

فالأكوان وإن كانت حاجبة لك عن رؤيتك لله بعين بصرك ، فقد أرتك إياه بعين بصيرتك ، فقد رأيته ولو من وراء حجاب ، وذلك كرامة من الله ، وعناية منه بك .. ولايكون الشهود بالبصيرة إلا بإشراق القلب بنور الإيمان واليقين .. ولايشرق نور الإيمان واليقين ، إلا بعد إخراج الظلمة التى استولت عليه ، من ركونه إلى الأغيار والأكوان ، من السير إلى الله بقطع عقبات النفس التى يجمعها الهوى والشهوات والمعاصى .

معنى وحدة الوجود :

كان الله ولاشىء معه ، وهو الآن علي ماعليه كان ، أى من الإنفراد والوجود الذاتى ، فإن وجود غيره مفاض منه ، وليس ذلك غيرا محضا ، فإنه نشأ عنه كالظل بالنسبة للأشجار . والقائلون بوحدة الوجود ، يريدون بذلك مشاهدة الحق فى كل شىء، وسريان سره فى الكل .. فإن ماعداه، وجوده ليس من ذاته، بل من الله تعالى.. وكل ما كان وجوده غير ذاتى، فوجوده عدم .

فلا موجود فى الحقيقة إلا الله تعالى .. ومن ذاق هذا الأمر ، غاب عن كل ماسواه ، فعليك أن ترى نفسك بعين الحقيقة أى أنت فى الحقيقة غير موجود ، لأنك موجود بالله ، ومن كان موجود بغيره ، كان معدوما بنفسه .. وأن الوجود حقيقة إنما هو الله تعالى فما دمت تشهد لك وجودا ، فلا يتم لك التوحيد الحقيقى لإثبات نفسك ، وبذلك تثبت الأنية ، فتنتفى الوحدانية ، أى يثبت لك الوجود معه تعالى ، وهو له صفة نفسية ، فتشاركه فيها تعالى ، وفى ذلك منازعة للربوبية ، فيبطل التوحيد . فالمطلوب منك الخروج عن رؤية الأغيار كلها ، وإنما تشهد الأشياء موجودة بالله .

حقيقة العارف بالله :

إن تحرك وجد الحق ، وإن عرجت روحه فى الملكوت وجد الحق ، وإن سكن جسمه بأى موضع وجد الحق .. فلا يمد يده .. إلى الأخذ من الخلائق ، إلا أن

يرى أن المعطى فيهم مولاه ، فإن العطاء من رب العالمين ، وبذلك يخرج هم الرزق من قلبه ، فإن أعطى شيئا ، يشهد أن الله أعطى عبدالله من مال الله، وإن أعطى شيئا ، شهد أن الله أجرى له ذلك على يد من أعطاه له .

ولايكفى فى شهودك لرؤية يد الله العلم والإيمان العام ، لأن الإيمان إذا لم يكن عن يقين ، فلا فائدة فيه ، بل لابد أن يكون حالا وذوقا .. إن الإنسان لايزال يرى الفعل من المحسوس : فيرى بعين التبصر أن الشر والخير صادران من الغير ، وهما فى الحقيقة من الله تعالى من غير شك .. فمن يقول فى الخير : أعطانى فلان ، ويقول فى الشر : ضربنى فلان ، أو لسعتنى عقرب ، باعتماد على ذلك ، واعتقاد من قلب ، من غير نظر لوحدانيته تعالى فى فعله ، فإنه فى ذلك مشرك ، بينما لافاعل سوى الله .

المؤمن حقيقة : لايعتقد فى تأثير شىء من الكائنات بنفسه ، فى النفع والضر، بل إن الله تعالى واحد فى فعله ، لاشريك له فى ملكه .. ومن شهد أن الله هو المؤثر ، لم يشهد لأى كائن من الكائنات تأثير .

فتوحيد الأفعال : هو مشاهدة جميع الأفعال من الله لامن غيره ، فى شر أو خير .. فإن كان فعلا مخالفا للشريعة ، يعتمد على أنه من الله بالباطن ، ويتبع الشرع فى الظاهر ، اتباعا لقول الحق سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّه ﴾(آل عمران : ١٥٤) ..﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِند اللَّه ﴾ (النساء : ٧٨).. ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (البقرة : ٢٥٣).. ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ ﴾ (يونس :٩٩).

والذى ينبغى أن تكون عليه حتى لاتشرك ، ولاتخالف الشرع : أن تجعل ظاهرك مجاهدة فى الأمر والنهى ، وباطنك مشاهدة لله فى وحدة فعله .. وقل فى نفسك مخاطبا لربك : سبحانه أثبت لنا الفعل من حيث أثبتنا لأنفسنا ، وكلفتنا بأمرك ونهيك ، ولو أفنيتنا عن ذلك لما كلفتنا .

الدنيا :

دار هم وبلاء وفتنة وغم .. وقد جعل الله لكل نبى عدوا من المجرمين ، ليكون ذلك رفعا لدرجاتهم .. وكذلك الكاملون من المؤمنين لزيادة الصفاء لقلوبهم ، بإقبالهم على الله عند حصول المزعجات .. فليتق المريد مايرد عليه من ذلك ، بالصبر والرضا والاستسلام عند جريان القضاء .

حسن الظن بالله :

يجب أن يتحقق العبد فى مقام حسن الظن بالله ، فلا يجب أن يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله . وإنما استعظم ذنبك استعظاما يحملك على التوبه منه ، والإقلاع عنه ، والعزم على أن لاتعود إليه.. فلابد للمؤمن من خوف ورجاء .. الخوف بلا رجاء قنوط ، والرجاء بلا خوف غرور .. والمؤمن الكامل يستوى خوفه ورجاؤه .

المحاسبة :

ينبغى للمريد أن يجعل له فى كل يوم وقتا يحاسب فيه نفسه .. وأحسن الأوقات لذلك : العصر ، لكونه آخر النهار ، وبعد الصلاة الوسطى . فينظر ما مرّ له فى نهاره كله .. فإن كان طاعة ، فليشكر الله عليها ، حتى يكون ذلك سببا للمزيد.. وإن كان سيئات، فليستغفر الله من ذلك، ويغسله بصابون الاستغفار ، ليدفع عنه وسخ الأوزار . ويكون الاستغفار بعد صلاة العصر، سبعين مرة، ويتذكر أثناء الاستغفار السيئات ويستغفر مما حصل فيها.

الاستقامة :

مطلوبة منا ظاهرا وباطنا .. وهى لاتحصل لأحدنا ، ولو عمل ماعمل ، إلا إذا ترك حب الدنيا من قلبه . والله لن يستقيم عالم إلا إذا تركها ، ولو صام النهار ، وقام الليل ، أى إلا إذا ترك حبها من قلبه .. وعلامة ذهاب حبها ، أن ينقبض بوجودها ، وينبسط بفقدانها .

معنى الرضا بالقضاء :

الرضا ترك السخط ، والسخط ذكر غير ماقضى الله ، بأنه أولى وأصلح له ، فيما لايتيقن صلاحه ولافساده ، وهذا شرط فيه .. وإن قلت : أليس

الشرور والمعاصي بقضاء الله وقدره ، فكيف يرضى العبد الشر ؟ فاعلم أن الرضا إنما يلزم بالقضاء .. وقضاء الشر ليس بشر ، وإنما الشر هو المقضى ، فلا يكون رضا بالشر .

راعلم أن المقضيات أربعة:

النعمة : يجب الرضا فيها بالقاضي والقضاء والمقضى .. ويجب عليك الشكر من حيث أنه نعمة .

الشدة : يجب الرضا فيها بالقاضي والقضاء والمقضى .. ويجب عليك الصبر من حيث أنها شدة .

الخير : يجب الرضا فيها بالقاضي والقضاء والمقضى .. ويجب عليك المنة.

الشر : يجب الرضا فيها بالقاضي والقضاء والمقضى .. من حيث أنه مقضي، لا من حيث أنه شر .. وكونه يكون معلوما لك ، لا أن يكون مذهبا لك، ثم كونه معلوما يرجع إلى العلم . فالرضا والمحبة إنما يكون حقيقة بالعلم بالمذهب المخالف ، لابمذهبه .

الصبر وأنواعه :

الصبر عن المحظورات : فرض - **والصبر على المكاره** : نفل

الصبر على الأذى المحظور : محظور - كمن تقطع يده ، وهو يصبر عليه.. أو كمن يقصد جريمة بشهوة محظورة ، فتهيج غيرته ، فيسكت عن إظهار الغيرة ، ويسكت على ما يجرى على أهله .. فهذا الصبر محرم .

الصبر المكروه : يصبر على أذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع.

الإخلاص والرياء :

حقيقة الإخلاص على ضربين : إخلاص العمل . وإخلاص طلب الأجر.

فإخلاص العمل : هو إرادة التقرب إلى الله ، وتعظيم أمره ، وإجابة

دعوته.. والباعث عليه : الاعتقاد الصحيح .. وضد هذا الإخلاص **النفاق** ، وهو التقرب إلي غير الله .

إخلاص طلب **الأجر** : هو إرادة نفع الآخرة بعمل الخير ، وهو تصفية الأعمال من الكدورات ، وهو دوام المراقبة ونسيان الحظوظ .. قال رسول الله ﷺ لما سئل عن الإخلاص فقال : تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت، أي لاتعبد هواك ونفسك ، ولاتعبد إلا ربك ، وتستقيم في عبادته كما أمرت .. وضد هذا **الرياء** : وهو إرادة الدنيا بعمل الآخرة .

العقبات الواجب اجتيازها :

١- فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية ، لتشرف على ينابيع الحكم.

٢- فطم النفس عن المألوفات العادية ، لتطلع على أسرار العلوم اللدنية.

٣- فطم القلب عن الرعونات البشرية ، ليلوح لك الحكم الربانية .

٤- فطم السر عن الكدورات الطبيعية ، ليظهر لك أنوار المنازلات القريبة.

٥- فطم الروح عن البخارات الحسية ، لتشاهد أقمار المشاهدات الحسية.

٦- فطم العقل عن الخيالات الوهمية ، لتهبط على رياض الحضرة القدسية.. فهنالك تغيب بما شاهدت من اللطائف الأنسية ، عن الكثائف الحسية.

طريق سعادة القلوب :

إن غريزة الغضب تطلب الانتقام ، وغريزة العقل تطلب العلم . والفكر خادم لهذه الغرائز ، فهو يجمع ويركب ويحلل ويصور ، ثم يحرك الجوارح للتنفيذ ، سواء لشهوة أكل أو انتقام ، أو غير ذلك .

ولاطريق لمعرفة ما يفضى إلى السعادة من أفعال القلوب إلا الشرع .. فقد بين الرسول ﷺ المحمود منها والمذموم ، وميز الخبيث من الطيب ، ونبه على

أن شأن الأعمال من استقامة الجوارح ، إنما هو حصول آثار الاستقامة فى النفس ، نتيجة التكرار المستمر ، كالصلاة والتفكير الصحيح فيها .. فمع تكرار ذلك ، تتمكن الهداية من النفس ، وبعد ذلك تصدر الاستقامة منها فى جميع أعمالها بلا تكلف .. إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .. ومن هنا كان الإيمان رأس الأعمال ، وكانت النية التى هى مبدأ الأعمال أصلا فى العبادات «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء مانوى» .

دلائل فهم العبد :

ليس يدل على فهم العبد كثرة علمه ، ولامداومته على ورده ، وإنما يدل على فهمه ونوره : غناه بربه ، وانحياشه إليه بقلبه ، وتحرزه من رق الطمع ، وتحليه بحلية الورع .. وبذلك تحسن الأعمال ، وتزكو الأحوال .

فاخرج الخلق من قلبك ، واقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسم لك، واكتفى بالله ، واعتمد على الله ، وارفع الحوائج إليه .. ارفع همتك عن الخلق ، ولاتذل لهم فى شأن الرزق ، فقد سبقت قسمته وجودك .

الأدب الكامل :

أن تكون الحقيقة عندك باطنا ، والشريعة ظاهرا ، من غير أن تتعدى إحداهما على الأخرى . واجعل عملك ملحا ، وأدبك دقيقا .. ومن ضيع الأدب ولم يفعله ، فقد ضل عنه طريقه ، ولو كان فانيا فى شهود عظمة ربه عن شهود نفسه ، مع حضور عقله .. لأن الغيبة والحضور هما حالتا الكمل من أهل الطريق ، ولايدريها إلا من حصل عليها ، وأما من لم يحصل عليها ، فلا يعرف إلا إذا حصلت له الغيبة ولم يحصل الحضور ، وإذا حصل الحضور ، ولم تحصل الغيبة ، لأنهما ضدان ، والضدان لايجتمعان ، إلا لرجل قدمه على قدم رسول الله ﷺ .

عـداوة العـدو :

عداوة إبليس ، أى عداوة العدو حقا ، هى الاشتغال بمحبة الحبيب .. وأما إذا اشتغلت بعداوة العدو ، نال مراده منك ، وفاتتك محبة الحبيب .. فلا تشتغل قط بمن يؤذيك ، واشتغل بالله يرده عنك ، فإنه هو الذى حركه عليك، ليختبر دعواك فى الصدق .

وقد أخطأ كثير من الناس ، فاشتغلوا بأذية من أذاهم ، فدام الأذى مع الإثم ، ولو أنهم رجعوا إلى الله ، لردهم عنهم ، وكفاهم أمرهم .

التسليم :

التسليم إرسال النفس فى ميادين الأحكام ، وترك الشفقة عليها من الطوارىء والآلام. أى التسليم لمولاك ، والصبر على البلاء، واستواء المنع والعطاء ، وإحكام الوقت . وهو من أشرف الأعمال القلبية ، ويتعلق به تسليم الجوارح البدنية، الموافقة لأمر ذى الجلال والإكرام فى كل حال .. وتسليم الجوارح هو بذلها فى الأعمال الصالحة الشرعية ، مع قطع عوائدها ، قالوا فإنها من الحظوظ والشهوات ، مع ترك الشفقة عليها .

يقول الحق : ياعبدنا لاتشتغل بغيرنا ، واشتغل بنا ، وماكان لك فهو يأتيك منا .. فإن اشتغلت بغيرنا ، وكلناك إليه .. وإن اشتغلت بنا ، نصرناك ، ورزقناك ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق :٣، ٤)

حقيقة الحب :

أن يلتذ المحب بمحبوبه فى كل لذة .. وكيفية ذلك : أن يعلم ويشهد أن حصولها له ، إنما كان به ، وعطاءها إياه ، إنما كان منه ، فيغيب بذلك عن اللذات ، بشهود الملذ ، وعن المحبوبات ، بشهود المحب ، وعن النعم أيا كان، بشهود المنعم .. والالتذاذ يحصل بجميع الحواس ، وعن طريقها .. فلذة السمع : مايلتذ به سمعك من اللغات ، من الإنس وجميع الحيوانات .

ولذة البصر : مايلتذ به بصرك من الجمالات ، وهكذا . والعقل هو ملك هذه الحواس جميعها ، وهى الطرق الموصلة إلى التلذذ بنعم الله .. والعارف المحب لله ، يلتذ فى كل ما يلذ بالله ، لأنه يذوق بروحه ، ويعرف بعقله الروحانى النورانى : أنه لولا الله ، لم تحصل له ، فيشهد اللذة من الله فيحبه.

قال الجنيد : المحب عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه ، أحرقت قلبه أنوار هويته ، وصفا مشربه من كأس وده، وكشف له الجبار عن أستار غيبه .. فإن تكلم .. فبالله ، وإن نطق .. فمن الله ، وإن تحرك .. فلله وإن سكن .. فهو بالله وإلى الله ومع الله .. فبكى الشيوخ وقالوا : ماعلى هذا مزيد ، جبرك الله ياتاج العارفين .

الإرادة والقدرة :

الإرادة ظاهرة بالتخصص فينا.. والقدرة قاصرة على إيجاد كل ما كان عدما ثم وجد .. فإن الإنسان بعد وجوده ، إذا سكن سكن بالإرادة ، وإذا تحرك تحرك بالقدرة ، وإذا صمت فبالإرادة ، وإذا تكلم فبالقدرة .. فقدرته تعالى حاضرة معنا ، فاعلة فينا . فدليلنا على آثارها في الوجود ، حجاب عن المؤثر فيه .

ذكر السر :

العبادة بالسر : هى عبارة عن المشاهدة ، وهى رؤية الحق تعالى فى كل ذرة من ذرات الوجود ، مع التنزيه عما لايليق بعظمته .. أما العبادة بسر السر: فهى عبارة عن الحضور مع الله تعالى ، فى كل وقت من الأوقات ، وهى أعلى وأشرف .. وبذلك فإن أنواع الذكر هى :

ذكر اللسان : فمعروف

ذكر القلب : عبارة عن شغله بالله تعالى ، عن كل ماسواه

ذكر الســـر : تقدم بيانه
ذكر الخفــى : وهو المخاطبة والمكالمة
ذكر الأخفى : فهو النظر إلى حقيقة حق اليقين .. ولايطلع عليه أحد إلا الله تعالى .

حقيقة العبودية :

أن تجعل الهموم هما واحدا ، وتخرج الأشياء عن قلبك ، وتسكنها شيئا واحدا لا كالأشياء . وتخلص عبادتك من الرياء والنفاق والسمعة .. بذلك تحقق العبودية لربك عز وجل .

أما من يعبد الخلق والحظوظ والأهوية والثناء ، فلا تتحقق له العبودية ، إلا من يشاء الله عز وجل ، فالعبودية تتنافى مع حب الدنيا ، وحب دوامها ، والخوف من زوالها ، وحب الخلق والخوف منهم ورجاؤهم، كذلك تتنافى مع حب الجنة وغمها أو الخوف من النار ، دون رجاء خالقهما والخوف منه عز وجل.

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ (البينة:٥)

كونوا من المتقين الشرك فى الظاهر والباطن .. الظاهر : عبادة الأصنام، والباطن : الاتكال على الخلق ورؤيتهم فى النفع والضر .. ومن الناس من تكون الدنيا بيده ولايحبها ، يملكها ولاتملكه ، تحبه ولايحبها ، تعدو خلفه، ولايعدو خلفها ، يستخدمها ولاتستخدمه، قد صلح قلبه لله عز وجل، فلا تقدر الدنيا أن تفسده ، فيتصرف فيها ولاتتصرف فيه ، ترك الدنيا فى يده لمصالح العيال وأخرجها من قلبه .

تلك هى مواصفات العبودية الحقة .. فعليك بخويصة نفسك ، إلى أن تطمئن وتعرف ربها عز وجل ، فينور قلبك بمعرفته .

من آداب الطريق :

* من تزين للناس بما يحبون ، وبارز الله بما يكره ، لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان، يامنافق يابائع المولي عز وجل بالخلق ، خسرت تجارتك ،

وذهب رأس مالك .. أنت متعرض لمقت الله عز وجل وسخطه ، لأن من تزين للناس بما ليس فيه ، مقته الله عز وجل .. زين ظاهرك بآداب الشرع، وباطنك بإخراج الخلق منه .. رد أبوابهم ، افنهم من حيث قلبك ، حتى كأنهم لم يخلقوا ، لاترى على أيديهم ضرا ولانفعا .

* إذا صبرت خفف عنك البلاء ، وأحدث لك أمرا يحبه وتحبه ، وإذا جزعت واعترضت ، ثقل عليك البلاء ، وزادك منه عقوبة لاعتراضك عليه .. واعلم أن سبب الاعتراض عليه هو الوقوف مع النفس والهوى والأغراض وحب الدنيا ، والحرص على جمعها .

* إن أردت الفلاح : فتب من جميع ذنوبك ، واخلص فى توبتك .. تب من شركك بالخلق ، لاتعمل شيئا إلا لله عز وجل .. واصدق فى أفعالك وأقوالك، واصبر فى جميع أحوالك ، فالصدق هو التوحيد والإخلاص والتوكل على الله عز وجل .. وحقيقة التوكل قطع الأسباب والأرباب ، والخروج من حولك وقوتك، من حيث قلبك وسرك ، فالدنيا سجن المؤمن ، فإذا نسى سجنه ، جاءه الفرج.

* اذكر الله عز وجل بقلبك أولا ، ثم بقالبك ثانيا .. اذكره بقلبك ألف مرة، وبلسانك مرة .. اذكره عند مجىء الآفات بالصبر ، وعند مجىء الدنيا بالترك ، وعند مجىء الأخرى بالقبول ، وعند مجىء الحق بالتوحيد ، وعند مجىء غيره فى الجملة ، بالإعراض عنه .. واعلم أن ذكر الموت يصفى قلبك ، ويبغض الدنيا والخلق إليك ، فهو يكشف لك الغطاء عن قلبك ، فترى الخلق فانين عجزى ، لاضر فيهم ولانفع .

* الدنيا دار حكمة ، والآخرة دار قدرة .. فلا تترك العمل فى دار الحكمة، ولاتعجز القدرة فى دار القدرة .. اعمل فى دار الحكمة بحكمة ، ولاتتكل على قدرته .. لاتجعل القدر عذرا لنفسك ، فلا تحتج به وتترك العمل ، فالعذر بالقدر حجة الكسالى ، وإنما يكون العذر بالقدر فى غير الأوامر والنواهى .

من اصطلاحات القوم

للقوم اصطلاحات تداولتها ألسنتهم ، تفهيما من بعضهم للبعض ، ولهم إشارات منهم إلى أحوال يجدونها ، ومعاملات قلبية يعرفونها .

ونسجل هنا بعض تلك الاصطلاحات لتعميم الفائدة :

* **الجمع والتفرقة** : وعندهم أن الجمع بلا تفرقة زندقة ، والتفرقة بلا جمع تعطيل ، والمقصود : أنهم أشاروا بالجمع : إلى تجريد التوحيد .. وأشاروا بالتفرقة إلى الاكتساب .. فهم يقولون : «فلان فى عين الجمع ، يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه . فإذا عاد إلى شيء من أعماله عاد إلى التفرقة.

فصحة الجمع بالتفرقة ، وصحة التفرقة بالجمع .. وهذا يرجع إلى أن الجمع من العلم بالله ، وأن التفرقة من العلم بأمر الله ، ولابد منها جميعا .. فالجمع حكم الروح ، والتفرقة حكم القلب .. ومادام هذا التركيب باقيا ، فلابد من الجمع والتفرقة . ولذلك قالوا : (إذا نظرت إلى نفسك فرقت ، وإذا نظرت إلى ربك جمعت) .

وقد يريدون بالجمع والتفرقة : أنه إذا أثبت لنفسه كسبا ، ونظر إلى أعماله، فهو في التفرقة .. وإذا أثبت الأشياء بالحق، فهو فى الجمع مع الله.

ومجمل ماتقدم ، ماقاله الإمام السهروردى رضى الله عنه :

التوبة هى أصل كل مقام ، ومفتاح كل حال ، وهى بمثابة الأرض للبناء .. إلى أن قال :

إن المقامات والأحوال يجمعها ثلاثة أشياء ، بعد صحة الإيمان ، من تحقق بها يلج ملكوت السماوات ، ويصير له ذوقا وفهما ، ويحظى بالسعادة: الأول : التوبة النصوح ، والثانى : الزهد فى الدنيا ، والثالث : تحقيق مقام العبودية ، بدوام العمل لله ظاهرا وباطنا من غير فتور .. ثم قال :

ويستعان على تلك الأربعة بأربعة أخرى . وهى : قلة الكلام ، وقلة المنام، وقلة الطعام ، والاعتزال عن الناس .

● خلق الأعمال :

كل شيء باعتبار الخلق والإيجاد : ينسب إلى الله تعالى ، وأما باعتبار الكسب : فحق الحسنة أن لاينظر فيها العبد إلى الكسب ، بل إلى الخلق والإيجاد ، وينسبها إلى الله تعالى ، يتبرأ من حول وقوته ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (النساء:٧٩) . وحق السيئة : أن ينظر فيها إلى كسبه وينسبها إلى نفسه. ويعترف بظلمه وإساءته ، عملا بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (النساء:٧٩).

وفى هذا المجال : نسوق تلك المحاورة الطريفة حول الإرادة والمشيئة ، حيث تبين المذاق الرفيع فى تذوق أنوار الحق المبين :

ارتفق عَبدالجبار الهمزانى (أحد أئمة المنعزلة) بالشيخ الاسفراينى:

فقال عبدالجبار : سبحان المتنزه عن الفحشاء .. ففهم منه الاسفراينى: أن معناه عن خلقها ، وأن التسبيح كلمة حق أريد بها باطل ، فقال الاسفراينى خلافا للمعتزلى : سبحان من لايقع فى ملكه إلا مايشاء .

فعرف عبدالجبار أن الأستاذ أفقه منه ، فقال : أيريد ربنا أن يعصى؟

فقال الأسفراينى : أفيعصى ربنا قهرا ؟

قال عبدالجبار : أرأيت إن منعنى الهدى ، وقضى علىّ بالردى .. أحسن إلى أم أساء؟

فقال الاسفراينى : إن منعك مالك فقد أساء ، وإن منعك ماله ، فيخص برحمته من يشاء .

- **ولذلك فمن نصائح السادة فى هذا المجال :**

* لاتتهم ربك عز وجل فى فعله .. نفسك أولى بالتهم ، واللوم من غيرها. قل لها : العطاء لمن أطاع ، والعصا لمن عصا .. إذا أراد الله بعبد خيرا ، سلبه . فإن صبر رفعه وطيبه وأعطاه وأقناه.

* عليك بالكسب والتعلق بالسبب إلى أن يقوى إيمانك ، ثم انتقل من السبب إلى المسبب .

- **وفى الحديث القدسى :**

يقول الله لعبده : ياعبدى افعل ما أمرتك فإنك عبد مأمور مأجور . ولاتشهد الفعل لك ، فإن الفعل لى ، وأنت محدث ، متردد بين العدم والوجود ، وأنا الفعال لما أريد ، ففعلك لى ، وثواب فعلك لك ، لأنى غنى عنك وعن فعلى فيك ، ولك وبك . فإن شهدت الفعل لك فأنت مشرك ، وإن لم تفعل فأنت كافر . فاحذرنى وافعل كل ما أمرتك به ، ولاتنسب لنفسك قولا ولافعلا ، وأنا الخلاق العليم .

معنى الوصول إلى الله تعالى :

هو الوصول إلى العلم به ، أى إلى مشاهدته بعين البصيرة .. وهو على ثلاث مراتب :

١- **مرتبة تجلى الفعل** : بأن يكشف لصاحبها عن صدور الأفعال كلها من الله تعالى فلا يمكنه رؤية الفعل من غيره مع ذلك ، وإنما ينكشف ذلك لبصيرته . فمهما رأى فعلا من الأفعال ، أو أثرا من الآثار ، رآه من حيث أنه صنع الواحد. فلا يرى السماء والأرض والحيوان والشجر ، من حيث أنها سماء وأرض و ... بل من حيث أنها صنع الله تعالى . فمن ناظرها من هذه الحيثية، كان ناظرا إلى الله تعالى . وقيل عنه أنه فنى فى التوحيد ، وفنى عن نفسه (كنا بنا ففنينا عنا ، وبقينا بالله) وهذا مقام علم اليقين.

٢- **تجلى الصفات الجمالية** : من كرم وحلم ورفق ، التى هى منشأ الأنس، وتجلى الصفات الجلالية ، من بطش وسطوة وعزة ونعمة ، التى هى منشأ الهيبة. وهذا صاحب تجريد وتفريد : أى لايفعل الطاعة لأجل الأغراض

الدنيوية والأخروية ، بل يؤديها عبودية وانقيادا . ولايرى نفسه فيما يأتى، بسبب ماكوشف به من عظمة ، ويرى نعمة الله عليه. فهو صاحب حب فناء، لفنائه عن السوى، وصاحب بقاء ، لشهوده صفات الحق ، ولفناء صفاته المذمومة، وبقاء صفاته المحمودة ، وهذا مقام عين اليقين.

٣- **تجلى الذات المقدسة :** بما يتكامل مع تشعشع أنوار قلبه باليقين، فيستولى على قلبه أنوار الحق ، حتى لايبقى له هاجس ولا وسواس ، وليس من ضرورته الفناء ، بل الكامل فى ذلك ، هو الذى يكون فى غاية الصحو ، يجمع بين الحق والخلق .

التخلق والتحقق :

التخلق بأوصافه تعالى : أن تكون فى باطنك متصفا بالصفة ، فتكون فى ظاهرك عزيزا كبيرا عنده عظيما به ، قويا فى دينك وفى معرفتك ، عالما بأحكامه .. فليس الغرض منازعة صفات الربوبية ، ولكن المراد به هو : التخلق على حسب ما يليق بالعبد . فيتخلق بالعزة : بمعنى أنه لايذل نفسه للخلق ، لأجل تحصيل الدنيا .

ويتخلق بالغنى : بمعنى أنه لايمد نظره إلى مافى أيدى الناس ، ولايطمع فيهم ، ويرفع همته عن التعلق بهم ، والتملق لهم .

ويتخلق بالقدرة : بمعنى أنه لايعجز عن أداء ماكلف به من حقوق الله ، وحقوق العباد .

فحاصل التخلق هو : استعمال الحرية فى الباطن والعبودية فى الظاهر.. أما المحذور فهو رؤية الكمال لنفسك ، ونسبة الحول والقوة لها .

أما التحقق بأسماء الله تعالى : فهى أن تكون تلك المعانى فيك راسخة متمكنة ، متحققا فيك وجودها.

فالتخلق مجاهدة ، والتحقق مشاهدة ، أى يكون وجودها عزيزا .. والكامل من يتحقق بعظمة الربوبية فى الباطن ، ويتحقق بأوصاف العبودية فى الظاهر.. فالجمع فى باطنه مشهود ، والفرق فى ظاهره موجود .

وكيفية التخلق بأوصاف العبودية هو : التحقق بالذل فى الظاهر ، حتى يصير الذل عندك حرفة وطبيعة لاتأنف منه .. وكذلك الفقر والضعف ، وسائر أوصاف العبودية ، تتحقق بوجودها فى ظاهرك .

من استغنى بالله افتقر إليه ومن افتقر إلى الله استغنى به

ومن تعزز بالله ذلَّ له ومن ذلَّ له تعزز به

ومن شاهد قدرته رأى عجز نفسه ومن رأى عجز نفسه شاهد قدرته

ومن نظر ضعف نفسه رأى قوة مولاه ومن رأى قوة مولاة علم ضعف نفسه

فمن غيرته تعالى : أنه اختص بأوصاف الربوبية ، ونهانا عن إظهارها والتحلى بها ، حالا أو مقالا .. وذلك كاتصاف العبد بالعز والعظمة والكبر، وطلب الرياسة والعلو ، فإن فعل شيئا من ذلك استحق من الله الطرد.

فكل من أظهر الحرية ، رده إلى العبودية بالقهرية .. وكل من أظهر العبودية ، حقق له فى باطنه الحرية ، وملكه الكون بالكلية ..

حقيقة الذكر:

الذكر فى الملأ يعني بحسب الظاهر مع الخلق ، والباطن مع الله .. كما قال تعالى : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور:٣٧) .. هذه الآية إشارة إلى هذا المعنى .

قوله تعالي : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (النساء:١٣٦) فهو إشارة تعنى فى كل طرفة عين ، تنفى الوجود الطبيعى ، وتثبت المعبود الحقيقى .

نفى الوجود أقرب الطرق ، ولكن لايحصل إلا بترك الاختيار ، ورؤية قصور الأعمال . قال أهل الحقيقة : الإيمان عقد القلب بنفى جميع ماتولهت القلوب إليه من المنافع والمضار سوى الله تعالى .

لا إله إلا الله نفى الوجود الطبيعى .. إلا الله : اثبات المعبود الحقيقى .. ومحمد رسول الله : دخولك مقام «فاتبعون» .

فالمقصود بذكر الله : أن تتصل بحقيقة كلمة التوحيد .. وحقيقة الكلمة : أن تنفى ماسوى الله ، ولاتحتاج لكثرة الذكر .. فينبغى الرؤية إلى العناية السابقة الأزلية ، راجيا لها بلا علة وسبب .. ولكن طالبا له ، ولاتكن غافلا عنه لحظة .. واحفظ نفسك عن استغنائها ، وقابل حق الله بخشية كثيرة ، وكن خائفا من الاستغناء الحقيقى .

حفظ الخواطر :

إن السلوك ينبغى ألا يكون خاليا عن ثلاث خصال : حفظ الخواطر - والتوجه إلى الذكر - والمشاهدة لأحوال القلب .

منع الخواطر متعسر ، ولا اعتبار للخاطر . لكن لاينبغى أن يتمكن ، فتمكنه يسد مجارى الفيض ، فينبغى للطالب أن يكون دائما فى نفى الخواطر، ويخلى نفسه بأمر المرشد ، حضورا وغيبة من الخواطر ، حتى لايتمكن فى باطنه .. وبهذا الطريق : الذهاب منك فيك .. وعلامة ذهابك فيك : غيابك عن نفسك ، وحضورك مع الله تعالى . فالغيبة على قدر العشق والحب المفرط . فالغيب عن الملك والملكوت هو الفناء، والغيبة عن الغيبة ، فناء الفناء .

سُئل أحد الشيوخ : **بأى شيء تجد الطريقة ؟**

قال : بالشرع ، والمحافظة على الأمر الوسط فى الطعام ، لافوق الشبع ، ولا الجوع المفرط ، وتقليل المنام علي حد اعتدال المزاج على الخصوص، وإحياء قيام الليل ، بحيث لايطلع عليه أحد ، وينبغى التوجه والذهاب فى نفسك ، ونفى الخواطر .. وعلى الخصوص نفى خاطر التمنى بنسبة الحال والاستقبال والماضى .. وهو مؤثر فى رفع الحجب عن القلب . وقال : إذا سكت اللسان عن فضول الكلام ، نطق القلب مع الله سبحانه .. وإذا نطق اللسان ، سكت القلب .. والصمت على قسمين : صمت باللسان ، وصمت بالقلب عن خواطر الأكوان .. فمن صمت لسانه ، ولم يصمت قلبه ، خف وزره .. ومن صمت

لسانه وقلبه ، ظهر له سره ، وتجلى له ربه عزّ وجلّ .. ومن لم يصمت بلسانه ولابقلبه ، كان مملكة للشيطان وسخرة له ، أعاذنا الله من ذلك .. ومن صمت قلبه ولم يصمت لسانه ، فهو ناطق بلسان الحكمة ، ساكت عن فضول الكلام، رزقنا الله ذلك بفضله وكرمه .

الحضور والمشاهدة :

معنى كلمة نفى الطبيعة : أن النفى رجع إلى نفى الكثرة وصور الأشياء، إلى عين الوحدة ، لأنه المقصود والمطلوب لجميع السالكين .. والإثبات عبارة عن : مشاهدة الواحد في الكثيرات والتعدادات . فلا إله : يعنى هذه الصورة المتوهمة التى تنفيها غيرية الحق ، وكلها راجع إلى أصل واحد .

ينبغى للسالك أن يكون حاضرا ، وواقفا على نفسه حال دخوله ، حتى لايقع الفتور فى حضرته تعالى إلى أن يصل إلى حالة ، يكون له هذا العوز دائما ، بلا تكلف وتأمل .. بل إن أراد المتكلف أن يخرج من هذا الحضور لا يقدر .. وذلك الحال يستولي عليه بعض الأوقات ، يكون له خبر عن نفسه ، ولا بالوقوف القلبى ، فينبغى بعد الإفاقة ، يكون متوجها حتى لايحصل فتور فى حضوره ، بواسطة بعض العوارض النفسانية .. ودوام الالتجاء والافتقار بصفة الانكسار إلى جنابه سبحانه وتعالى ، سبب قوى لحصول نسبة الحضور.

فينبغى أن تطلب ثبوت الحضور ، بالافتقار إلى الحق سبحانه وتعالى .. وإن صرف أحد عمر الأبد فى تحصيل هذا الأمر ، وحفظ الحضور ، أدى حقه ، ووقع فى شأنه هذا الأمر غريم لايقضى دينه : فإن معنى المشاهدة ، ليس هو الذى يرى الله تعالى ، بحاسة البصر .. (لأنه لما يتجلى الله تعالى، لمعة من الأنوار ، التى لانهاية لها ، فالأرواح والأشباح كأنها لم تكن موجودة ، فلا يكون لها اسم ولارسم ولا أثر) .. **ولكن معنى المشاهدة هو** : حضور القلب بحقيقة الذكر الغير مرتبط بالحرف والصوت ، فيترقى بواسطة مداومة الذكر، إلى درجة لايسع قلبه غير الله ، ويقال فى هذا الحال : القلب مشاهد ، والحق

شاهد .. ولايجد كمال الذوق ، إلا بعد زوال وصف الحضور ، فيبقى الحضور بعدم الشعور بالحضور ، لابقدر شعور الحضور .. لأن ذات الله تعالى أوسع وأكبر أن يسعها بصيرة القلب ، فكيف يجوز أن يبصره بحاسة البصر؟ ومن هنا لايزول الظمأ من المتعطشين إلى زلال الوصال ، بل يزيد ذلك العطش .. والله أعلم بحقائق الأمور .

وقع الكلام ليلة فى محبة الذات ، فقيل : هو عبارة عن ارتباط ، وتعشق إلى الله ، لايعرف سببه ، ولاموجب له ، بل يجد فى نفسه ميلا وانجذابا ، لايقدر أن يدفعه .

محب الله فى الدنيا عليل	تطاول سقمه فدواؤه داؤه
سقاة من محبته بكأس	فأرواه المهيمن إذ سقاه
فهام بحبه وسعى إليه	فليس يريد محبوبا سواه
كذاك من ادعى شوقا إليه	يهيم بحبه حتى يراه

الجمع والوحدة:

قال بعض العارفين : إذا تجلى الحق سبحانه بذاته لأحد ، يرى كل الذرات والصفات والأفعال متلاشية ، فى أشعة ذاته وصفاته وأفعاله ، ويجد نفسه مع جميع المخلوقات ، كأنها مدبرة لها ، وهى أعضاؤها ، لايلم بواحد منها شىء ، إلا ويراه ملما به .. ويرى ذاته الذات الواحدة ، وصفته صفتها ، وفعله فعلها ، لاستهلاكه بالكلية فى عين التوحيد .. وليس للإنسان وراء هذه المرتبة مقام فى التوحيد .. ولما انجذبت بصيرة الروح ، إلى مشاهدة جمال الذات ، استتر نور العقل الفارق بين الأشياء ، فى غلبة نور الذات القديمة، وارتفع التميز بين القدم والحدوث ، بزهوق الباطل عند مجىء الحق .. وتسمى هذه الحالة جمعًا .

أمـا الوحـدة على الإطلاق فى تجلى الذات : تكون من حـيث هى .. ومشاهدة الوحدة فى ضمن تجليات الصفات ، مقيد بمعنى تلك الصفات . وإن كان مشاهدة .

الوحدة على الإطلاق تماما : تكون هذه الشربة شربة مادة الحيـاة .. ولاتتم مشاهدة الوحدة ، إلا أن يكون العارف يشاهدها فى ضمن جميع الصفات ، ويحيط بهـا .. فبعـد ذلك تزين له هذه المعـرفـة ، وتزول الاثنينيـة فى هذا الشهود ، فلا يبقى زين ولا قوام .

خـاطبى الحق من جنانى فكان وعظى على لسـانى
قـربنى منه بَعْـد بُعْـد وخـصنى الله واصطفـانى
أجـبت لما دعـيت طوعـا ملبـيـا للذى رعـانى

رأى أحـد الأوليـاء روح الحسين بن منصـور الحـلاج فى عليين فى مـقـام عـالى.. فتـوجه إلى الله تعالى وقال : يا الله ، ماهذا الحال؟ فـرعون قال : «أنا ربكم الأعلى» ، وقال الحسين بن منصور : «أنا الحق» فكلاهمـا ادعى دعوى الألوهية .. والآن روح الحسين بن منصور فى عليين ، وروح فرعون فى سجين ، فما الحكم فى ذلك ؟

فنادانى فى سرى : فرعون رأى نفسه ونسينى ، وحسين بن منصور رآنى ونسىَ نفسه .. انظر الفرق بينهما .

العبـودية :

* أن لاتركن إلى شىء ، ولاتأمن نفسك فى شىء ، ولاتأمن مكر الله بشىء ، ولالغير شىء . ولاتختر لنفسك حالة تكون عليها ، فإنك لاتدرى: أتَصل إلى ما اخترته أم لا ؟ ثم إن وصلت إليه فلا تعلم : ألك فيه خير أم لا ؟ وإن لم تصل إليـه ، فـاشكر الله الذى منعك ، فـإنه لم يمنعك عن بخل . فكن حسن الظن بربك ، وإذا خيـرك الحق تعالى فى شىء ، فـاختـر عدم

الاختيـار، ولاتقف مع شيء ، ولاترى لنفسك شيئا ، ولاتحزن على شيء خرج منك ، فإنه لو كان لك ، ماخرج عنك ، ولاتفرح قط بما حصل لك من أمور الدنيا والآخرة، دون الله ، فإن ماسوى الله عدم.

* والخبير من عرف الله بالربوبية ، وافتقر إليه بالعبودية ، وشهد بسره ماكشف الله له من آثار القدرة بقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ (الحديد:٢٢).. فمن سمع هذا من ربه ، وشهده بقلبه ، وقع فى الروح والراحة وانشراح الصدر ، وهان عليه مايصيبه .. فإذا فنى العبد عن أوصاف النفس ، تخلص من الاضطراب، وجاز إلى عالم السكون ، ومعرفة سر القدر - وفى الحديث : الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن .

* إذا صفت قلوب العارفين ، تتأثر بتجلى صفات الله فيها ، فالعارف وإن ظهرت فيه أوصاف الربوبية ، وأشرقت عليه ، فهو باق فى عبوديته ، فالعبد عبد ، والرب رب .. كالشمس إذا قوبل الشيء بها عن طريق مرآة، فإن تأثيرها ينتقل إلى الشيء ، مع أن الشمس لم تنتقل من موضعها ، وكذلك الرابطة ، أى رؤية وجه الشيخ ، فإنها يثمر كما تثمر الذكر، بل هى أشد تأثيرا ، وكذلك الاجتماع بالمشايخ .. ولهذا كان يستغنى الصحابة برؤية طلعته ﷺ ، وينتفعون بها أكثر مما ينتفعون بالأذكار .

* يا أيها المقبل بقلبك على الأغيار : طهر قلبك بماء الاستغفار ، وسبحه من هذه النجاسات بتراب الذلة والانكسار ، ولاتقبل بقلبك إلا عليه ، ولاتنطرح بذلتك وانكسارك إلا بين يديه ، وليس للقلب إلا وجهة واحدة ، فمتى توجه إليها حجب عن غيرها .. فوجه قلبك لمولاك ، وصحح صلاة سرك ونجواك ، واسغن عن البرية ، واجعل قيامك استقامة فى طاعته ، وركوعك خضوعا لعظمته ، وسجودك فناء فى حضرته ، وغب عن

الأكوان، واشهد مقام الإحسان ، ترث علوم سيد ولد عدنان ، ولتكن عبدا لمن هو كل يوم فى شأن .

وقال عبدالله بن منازل : العبد عبد ، مالم يطلب لنفسه شيئا ، فإذا طلب لنفسه شيئا ، سقط عن حد العبودية ، وترك آدابها ، لكونه عظم نفسه ، ورآها أهلا لأن تعطى شيئا ، فلا يرى الفضل لمولاه فى لطفه به ، حيث أعانه على طاعته ، وأجراها عليه .

الحرية :

هو مقام فوق العبودية . وهو أن يكون بكمال العبودية ، لأن كمالها إفراغ الوسع والجهد في الطلب بالبدن والقلب ، فى كل ما يرد عليه من الله تعالى.. فإذا صدقت عبوديته ، خلصت من رق الأغيار حريته .. فأما من توهم أن العبد يخلع وقتا عذار العبودية ، ويحيد عن حد الأمر والنهى ، وهو مميز فى دار التكليف ، زعما منه أنه مشتغل بالربوبية .. فذلك انسلاخ من الدين.

والذى أشار إليه القوم من الحرية : هو أن لايكون العبد بقلب تحت رق شىء من المخلوقات ، لامن أعراض الدنيا ، ولامن أعراض الآخرة .. فلا يطلب حالا ولامقاما ، ولاقربا من جنة ، ولا بعدا عن نار .. يفعل ما أمره الله به ، ويتجنب مانهاه عنه ، عبودية لله تعالى . فإن طلب الجنة ، أو خاف من النار ، يكون إنما يفعل ذلك امتثالا لأمر الله تعالى ، فإن الله تعالى أمر عباده أن يسألوه الجنة ، ويستعيذوه من النار .. فإذا فعل ذلك امتثالا للأمر، لا طلبا لحظ النفس ، كان قائما بحق العبودية ، وله الثواب الأوفى على ذلك.. فقول من قال : ماعبدناه طمعا فى جنته ، ولاخوفا من ناره ، ليس مقصودهم : أنهم لايرجون ولايخافون ، فإنهم مأمورون بذلك .. ولكن مرادهم: أنهم مافعلوا ذلك طلبا لحظ أنفسهم ، بل حيث مافعلوه ، إنما يفعلونه عبودية وامتثالا لأمر الله تعالى .. فصاحب هذا المقام يكون فردا لفرد ، لم يسترقه عاجل دنيا ، ولاحاصل هوى ، ولا آجل منى ، ولانيل إرب.

فالحر : من لم يعلق قلبه فى الدنيا بعرض ، ولافى الآخرة بعوض .. وأول الأمر وأساسه امتثال الأوامر ، واجتناب النواهى .

الفتوة :

هو مقام أعلى من الحرية .. وهو مقام جليل ، وهو أن تكون ساعيا فى أمر غيرك ، ولاتشهد لك فضلا ، ولاترى لك حقا على غيرك . والفتى : من كسر الصنم ﴿ فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ (الأنبياء:٦٠).. وصنم كل إنسان نفسه.. فمن خالفها وهواها ، فهو فتى علم حقيقة الاستقامة . وهى أن تكون أفعال العبد كلها موزونة بميزان الشرع ، من غير تكلف تقويم ولا إقامة.. وهى بالنظر إلى محالها : خمسة أنواع (استقامة اللسان ، واستقامة القلب، واستقامة النفس ، واستقامة الروح ، واستقامة السر) .. فالأولى بالنطق بالحكمة ، والثانية : بصدق الهمة - والثالثة : بحسن الخدمة - والرابعة : بتعظيم الحرمة- والخامسة : بالاشتغال بالمنعم دون النعمة .

والفتى الكامل : من يجمع بين الحق والخلق ، فيكون مع الخلق بظاهره ، ومع الحق بقلبه .. ولاشىء أعون للعبد على مايوصله إلى الله تعالى ، مثل الإكثار من ذكر الله تعالى ، وامتثال أمره واجتناب نهيه ، مع إظهار الذل ، والافتقار والتبرى من حول العبد وقوته ، والرجوع إلى حول الله وقوته ، ورؤية الفضل والمنة لله تعالى ، وفى الإكثار من البسملة ، والإتيان بها عند كل أمر ذى بال ، والتمسك بالعروة الوثقى ، وشهود مقام الإحسان ، وأن كل شىء لايكون إلا بالله ، وفى ذلك تبرى من الحول والقوة .. ومن تحقق بهذا المقام ، لايعتمد على شىء من الأعمال ، بل على فضل الله ورحمته .

شهود الوحدانية :

أن ترى الله سبحانه فى كل شىء ، تعالى عن الظرفية والحدود ، وعن الأماكن والجهات ، وعن الصحبة والقرب فى المسافات ، وعن الدور

بالمخلوقات. وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن . وهو هو هو.. كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن علي ماعليه كان .

وإن ماجرى في كلامه من الظروف ، ليست بزمانية ولامكانية ، لأنها من جملة الأكوان .. وإنما هى أمور ذوقية، فاعتقد كمال التنزيه، وبطلان التشبيه، وتمسك بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى:١١).

ومعنى: هو الآن على ماعليه كان .. أنه لاوجود فى الحقيقة للأشياء معه تعالى ، وإنما هى كالخيال ، ووجود الظلال ، فلا تنسخ أحديته .. ومن غلب عليه شهود الأحدية ، وكوشف بسر الوحدانية ، واستغرق فى الحقيقة العيانية، انقطع عن الشعور بنفسه ، وغاب عن السوى بالكلية ، وإن رد إلى الشعور به ، رآه قائما به ، وظاهرا فيه وبه ، وحكما من أحكامه .

الأكوان ظاهرها عزة ، وباطنها عبرة ، فمن وقف مع ظاهرها ، كان محجوبا ، ومن نفذ إلى باطنها ، كان عارفا محبوبا .. فانظر ماذا فيها من أسرار عظمته ، لتدخل بها من الظاهر إلى الباطن ، وترى دلائل وحدانيته وكمال قدرته .

الفناء :

الفناء ثلاثة أقسام :

فناء عن فعلك : وهو قولك : لافاعل إلا الله .

وفناء عن صفتك : وهو قولك : مافى الحقيقة حى إلا الله

وفناء عن ذاتك : وهو قولك : لاموجود إلا الله

فمن شهد الخلق لافعل لهم ، فقد فاز .. ومن شهدهم لاحياة لهم ، فقد جاز.. ومن شهدهم عين العدم ، فقد وصل .

جعل الله تعالي خلقه حجابا عن حضراته الأربع : حضرة أفعاله وأسمائه وصفاته وذاته .

فمن فنى عن أفعالهم : شهد وحدة فعله ، وكشف له تعالى عن أول حجاب من حجبه ، وتجلى عليه بنوره ، حتى شاهده وعرف جريان قدرته في جميع الكائنات ، وكان من أهل شهود الوحدة فى الكثرة .

ومن فنى به فيه عن أسمائهم : شاهد وحدة أسمائه .. وتوحيد الأسماء على مراتب ثلاث :

أدنى : وهو معرفة معانى الأسماء - وأوسط - وهو معرفة مظاهر الأسماء - وأعلى : وهو مشاهدة الأسماء كلها اسما واحدا.

ومن فنى به تعالى فيه عن صفات الخلق : شهد وحدة صفاته ، وتجلى عليه الحق بنور من أنوار ذاته ، وصرفه فى مخلوقاته ، وكان سمعه الذى يسمع به و. . الحديث .

وصفة الفناء فى الصفات القائمة بالذات : أن يفنى فى صفة القدرة الواجبة له تعالى .. مثلا نشاهد التأثير فى الأفعال الظاهرة والباطنة له تعالى لايفتر: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ (النجم:٣١).. أو أن يفنى فى صفة الإرادة، وذلك بأن يكون كارها لغير إرادة الله تعالى ، مريدا لكل مايريده، فرحا به مسرورا ، راضيا غير ساخط ، مطمئنا غير منازع .. ولكن لابد من مراعاة الشرع ظاهرا لاباطنا فقط :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس:٩٩).

والفناء فى صفة علمه تعالى : أن يتحقق العبد بجهله بكل معلوم ، إلا بتعليم الله ، مفتقرا إليه .

والفناء فى حياته تعالى : مشاهدة موتك حالا ، لوجود حياته .

الشهود والفناء :

العارف معدوم كل العدم عن معارفه وأحواله ، باق كل البقاء باتصال نور جماله .. فلو كان له رسم يحد بحال ، لغاب عنه الحق وفقد .. ولو كان له

حال واقف به لستر عنه الحق ، وكان الحال حجابه .. فكل شيء تنصبه في مرآة شهودك ، إنما هو حجابك عن مشهودك .. فلو كان الحق محجوبا بشيء، لغفره ذلك الشيء واختفى فيه ، وكان ذلك الشيء حرفا يحويه ، وهذا محال عليه سبحانه وتعالي ، جل ربنا عن الظرفية والمكانية والقبلية .. بل هو ظاهر كما هو ، فلا يعرف ماهو إلا هو .. إنما المحجوب أنت بما شهدته ووجدته.

فلو أطرحت شهودك ، لاغتفر في وجودك ، وغاب شهودك ومشهودك ، فرأيت الحق أظهر مما أظهر ، فلا تجد معه عرشا ولاعرضا ولاجوهرا ، على وفق معنى ماتضمنه «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

ذكر القلوب موهوب ، وذكر اللسان مكسوب .. فمعنى ذكر اللسان : اذكروني ، ومعنى ذكر القلوب : أذكركم ، أي أفتح قلوبكم باسمي ، فتكون محلا لحبي .

«علامة الإخلاص أن تغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق» .. فكل ما في العالم خلق من أقصى السدرة إلى منتهى البهموت : صورها ومعانيها ، أنوارها وظلماتها ، أراضيها وسماواتها ، أرواحها وأسرارها .. فكل خلق يجب الإعراض عنه ، مع مشاهدة خلاّقها ، ليخلص مالك له .

وإذا نزهته عن جميع مخلوقاته ، وعلمت فقرها الكلي إليه ، صح نظرك.. فالعالم بأسره مفتقر إليه : العقول مفتقرة إلى تكميل من نور أحديته، لتشهد جلاله ، والأسرار مفتقرة إلى تخصيص ، لتحضر حضرته ، والأرواح مفتقرة إلى روح ينفخ فيها لتحيا بحياته .

فالعقل الطبيعي الظلماني بمفرده ، محجوب عن التجليات الإلهية ، والمعارف الربانية ، لوقوفه مع الصور الظاهرة ، من حسن وقبح ، وخطأ وصواب ، بخلاف العقل الروحاني النوراني ، فان في طلب الحق وبه هدى .

الكرامة العليا : أن تغيب أيها السالك عن نفسك ، فلا تشهد لها وجودا ولاحياة ولافعلا مع الله .. وعن الأكوان ، وهي كل مخلوق سوى الرحمن .. بشهود الله ، بحيث لاترى سماء مبنية ، ولا أرضا مدحية ، ولامخلوقات حية أو غير حية .. ولا .. ولا .. بل وجهه الباقي الدائم الوجود .

الفكرة :

الفكرة على قسمين : فى الحدوث .. وفى القدم

الفكرة في الحدوث : هى الفكرة فى صنائع قدرته .. والأعلى منها : هى الفكرة فى القدم .

الفكرة فى القدم : على أربعة أقسام :

١- ذاتية : ومنها * ممنوع : وهو التفكر فى كيفية الذات وماهيتها وأنيتها وعينيتها.

* مطلوب : أ- أدنى : وهو الفكرة في وجود الذات وقدمها ، ومخالفتها للخلق ، وقيامها بنفسها .

ب- أعلى : هو الدهش في كبريائها أى كمالها عن كل نقص وعيب، والغيبة بها عما سواها ، وهذا هو التجلى الذاتي.

٢- أسمائية : وتتفرع أيضا إلى فرعين :

١- أدنى : وهو معانيها ومظاهرها وعظمتها .

٢- أعلى : وهو قيام الوجود بالحروف المفردة ، الثمانية وعشرين ، وتركيبها فى الأسماء . والاسم عين المسمى وذاته.

٣- صفاتية : ١- أدنى : وهو جولان القلب فكرة وعبرة ، بأنه تعالى قادر ومريد ، وعالم وحى وسميع وبصير ومتكلم، وتعلق ذلك بالممكنات والموجودات ، والواجبات والمستحيلات والجائزات.

٢- أعلى : وهو مشاهدة أن كل ماسوى الله ، مما يوصف بالحياة، ميت في الحقيقة وأن لاحى إلا الحى .

٤- الفعلية : ١- أدنى : وهو أنه تعالى فاعل ، من غير معين ، ومن غير آلة ، بخلافنا نحن في أفعالنا .

٢- أعلى : وهو أنه الفاعل ، وليس لسواه فعل ، لأن بيده ملكوت كل شيء ، وتاره يفعل بآلة ، وتارة يفعل من غير آلة

فمن أراد تنوير باطنه بالمعرفة ، فعليه بالفكرة العليا ، وأن يصمت ويجعل باطنه منعزلا عن الخلق ، ولو كان معهم .. واجعل فكرك دائما يستدل على خالق الأكوان ، من جماد ونبات وحيوان فى جميع العوالم ، فتستدل بها على صانعها ، وتعرفه بها ، وتجيل فكرك فى بدائع صنعه تعالى ، حتى تندهش من عظمة الصانع ، على أن فكرك فى نفسك أتم وأكمل .

والفكرة أعلى من العبادة ، لأن العبادة تنقطع عن صاحبها فى الجنة ، ولكن الفكرة لاتنقطع عنه أبدا.

الفكرة لها عين ، وفى اليد أربعة أبواب : **باب الرحمة** : فكرة الندم على المعاصي - **وباب النعمة** : فكرة النظر بالقلب إلى نعم الرب - **وباب الرضا** : تحققك أن ماسبق من قضاء الله عليك ، واصل إليك ، فتكون راضيا باختيار الله لك - **وباب الوصول** : الفكرة فى أصل الأصول : وهو شهود عدمك لوجوده .

معراج القلوب :

* الصوفى الحق : اتحدت خواطره وهممه .. لم يبق له سوى خاطر يخطر من الحق عز وجل إلي قلبه ، وهو واقف على باب قربه من ربه عز وجل .. فإذا تمكنت معرفته له ، فتح الباب فى وجهه ، فرأي مالايقدر على وصفه الخاطر للقلب ، والإشارة كلام خفى للسر الفانى عن نفسه وهواه .
* الخلق لايقدرون أن يعطوك ماليس لك مقسوم ، إنما قسمك يجرى على أيديهم ، فإذا صبرت ، جاء قسمك على أيديهم وأنت عزيز .. إذا خرج

الخلق من قلب العبد ، ولم يبق فيه سوى الحق عز وجل ، يربه ويقربه كما يشاء (يرى ربه) .. يربه باطنا كما يرى غيره ظاهرا ، ويقربه ويحدثه مناما ، يرى صفاته ، ويرى كراماته ، ويرى فضله ولطفه وإحسانه .

* أساس الخير : متابعة النبي ﷺ في قوله وفعله ، كلما صفا قلب العبد، رأى النبي ﷺ في منامه ، يأمره بشيء ، وينهاه عن شيء ، يصير كله قلبا ، وتنعزل بنيته ، يصير سرا بلا جهر ، صفاء بلا كدر ، يصير مع النبي ﷺ من حيث معناه ، يترقى قلبه معه وبين يديه.

* من اتصل بربه عز وجل ، استوى عنده الحجر والمدر ، والحمد والذم ، والسقم والعافية ، إقبال الدنيا وإدبارها .. من صح له هذا ، ماتت نفسه وهواه ، وأخمد طبعه وشيطانه .

* اعتقاد العارف هو : أن السيف لايقطع بطبعه ، بل الله عز وجل يقطع به، وأن النار لاتحرق بطبعها ، بل الله عز وجل المحرق بها ، وأن الطعام لايشبع ، وأن الماء لايروى ، بل الله عز وجل يشبع به ، ويروى به .. وهكذا جميع الأسباب ، فالله عز وجل المتصرف فيها وبها .. فإذا كان هو الفاعل علي الحقيقة ، فلم لاترجعون إليه في جميع أموركم ، وتتركون حوائجكم ، وتلزمون التوحيد له في جميع أحوالكم؟

اترك الدنيا والخلق ، ودع كل شيء تحت العرش إلى الثرى .. دع الخلق كلهم ، ونفوسهم ونفسك .

* همك ما أهمك .. خواطرك من جنس همك .. مايعمل خاطر الحق عز وجل إلا إلى قلب خال عما سواه ، إذا أعرضت عن خاطر النفس ، وخاطر الهوى، وخاطر الشيطان وخاطر الدنيا ، جاءك خاطر الآخرة ، ثم خاطر الملك، ثم خاطر الله عز وجل أخيرا ، وهو الغاية .

* طريق الحق ليس فيها خلق ، ليس فيها سبب ، ليس فيها معلوم ، ليس فيها وجود الخلق ، فالبنية مع الدنيا ، والقلب مع الأخرى ، والسر مع

المولى . السر حاكم على القلب ، والقلب حاكم على النفس المطمئنة ، والنفس المطمئنة حاكمة على البنية ، والجوارح حاكمة على الخلق .. إذا صح هذا وتم للعبد ، صار الجن والإنس والملك تحت أقدامه .

* اصحب من له صحبة مع الحق .. إذا نام الناس وسكنت أصواتهم ، توضأ وصل ركعتين ، وقل : يارب دلني على عبد من عبادك الصالحين المقربين ، حتى يدلني عليك ، ويعرفني طريقك .. السبب لابد منه ، وكان الله عز وجل قادرا على أن يهدى إليه بلا أنبياء .. كن عاقلا ، واستمع إلى قول النبى ﷺ : «من استغنى برأيه ضل» .

* ذكر الموت في كل لحظة ، على الحقيقة وباليقظة التامة ، يبغض كل شهوة، ويقف فى وجه كل فرحة .. تكلف الزهد فى الدنيا والخلق والشهوات ، فإذا دمت على ذلك جعل الله تكلفك طبعا وموهبة .

تلك كانت مجاهدات على طريق معراج القلوب للسالكين إلى رب العالمين.
﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (البقرة :٤٥).

حقائق تنير الطريق

إن معرفة تلك الحقائق من الأهمية بمكان ، لأنها تساعد علي معرفة رب الأنام ، بالتعرف على ما أودع في الكون من أسرار ، وما تجلى به على قلوب العارفين ، بنور الحق المبين ، فجاءت كلماتهم فياضة بحب رب العالمين ، ودعوة العباد إلى الصراط المستقيم ، لذلك نعرض قبسا من أنوارهم لتكون هداية ومرشدا لكل السالكين على درب النبى الأمين .

حول اللطائف الربانية النورانية :

* إن النفس والعقل والقلب والروح والسر : أسماء لمسمى واحد وهو: اللطيفة الربانية النورانية ، المودعة في هذا القالب الجسمانى الظلمانى ، وإنما اختلفت أسماؤها باختلاف أحوالها وتنقل أطوارها .. وتقابل القلب مع النفس بالمحاربة ، كناية عن صعوبة انتقال الروح من وطن الظلمة التى هى محل النفس ، إلى وطن النور الذى هو القلب ومابعده .. فالقلب يحاربها لينقلها إلى أصلها ، وهى تتقاعد وتسقط إلى أرض البشرية وشهواتها .

فالقلب له أنوار الواردات ، تقربه وتنصره حتى يترقى إلى الحضرة التى هى أصله ، وفيها كان وطنه ، وكأنها جنوده ، من حيث أنه يتقوى بها ، وينتصر على ظلمة النفس بنور الواردات .

والنفس لما ركنت إلى الشهوات ، صارت كأنها جنود لها ، وهى ظلمة من حيث أنها حجبتها عن الحق . فإذا هاجت النفس بجنود ظلماتها وشهواتها، إلي معصية أو شهوة ، رحل إليها القلب بجنود أنواره ، فيلتحم بينهما القتال.. فإذا أراد الله عناية عبده ونصره : أمد قلبه بجنود الأنوار، وقطع عنه من جهة النفس مدد الأغيار، فيستولى النور على الظلمة، وتولى النفس منهزمة.

إن الواصلين لايرون لأنفسهم فعلا ولاتركا ، فهم ينظرون إلى تصريف الحق، ومايجرى به سابق القدر ، فيلقونه بالقبول والرضاء .. فإن كان طاعة :

شكروا وشهدوا منة الله .. وإن كان معصية : اعتذروا وتأدبوا ، ولم يقفوا مع أنفسهم إذ لاوجود لها عندهم ، وإنما ينظرون إلى مايبرز من عنصر القدرة.. فنظرهم إلى حلمه وعفوه وإحسانه وبره ، أكثر من نظرهم إلى بطشه وقهره . إذا كان العبد فى المعصية : شهد قهرية الحق وعظمته ، وضعف نفسه وعجزه ، فيكتسب من المعصية ذلا وانكسارا لنفسه ، وإجلالا وتعظيما لربه.

الأكوان ظلمة ونور:

الأكوان ظلمة من حيث ذاتها .. فمن نظر فيها من حيث ذاتها لتعلق أغراضه وشهواته فيها ، قطعته وحجبته ، وكانت ظلمة لقلبه .. ومن نظر فيها من حيث تجلى الحق ، فهى مرآة فى حقه .

فأمر الأشياخ للمريد بالعزلة والفكر ، ليزول ما اعتاده من شهودها لذاتها طوال عمره ، حتى إذا نسيها ، وفنى عنها بما هو مقبل عليه ، ومشتغل به، ورسخ نور المعرفة في قلبه ، أذنوا له فى شهودها ، لأنه حينئذ لايشهدها لذاتها، فتصير فى حقه نورا ، بعد أن كانت ظلمة .

فالكائنات مرايا للصفات .. فمن غاب عن الكون ، غاب عن شهود الحق فيه.. فما نصبت الكائنات لتراها ، ولكن لترى فيها مولاها ، فمراد الحق أن تراها بعين من لايراها .. تراها من حيث ظهوره فيها ، ولاتراها من حيث كينونتها .. فالناظر للكائنات ، غير مشاهد للحق فيها ، فهو غافل والفانى فيها عبد بسطوة الشهود ذاهل ، والشاهد للحق فيها عبد كامل .

الناظر فى المرآة لصورة جميلة ، فإنه لايستطيع فى هذه الحالة ، تفصيل نعت المرآة .. **فمن شهد فى الأكوان الإتقان الدال على العلم** ، والتخصيص الدال على الإرادة والصحة والمرض والانقباض ، إلي غير ذلك من آثار القدرة الدالة عليها ، فهو غير مشتغل بالأكوان ، ولاهى المقصودة فى نظره .. فهو وإن لم يفن عن شهودها ، كالفانى ، لأنه لو سئل عنها ، لم يجب إلا بالإجمال

من وراء العدم ، لعدم التفاته إليها ، واشتغاله بها . وصاحب هذه الحالة لم يكبل قلبه بشهوات الأكوان .

أما من يشهد الله مع الأكوان : فهو من اعتاد ذكر الله تعالى بقلبه ، واستحضار أنه الموجود الحق ، وأن وجود الأكوان عارية معطاة ، وليس لها وجود حقيقى ، لأنها مسبوقة بالعدم ، وملحوقة بالعدم ، فصار مهما شهد الموجودات العرضية ، تذكر الموجود الذاتى .. فشهود صاحب هذه الحال ، أضعف من شهود من قبله ، فلم يقف مع الأكوان ، ولم يصرف شهوده كله لها ، كما أنه لم يصرفه كله للكون .. فهو يخبر فى شهوده عن الأكوان ، وعن المكوّن ، كمن ينظر فى المرآة بقصدها ، وقصد ما فيها .. فإن سألته عن المرآة أخبر ، وإن سألته عما فيها أخبر ، ولكن دون إخبار الأول عنها .

مثلوا شهود المكوّن قبل الأكوان : بمَن وقع بصره على شىء كحيوان ، شاهد قيام الحق به ، وظهوره فيه ، وأنه المحرك والمسكن له ، قبل أن يخطر له كونه آدميا أو شاة طويلة أو قصيرة .. ومنهم من يشاهد ذلك بعد كونه حيوانا.. ومنهم من يشاهد معه .. ومنهم من يشاهد فيه .

تفسير ذلك : اعلم أن الكون كله ظلمة ، والظلمة هى العدم ، والنور هو الوجود .. فكل ما كان وجوده ليس بنفسه ، فهو عدم ، وحقيقة الوجود لمن هو موجود به ، وذلك هو الله الذى شهدت بوجوده أعيان موجوداته ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (النور:٣٥) والنور هو الوجود .. فهذا مقام من **شهده فيه** .. ومن **شهد عنده** ، يصدق عليه قوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت ٥٣) **ومن شهده بعده** ، فشاهده ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ إلى قوله فذكر(الغاشية ١٧:٢١) .. والتذكير لايكون إلا بعد سابق نسيان.

فمن الناس من يشهد المكوّن **عند الأشياء** ، عندية منزهة عن الجهة، ولكن عندية استغراق وقيام ، ومنهم من يشهده **بعد** : فيستدل بالأثر على المؤثر، وبالصنعة على الصانع.

أما من لم يشهده ، بل يثبت الأكوان عرية عن وجوده ، فقد طمس على عين بصيرته، وأظلمت عليه نور سريرته .. وماذكر مما يوهم الظرفية والمثلية ، أو رجود زمان القبل والبعد، فليس على مايفهم من ذلك ، فالزمان والمكان والآن والأوان حادثة ، ولكن هي تجليات وتنزلات وتلطفات يعرفها أرباب الشهود: فالذى يشهد **قبل** الأكوان ، مستهلك فى شهوده تحت تجليات الأوصاف ، والذى شاهده **عند** الكون ، شاهد ظهور صفاته من تحت أستار حكمته ، والذى شهده **بعده** ، يطلب الدليل على وجود المكون ، لغلبة شهود المكونات على قلبه .

فالأولون أرباب الكشف والعيان ، والذين يلونهم أرباب النور والبيان، والذين من بعدهم أهل الدليل باللسان ، ومن لم يشهد بعد ذلك فقد أعوزه (أى أعدمه) وجود الأنوار .﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (النور ٤٠) .

فمن حجبته الأكوان عن شهود المكون : فليشهدها من جهة كونها حجابا، فإنها عدم محض ، ومع ذلك منعته وسترته ، فيستدل بذلك على قدرة الله الباهرة ، وقهريته التامة ، فيقول : سبحان من قهرنى بلا شىء ، فيكون مشاهدا لقهريته ، فينقلب الحجاب فى حقه مرآة من هذا الوجه .. وهذا من حيل الأكياس على النفس ، وردها الشهود ، فاحتل على النفس بكل حيلة .. فالله تعالى منزه عن أن يحجبه كون ، فهو سبحانه وتعالى مباين للأشياء من حيث ذاته وصفاته وأفعاله ، محيط بها من حيث علمه ، مدبرها بحكمه . مستغرق لجميع أفعالها وصفاتها وذواتها من حيث قيوميته وشهوده وقيامه .

الرضا بالقضاء والقدر :

يقـول الله تعـالى : «ابن آدم تريد وأريد ، ولايكون إلا مـا أريد ، فـإن سلمت لي فيما أريد ، أعطيتك ما تريد ، وإن نازعتنى فيما أريد ، أتعبتك فيما تريد ، ثم لايكون إلا ما أريد» .

فـلا تعـتـرض فى شىء مما أراده الله ، بل اعـتـقـد أن ذلك المراد هو عين الحكمة والصواب .. واعلم أن مرادات الشرع المأمور بها ، ليست من مرادات العبد ، فعلى العبد أن يأتى بها ، ويأخذ فى أسبابها مع اعتقاد أنه لايوجد منها في الخارج إلا مـا أراد الله وجوده.. وإياك أن يقع منك التفريط فيـما أمرك الله به ، فالتضييع لما أمرت به ، وإحالة الأمر فيه على التقدير ، خروج عن الدين . يجب عليك ترك الاعتراض فيما لايذمه الشرع ، فإذا كان العبد فى حال بدنى أو قلبى لايذمه الشرع، لزمه حسن الأدب في اختـيار بقائه، ورضاه به حتى ينقله الله عنه .. فإذا كان متجردا، وتعلق قلبه بالكسب ، أو كان فى صنعة ، وأراد الانتقال عنها لغيرها ، كان قليل الأدب مع مولاه .. فإن محبته تعالى، تقتضى عدم معارضة الوقت .

والحاصل أن مقام التسليم والتفويض ، من أقرب الطرق الموصلة إلى الله ، النافعة فى تطهير القلب .. فحيث أقيم العبد فى أمر ، لم يكن للشرع عليه اعتراض ، ولم يطلب الحق بنقيضه ، فحقه الرضا بعلم الله دون علمه .

فالرضا بالقضاء من حيث كونه قضـاء ، هو الواجب على العبـد ، **وأما الرضا بالمقضى** من حيث أنه عـمل العبد وكسبه ، فـلا يرضى به إلا إذا كان مـأذونا فيـه ، وليس للشرع عليـه فيـه اعـتراض .. وهنا أمور غلط فيـها كثيرون، فتراهم يحتجون بالقضاء ، ويبرءون أنفسهم من اللوم ، والمفروض عكس ذلك .

مؤدى ماتقدم : يجب على العبد عدم إرادة الخروج عما أقيم فيه ، إذا كان مأذونا فيـه ، وليس عليه فيه اعتراض من الشارع ، وإلا وجب عليه الخروج

منه ، والدخول فيما أمره به الشارع ، فيجب عليه تحصيل التكاليف الشرعية، والمبادرة إليها بحسب الإمكان .

أهمية الأنفاس :

الأنفاس ظروف ورسل ، حاملة إلى العبد من الله ، ما أودع فيها من أسرار قدره ، وأصناف عبره .. والرسول راجع إلى مرسله ، إما مكرما شاكرا لمن ترك ، إذا أكرمه واحترمه ، وإما غير شاكر ، إذا لم يكرمه .

وكرامة الأنفاس باستعمالها فيما خلقت له ، واحترامها وصيانتها عن استعمالها في قاذورات المعاصي والشهوات .. فالواجب على العبد ، إن تجلى الله عليه بالنعم ، أن يقابلها بالشكر أو بالطاعة ، بشهود المنة والفضل .. وإن تجلى بالبلية فالصبر ، أو بالمعصية فبالتوبة والاستغفار .. فيبقى ذلك النفس حيا فى خزانة عند الله تعالى ، فى صورة نورانية ، ويعيده الله إلى العبد يوم القيامة شاكرا ، ولفضله ذاكرا ، ويكون له من جملة الشفعاء عند الله تعالى ، فلا يهمل الأنفاس إلا الغافل . فإذا لم تكرم الأنفاس ، وقتلتها بالغفلة ، واستعملتها فى غير مايحمد ، ترجع إلى الله وهى لك ذامة، وتعود عليك يوم القيامة حية أو عقربا أو نارا أو ظلمة .. وللإنسان فى اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس ، فماذا ترى فى حال من أضاع فى يومه وليلته أربعا وعشرين ألف جوهرة . فلا يقوم بحق الأنفاس إلا الأقطاب ، الذين كشف لهم عن مراد الله فيهم . وبهذا المقام رجح أبوبكر لاستغراقه فى الله في كل نفس .

فراقب الله فى كل أوقاتك ، ولاتترقب فراغ الأغيار ، فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة لله ، فيما هو مقيمك فيه .. فالأغيار الواردة على قلبك ظلمات أو نور ، تحدث فيه ، وتحول بينك وبين شهود مولاك ، والحضور معه.. والمطلوب منك المواظبة علي ما أنت فيه من مراقبة المولى ، ولاتشتغل بما يورده على قلبك من ظلمة أو نور ، فإنها قاطعة لك . وسبب هذه الأغيار غالبا مايرد عليك من أكدار الدنيا ، وذلك أمر لابد منه ، فلا تيأس ولاتستسلم للوسواس.. ولايزيل الأغيار، إلا موالاة الأذكار وصافى الأفكار.

حيـاة القـلب :

فى إمـاتـة النفس .. فـالنعـمـة العظمى هى فى الخـروج عن النفس ، لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى .. ولولا ميـادين النفوس ، ماتحقق سيـر السـائرين ، إذ لامسـافـة بينك وبين الله حـتى تطوى بهـا رحلتك ، ولاقطيعة بينك وبينه ، حتى تمحوها وصلتك .. فميـادين النفوس شهواتها وعاداتها ، وللنفس سبعة حجب أرضية ، وسبعة سماوية ، فكلما يدفن العبد نفسه أرضا أرضا ، سما قلبه سماء سماء .. فإذا دفنت النفس تحت الثرى ، وصل قلبك إلى العرش ، يعنى إذا خالفتها وفارقتها ، وصلت إلى غايتك .

وسبيل المريد إلى الوصول إلى موت النفس : إنما يكون بتقديم الافتقار ، والالتجاء والرغبة إلى مولاه ، فى أن يعينه ويقويه على أمر نفسه .. والخروج من النفس لايكون بالنفس ، ولكن بالله . ثم يشتـغل بمراعاة حدود الشـريعة والطريقة ، فى ظاهره وباطنه ، والتزام آدابهما .

ولكل عبد عمل مخصوص ، يقتضى لامحالة حكما مخصوصا يقوم بحقه، وذلك مختلف باختلاف أحوال الناس .. **فحركات العبد وسكناته** : هى أعماله الظاهرة ، **ومقصوده وهمتـه وإرادته** : هى أعـمـاله البـاطنة .. وكل واحد من القـسمين ينبغى أن يأخذ منه بعزائم الأمـور ، ويجـتنب الرخص التى هى من شأن العـامة .. فعمل الظاهر إن كان واجبا ، فليبادر إلى فعله ، ولايتـوانى عنه ، وليقم بجميع آدابه اللازمة له ، وكذا مـاكان مندوبا ، ويقوم على الأهم فـالمهم ، وليـأخذ فى ذلك بـالقـصد ، بلا إفـراط ولاتـفـريط .. وليـتكلف من العمل مايطيق ، فإن أفضل العمل أدومه وإن قل ، وقليل من العمل مع رؤية المنة لله، خير من كثير منه مع رؤية التقصير .. وإن كان ذلك العمل الظاهر حراما ، فليبادر إلى تركه ، وليقطع عن نفسه جميع أسبابه .

وعليـه فى كل ذلك أن تكون لـه نية صـالحة ، حتى يصيـر المباح طاعة ، وليحذر مراعاة نظر الخلق ، والجرى علي عوائدهم السيـئة ، وليـراقب ربه ، وليحفظ جوارحه .

البلايـا :

أشـد الناس بلاء : الأنبيـاء ثم الأوليـاء ثم الأمـثل فـالأمـثل .. فلا تحزن لأجله ، إذ هو لايتـسلط فى القلب ، إلا على أهل الصـدق والمحبـة ، إذ به تحـصل لهم الزيادة إلى ربهم ، وبه تصـفـو قلوبهم وتتـجـوهر .. ولولا الابتلاءات، ماحصلت لأحد المعرفة .. مصداقا لتلك المناجاة : إلهى .. قد علمت باختلاف الآثار ، وتنقلات الأطوار ، أن مرادك منى ، أن تتعرف علىّ فى كل شىء ، حتى لا أجـهلك فى شىء .. وقد قـال القوم : عند تقلبات الأحوال يعرف الرجال من الرجال ..

وفى القرآن الكريم : ﴿ الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ (العنكبوت :٢) .

ولذلك قيل : «ليخفف الله ألم البلاء عنك، علمك بأنه سبحانه هو المبتلى لك»

وقـال الشـيخ على الجـمل : لو علم الناس مـافى الاحتـيـاج من الأسـرار والخيرات ، لم يحتاجوا إلى شىء سوى الاحتياج .. وكان يقول : إنه يقوم مقام الاسم الأعظم ، وكان رضى الله عنه يفسر القدر بالضيق .

والمعرفة تدفع البلاء عنا ، كما دفعته عن غيرنا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإن معرفتهم بربهم ، واستغراقهم فى شهود عظمته ، غيّبتهم عن الخير والشر « متى أعطاك أشهدك برّه ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو فى ذلك متعرف إليك ، ومقبل بوجود لطفه عليك» .

الـوهم :

الوهم باطل ، ولكن صوره الحق لحكمة كبيرة .. وكل أمر له سر كبير ، ووجـه واضح شـهـيـر ، إذ قـال تعـالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ ﴾ (آل عـمران :١٩١) وقـال : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ (المؤمنون:١١٥).

والوهم إن لم تتسلط عليه ، أى تجور برأيك عليه ، فحتما يتسلط عليك، ويجور برأيه عليك . وإن لم تنف رأيه ، ينفى رأيك .. وليس هو شيء ، لكن إن سمعت حديثه ضعف يقينك ، وسلبك منه إلى طرفه، وإن لم تسمع حديثه ، تقوى نورانيتك ، وبتقويتها يقوى يقينك ، وبقوته تعلو همتك ، وبعلوها تصل إلى ربك .. ووصولك إليه سبحانه ، وصولك إلى العلم والمعرفة به جل شأنه .

ومن لم يسمع حديث الوهم، ولم يتبع رأيه ، من السائرين إلى الله ، كالريح القوى المسرح عند غياث البحر، فهذا شأنه ..ونرى أن من ترك مالايعنيه ، فأقل شيء من الأسباب يكفيه، وإن لم يتركه ، فلا يكفيه شيء .

الغشيمة والظلم :

لقد كنت أظن أن الناس هم الذين يمتهنونني ويسفهونني ويحقرونني .. فلما فتح الله بصيرتى ، ونور الله ، بجوده وكرمه سريرتى ، وجدت حينئذ نفسى هي الفاعلة بى ذلك الفعل لاغيرها ، ووجدت آيات عديدة دالة على ذلك ، إذ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد:١١) ... ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(يونس :٤٤) ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ (النساء :٧٩).

ومنذ عرفت هذا ، وأنا لا أرى الظلم إلا من قبل نفسى ، ولا أراه من قبل جنسى .. وحتى إذا جاءنى شاك ، يشكو إلى من أحد ، فلا نرى الظلم إلا من جهته ، ولانراه من جهة أخرى . فاعلموا أنكم إن عرفتم قدركم ، وعلو منزلتكم حقيقة، عرف الوجود بأسره قدركم ، وعلو منزلتكم .. وإن جهلتموه جهلكم ، ولم يعرف قدركم قط ، ولعن الله من كذب عليكم ، **لأن نفسك أيها المؤمن** ، من حيث أنت ، عالماً أو جاهلاً ، صالحاً أو طالحاً ، **هى الكون بأسره فى الحقيقة،** عند من عرف ، لاعند من تلف .. وأنت لاترى إلا الكون الذى يراه كل أحد ، وترى أيضا الكون يؤذيك ، ولا يؤذيك إلا نفسك .. والله إن

غلبتها، أو نقول قتلتها، تجد نفسك تغلب الكائنات بأسرها ، جليلها وحقيرها.. والله إن غلبتك هى ، لتغلبنّك الكائنات بأسرها، جليلها وحقيرها.

والنفس أصلها طيب ، ولكن تخبثت بعد طيبها ، ودنت بعد علوها ، وذلت بعد عزها ، وافتقرت بعد غناها ، وتكدرت بعد صفائها ، واستوحشت بعد أنسها ، وتعبدت بعد حريتها، وتغربت عن وطنها وأهلها ، بعد أن كانت بوطنها وأهلها ، وماتت بعد حياتها ... كل هذا بسبب ركونها إلى غير عالمها ، وهو عالم الكدر الذى نحن به مقيمون ، من غير حركة منا إلى غيره ولاسكون ..فإن شئنا أن نرجع إلى وطننا الذى منه جئنا ، وهو عالم الصفا ، العالم الأسنى العلوى الروحانى ، فلا يعيدنا إلا أن نمحو سائر ما تغشى قلوبنا من الأكدار ، أو نقول الأغيار ..ولايعيدنا أيضاً إلا أن ننسلخ من عالم الكدر ، كما تنسلخ الشاة من جلدها ، وننساه ولانذكره .. وقد فتحنا لكم الباب ، ورفعنا لكم الحجاب ، وأجلسناكم بحضرة الأحباب .

الحس والمعنى:

إن ضعُفت حسك أيها الفقير ، تقوت معانيك لامحالة ، وإن ضعُفت ظاهرك توسع باطنك لامحالة ، وإذا خربت ظاهرك ، انبنى باطنك لامحالة .. وانظر إلى العامة ، لما زينوا ظاهرهم ، قبح الله ظواهرهم وبواطنهم ، فلا تشم فيهم رائحة المعانى ، إنما تشم رائحة العرق ، وذلك جزاء من ترك الأصل ، وهو عمل القلب ، ويأخذ الفرع ، وهو عمل الجوارح .

إنما حرموا الوصول ، لتضييعهم الأصول .. والمحسوسات ضد المعانى ، والضدان لايجتمعان ، فمن أراد المعانى ، فعليه بترك المحسوسات ، ومن أراد المحسوسات والملذوذات والشهوات فلا يطمع فى المعانى .. ومن أراد أن لا ينقطع المدد عنه ، فلا يعز نفسه ، بل يذلها ، ويطرحها ويهبطها ، ويسير بها على مكروهاتها ، رغما عن أنفها ، حتى تصير المكروهات والمحبوبات عندها سواء ، ولا يستر قبائحها وعيوبها ودسائسها ، بالرضي عنها أبدا .

لاتقف مع الظن :

فالواقف مع الظن لا يحصل على التحقيق ، فاتركوا الوقوف معه ، ولاتحكموا حكماً بظنكم ولا برأى أنفسكم ، إنما تحكمون بعد أن تتحققوا بالأمر ، إذ الصدق فى القول والفعل ، ينفى الشكوك والأوهام ، وثبت التوحيد فى قلب صاحبه على الدوام ، وينفى حتى خصيم النفس . ومهما انتفى خصيم النفس ، انتفى خصيم الجنس ، ومهما انتفى خصيم الجنس عنه ، وقفت النوبة عليه ، والله تعالى ينصره .. وأما إن كفَّ أذيته عن عباد ربه ، وحمل هو أذيتهم إياه ، كان أكبر تحقيقاً وأكبر خلقاً .. وهذا حال كل الأولياء رضى الله عنهم .

وقت الشدة :

الخير والشر حاضران كلاهما ، غير غائبين ، وقريبان غير بعيدين .. فإن ذكرت ربك ، ونسيت نفسك ، ربحت ، وإن عكست خسرت .. فمهما تسلطت عليك الفاقة ، وجارت عليك ، فاشتغل بما أمرك به ربك من الأسباب ، ولا تلتفت إلى شىء قط ..وكن هكذا دائما وقت الشدائد ، فإن الشر يذهب عنك، والخير يأتيك .

وأما إن سلبت الإرادة لربك فى نفسك ، وقت فاقتك ، أو نقول وقت شدتك أوبلائك ، ولم تنصر نفسك بسبب من الأسباب ، فذلك المقام الأعلى ، والسر الأجلى ، وليس فوقه مقام ، إلا مقام النبوة .

امتلاك النفس :

اعلموا أنكم إن ملكتم أنفسكم ، ملكتم من يؤذيكم ، والكون بأسره (والله أعلم) .. إذ لايملك الناس إلا من ملك النفس ، ولايتحرز من خصيم النفس ، إلا من خالف هواه ، وأطاع مولاه . وإن ملكتم أنفسكم ، كان الكون بأسره تحت قهركم وسطوتكم ، تتصرفون فيه كما شئتم ..فإذا أعطينا الله

سبحانه نفوسنا الخبيثة الناقصة ، أعطانا سبحانه نفسه العلية النفيسة ، جزاء لنا ، أى غطى ذلنا بعزه ، وفقرنا بغناه ، وإن شئت قلت : غطى وصفنا بوصفه .. وياعجبا! الملك ملكه ، وهو يشتريه منا بنفسه ، ولا نبيع له ماله .. والله إن من بوجهه الحياء حقيقة لايطيق أن يسمع هذا ، فأحرى أن يفعله .

الشهود :

الشهود معنى ، والمعانى لاترتبط إلا بالحس ، ولاتدوم إلا بالمذاكرة والزيارة وطرق العادة . ومهما وقع السكون إلى حالة ، وقعت الفترة لامحالة. فلا تعجزوا عن الحركة ، أو نقول الأسباب ، إذ بها تقوى المشاهدة .

لاموجود إلا الله ، وكل شىء هالك إلا وجهه .. كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ، فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال - ذلك بأن الله هو الحق وأن ماتدعون من دونه هو الباطل - وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً - قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون - هوالأول والآخر والظاهر والباطن .

قال صلى الله عليه وسلم : ما رأيت شيئا إلا رأيت الله فيه .. وقلنا عفا الله عنا : محال أن يري ربنا ، ويرى معه سواه ، كما عليه سائر أهل التحقيق، ولايدريه من ليس له قدم فى الطريق . فمن عرف ربه معرفة أهل الشهود والعيان ، لامعرفة أهل الدليل والبرهان ، لايرى حينئذ فى كل شىء شيئا إلا هو كما رآه صلى الله عليه وسلم .

الوهم حجبنا عن شهود الله ، والوهم باطل ..ولو انتهك حجاب الوهم ، لوقع العيان على فقد الأعيان ، ولأشرق نور الإيقان ، فغطى وجود الأكوان .

الخواطر النفسية :

لاتكرهوا الخواطر النفسية ، إن تسلطت عليكم ، وترادفت بجيوشها فى قلوبكم .. بل أسلموا لربكم الإرادة فى نفوسكم ، وقت تسلطها عليكم ،

واسكنوا ولاتتحركوا ، وانطلقوا منها ولاتنقبضوا فيها ، وارقدوا إن أمكنكم حتى تشبعوا ، إذ الرقاد وقت الشدائد من الفوائد : إذ هو سلب الإرادة بالله.. وكل من سلب إرادته إلى ربه بكليته ، يأخذ بيده .

فلاتكرهوا الخواطر النفسية إن كثرت عليكم ، بل كونوا كما قلنا لكم ، فإنها تريحكم ، وبسببها يستقر التوحيد فى قلوبكم ، وتذهب الشكوك والأوهام ، وبها يقع اليسر ، ويحصل الخير .وإياكم أن تهتموا من أجل كثرة القواطع أو الموانع ، إذ الخبير يطويها لكم ، إن كنتم كما قلنا لكم .. فالمحقق لايفر من الأشياء ، إذ هو يشاهد ربه فى كل شىء ، وغيره محجوبون بالأكوان عن المكون .. إذ لو شاهدوه فى كل شىء ، لم يستوحشوه . وبعض إخواننا كان سائراً فى الطريق ، إذ حجبه شهود المكون فى شهود الأكوان ، وكان مع الناس ، وكل ما يرى ويسمع ، يقول لمن كان معه : هذا ما هو شىء، هو سوى سمع كلام الناس أو كلام الطيور أو البهائم .

ولامانع لنا من شهود ربنا ، إلا وقوفنا مع شهوة أنفسنا .. فإياكم أن تقولوا : إن الكون هو الذى حجبنا ، بل والله ما حجبنا إلا الوهم ، ولو علمنا لأنتج لنا اليقين ، واليقين يسلب قلوبنا وسرائرنا من رؤية الأغيار ، ويدخلنا فى أنوار الواحد القهار .

لاتعاند القدرة :

العاقل لايعاند القدرة ، فلا يحزن على حال إن فقده ، ولايفرح بحال إن وجده .. بل اختار مايختار ربك لك ، وجدا كان أو فقداً ، عطاء كان أو منعاً. وهذا هو حال أهل سلب الإرادة لربهم ، وحال من يريد أن يلحق بهم .. أما من يتخير على الله ، ويريد غير ما أراد الله ، فلا يبقى إلا أسير هواه .

سلم لسلمى ودر حيث دارت ∴ واتبع رياح القضا وسر حيث سارت

فهناك فرق كبير من قلبه عند المكوِّن، وبين من قلبه عند الأكوان .. فمن قلبه عند المكون ، فالأكوان من حيث هى فى قبضته ، وتحت قهره وسطوته ..

ومن قلبه عند الأكوان ، فهو وقلبه فى قبضتها ، وتحت قهرها وسطوتها ، فهى دائما مسلطة عليه ، تطوقه وتمتحنه ، إلا إذا حرره الله منها بمحض كرمه، وإلا فيموت أسيراً بيدها .

أنواع الخواطر :

إن معرفة تلك الخواطر من الأهمية بمكان للسالكين ، المريدين للوصول إلى معرفة رب العالمين ، وتلك الخواطر تنقسم إلى :

١ - **الخطرة الملكية** : وهى مايرد علي يمين القلب ، ويعقبه برد ولذة .. ويذهبه قول : سبحان ذى الملك والملكوت . سبحان ذى العزة والعظمة والهيبة والقدرة والكبرياء والجبروت .. إحدى عشر مرة .

٢ - **الخطرة الشيطانية** : وهى مايرد على يسار القلب ، ويعقبه تهريش فى الأعضاء وألم ، وربما يأتي فى صور العبادات والطاعات ، وحب الكرامات ، ليقف عندها السالك ، فيقطعه عما هنالك ، ولا يخلص منها إلا إن من الله عليه بالإخلاص .. وتسمى تلك الخطرة وسواس .
ويذهبه : الإكثار من الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولاقوة إلا بالله .. ثم يقول : اللهم بحق الجميل الصمد ، الغفور القدوس ، هو الله الذى لا إله إلا هو، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم .

٣ - **الخطرة النفسية** : وهى مايرد من تحت القلب ، ويعقبه فى القلب ألم ، وفى الصدر ضعف ، وفى الطلب تكرار ، لأن النفس إذا طلبت شيئا من شهواتها ، ألحت فى طلبه ، وشبهوها بالطفل الصغير ، إذا أخذ منه شيء ، فلا يزال يبكى ، حتى يرد ما أخذ منه إليه .. بخلاف الشيطان : فإن مقصوده الإغراء بأى شيء كان .
ويسمى الخاطر النفسى هاجسا .. ويذهبه الإكثار من الاستغفار ، ثم قراءة الإخلاص سبعين مرة .

٤ - إذا كان الخاطر من أعلى القلب ، وله صولة ، ولم يرد بأمر ولا نهى ، ولم يندفع بالدفع ، **فهو ربانى** .. لكن هذا الفرق يحتاج إلى صفاء قلب وسريرة .. ولهذا قالت الأشياخ : إن من آداب المريد أن يعلم شيخه بجميع خواطره ، حسنة كانت أو قبيحة . وينبغي أن لاتطلب منه تعالى فى خلوتك سواه ، ولا تعلق همتك بغيره ، ولو عرض عليك كل ما فى الكون ، فخذ بأدب ، ولاتقف عنده ، وصمم على طلبك ، فإنه سؤالك ومهما وقفت مع شىء فاتك ، وإذا حصلته لم يفتك .

من واردات سيدى علي وفا :

البيت : حضرة المستخلصات .. وذلك البيت هو القلب السليم ، بيت الرب العليم الحكيم .

والعرش : حضرة التجلى التمام ، بمعانى الجلال والإكرام ، وذلك هو روح الأمر الموضوع فى القلب ، الذي هو بيت الرب .. والعرش هو حضرة شهادة الغيب معاينة بلاريب ، وذلك هو الفؤاد السرى المودع فى روح الأمر ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ (النجم ١١:١٣).

والسماء : حضرة التنزل بأنوار الترغيب والترهيب .. فهي الروح الحيوانى الذى هو الصدر الذى فيه القلب بيت الرب .

وأما الأرض : فإنها النفس المدركة البشرية ، عند اطمئنانها لفيض سماء الروح .

الحضور مع الله تعالى :

الحضور مع الله عز وجل على ثلاثة أقسام :

أدنى : المراقبة .. أى تحقيق العبد برؤية الله له أينما كان .

أوسط : المشاهدة .. أى رؤية العبد الحق فى كل ذرة من ذرات الوجود .

أعلى : الشهود .. أى رؤية العبد الحق بالحق للحق ، وماكل مايُعلم يقال.

ولكى تحقق أعلى تلك المراتب :

* داوم على الحضور مع الله تعالى : بأن تحط نظر الله إليك فى جملة أذكارك، بل جملة أحوالك .. كن مراقبا لنظر الله إليك بالفكرة ، وجمع الهمة ، ومنع القلب من الشواغل الدنيوية .. فنظر الله مسبل عليك أبداً ، وهو مقتضى صفة البصر القائمة بذات الله ، المتعلقة بموجودات الله من جمادات ونباتات وحيوانات .
* اتبع أمر الله ، واستحى من الله فى كل وقت ، اشعر بنظر الله إليك فى كل زمان ومكان ..وإذا أكثرت من ذكر الله تعالى ، لزم من ذلك الخشية منه جل شأنه ، والمعرفة به تعالى .. فإذا داومت على ذلك ، كشف الله عن قلبك حجاب الوهم والخيال ، فتشهد بعد ذلك فعلك وهما وخيالا ، وحياتك وهما وخيالاً ، ووجودك وهما وخيالاً .
* لاتعتمد أيها السالك على عملك ، لأنك عاجز عنه ، لاتأثير لك فى فعله أو تركه ، إنما المؤثر فى وجودك وصفاتك وأفعالك هو الله سبحانه وتعالى.. فإذا اعتبرت فى ذلك ، وتحققت به ، شهدت فعل قدرة الله ، ساريا سره فى كل الوجود ، وعلمت حينئذ أن الشهود لفعلك منك شرك خفى ، ناشىء عن وهم وخيال ، وأن الفاعل حقيقة هو الله الواحد الجبار .
* سلم نفسك لمولاك ، كن رجلاً لاتزعجه مابه تولاه ، بل شأنه السكون تحت جريان الأحكام ، وفقد الاضطرابات والاتهام .. لايزيد رجاؤك لعلة ، ولا ينقص خوفك لسبب ، بل لو وزنا لتعادلا فى كل حال من أحوالك ، وذلك من عدم اعتبارك لأعمالك ، نظرا للسابق فى القسمة ، وقياما بحق الحرمة، وعملا بقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾(الأنعام :٩١) .. كن دائم البشر ، متواصل الأحزان ، كما جاء فى وصفه ، عليه الصلاة والسلام ، وذلك من تحقق بمقام الإحسان .

فمن شهد وحدة الأفعال ، لم يتكدر بشيء أبداً ، ولم يحزن من شيء أبداً، لأنه لايشهد فاعلاً فى الوجود غير الله .

الــرزق :

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ﴾ (الروم : ٤٠)

أى قرن الخلق بالرزق ، فيدل على أنه من الله لاغير ..

وقوله جل شأنه ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾ (الذاريات :٥٨) تأكيد بذلك ..

وقوله سبحانه ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود:٦) ضمان للرزق

﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ (الذاريات :٢٣) .. لم يكتف بما تقدم ، بل أقسم .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾ (الفرقان :٥٨) ... أمر بالتوكل.

والتوكل موضعه :

١ - موضع القسمة : وهو الثقة بالله تعالى بأنه لايفوتك ما قسم لك ، فإن حكمه لايتبدل .

٢ - موضوع التصرف : وهو الاعتماد والتوثق بنصر الله عز وجل لك .

٣ - موضع الرزق والحاجة : فإن الله متكفل بما يقيم صلبك لخدمته.

عن النبى ﷺ : سمعت رب العزة سبحانه وهو يقول: ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دونى ، إلا قطعت بأسباب السماوات والأرض دونه ، إن سألنى لم أعطه ، وإن دعانى لم أجبه ، وإن استغفرنى لم أغفر له . وما من مخلوق اعتصم بى دون خلقى، إلا ضمنت السموات والأرض رزقه ، إن سألنى أعطيته، وإن دعانى أجبته ، وإن استغفرنى غفرت له » ومن يتوكل على الله فهو حسبه .. وهذا فرض لازم للعبد ، فموضوع التوكل إذن هو الرزق المضمون.

أنواع الرزق :

١ - الرزق المضمون : هو الغذاء وما به قوام البنية ، دون سائر الأسباب .. والضمان من الله لهذا النوع ، والتوكل يجب بإزائه ، لأن الله كلفنا خدمته وطاعته بأبداننا ، وضمن لنا ما يسد خلل البنية ، لنقوم بما كلفنا به .

٢ - الرزق المقسوم : وهو ما قسمه الله سبحانه ، وكتبه فى اللوح المحفوظ ، وما يأكله وما يشربه ويلبسه كل واحد ، بمقدار ووقت موقوت .

٣ - الرزق المملوك : وهو ما يملكه كل واحد من أموال الدنيا ، على حسب ما قدره الله ، وقسم له أن يملكه ، وهو من رزق الله .

٤ - الرزق الموعود : فهو ما وعد الله به المتقين من عباده ، بشرط التقوى ، حلالا من غير كد ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق :٣) .

والتوكل إنما يجب بالنسبة للرزق المضمون .

والتوكل هو : اتكال القلب على الله بالانقطاع إليه ، واليأس عما دونه . وأن قوام بنيتك ، وسد كفايتك ، إنما هو من الله لا من أحد ، ولا بسبب من الأسباب ، فإن شاء سبب لك مخلوقاً أو مكانا ، وإن شاء كفاك بدون الأسباب والوسائط .

قيل للجنيد : نطلب الرزق ؟ فقال : إن علمتم فى أى موضع هو فاطلبوه.. قالوا : نسأل الله تعالى ذلك ؟ قال : إن علمتم أنه نسيكم فذكروه .. قالوا : فندخل البيت ونتوكل ؟ فقال : التجربة شك . قالوا : فما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة .

من شرح الحكم للبشير :

* إياك أن يجرى على لسانك كلمة كذب أو غيبة ، فإن من كذب فى يومه كذبة واحدة ، لم يقبل الله حمده .

* معنى لا إله إلا الله : أن تشهد بقلبك ، وتحضر بسرك ، وتذوق بروحك ، أن لافاعل فى الوجود إلا الله .. فإذا سرى فى كليتك هذا المعنى ، شهدت: أنه لا حى فى الوجود إلا الله .. فإذا أدهشتك أنوار الأزل ، في مشهده المنزه عن الأين والكيف والعلل ، شهدت أنه لا موجود إلا الله تعالى .

* حديث : الصمت يورث معرفة الله ، والعزلة تورث معرفة الدنيا ، والجوع يورث معرفة الشيطان ، والسهر يورث معرفة النفس .

والصمت المطلوب : يكون بالحضور مع الله بالله لله .

* أمهات الكبائر عند الصوفية أربعة

أنـــا : لأن من قالها إبليس .. حيث قال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (الأعراف:١٢) .

نحـــن : أول من قالها قوم بلقيس : ﴿ نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ (النمل :٣٣) .

عندى : قالها قارون : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ (القصص :٧٨).

لـــى : قالها فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الزخرف:٥١) .. فتنح عن هذه الأربعة، لأنها مهلكة للأنام ، ومنازعة لذى الجلال والإكرام .

مقام الشهود :

* أن يشهد السالك فى ذلك المقام : السامع واحداً فى كل سمع ، والباصر واحداً فى كل بصر ، والباطش واحداً فى كل بطش ، والماشى واحدا فى كل مشى ، والمتكلم واحداً فى كل كلام.

* فمن شهد العظمة قال : مارأيت شيئا ، إلا رأيت الله بعده .. ومن شهد الوسع قال : مارأيت شيئاً ، إلا رأيت الله قبله .. لأن العين هى باطن العظمة ، وهى ظاهر الوسع ، ولذلك كانت العظمة إزاره .

* احذر أن تناجى الله سبحانه وتعالى بقلب لاه ، مسترسل فى أودية الغفلة والوساوس ، جائل فى ميادين الخواطر والأفكار الدنيوية ، فتستوجب المقت من الله ، والطرد عن بابه .

* الحقيقة مشاهدة ، والشريعة مجاهدة ، وكلتاهما يشهد بهما الكتاب والسنة الشريفة .

- بالنسبة لأدلة الحقيقة من الكتاب :

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (الأنفال:١٧)

فنفى بذلك فعل الأجرام ، وأثبت الفعل إليه من غير إيهام .

وقال تعالى فى حق السحرة : ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (البقرة:١٠٢).

أى : إلا بإرادته وقدرته .. وأكد تعالى تلك القدرة فى آيات كثيرة منها :

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ «(المجادلة : ١٠) .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ (النحل :٧٩).

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾ (السجدة :٢٧).

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (البقرة :٢٥٣) .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأنعام:٣٥) .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ (يونس :٩٩).

- وأدلة الحقيقة من السنة هى :

اللهم أرنا الأشياء كما هى - لاتحمدن أحدا على فضل الله ، ولاتذمنَّ أحدا على ما لم يؤتك الله .

وحين بايع أصحابه عليه الصلاة والسلام قال : ما أنا حملتهم ، ولكن الله حملهم .

* إسقاط الوسائط من جماد ونبات وحيوان : ولاية عظمى .. وكمال الإيمان : الاعتماد على الله فى السر والعلن ، فالمؤمن إذا اعتبر بالآيتين الآتيتين ، فإنهما تطهران قلبه من بعض الشرك الخفى ، ويكون سره مع الله ، لا ينظر لسواه ، فى رحمة أو إمساك :

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (فاطر :٢).

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (يونس:١٠٧) .

فمن سكن سره لغير الله تعالى ، نزع الله نور الإيمان من قلبه ، وألبسه لباس الطمع فى غيره ، وصار نظره إلى المخلوقين دون خالقه .

* كلما تحقق السالك بوصف من أوصاف عبوديته ، أمره الحق بوصف من أوصاف ربوبيته .. ومن شاهد التأثير من عين القدم ، فهو له ، ومن شاهده من عين الحدوث ، فهو له .. لا تأثير للحيوان فى الحركة بالكلية ، وإنما يخلق الله الحركة ، عند مباشرته لها .. ولا تأثير للنار فى الإحراق ، ولكن يخلق الله الإحراق عند ملامستها .

إن كان ظلك فى الحقيقة فاعلا ∴ فالفعل منك فأين أنت وعقلك ؟

الطريق إلى العبودية الحقة :

* إذا ظللت مع النفس والهوى والدنيا والشهوات والملذات ، فأنت عبد لها ، وزمامك بيدها .. أين أنت من عباد الله الذين تحققت لهم العبودية له ، والرضا بأفعاله ، فتنزل الآفات عليهم ، وهم قعود كالجبال الرواسى ، ينظرون إليها بعين الصبر .. تركوا الأجساد للبلايا ، وطاروا إلى الحق عز وجل بقلوبهم ، فهم خيم بلا رجال ، أقفاص بلا طيور ، أرواحهم عنده ، وأجسادهم بين يديه .

* الحق عزّ وجل يختبر أولياءه ليصفيهم ، فهم أبداً على قدم الخوف من التغيير والتبديل ، يخافون وإن كان حالهم الأمن ، ينزعجون وإن كانوا قد أعطوا السكون ، يناقشون أنفسهم على ذرة وخردلة ، يخافون من تقلب الأغيار ، وسوء العاقبة ، لأنهم قد علموا أن ربهم عز وجل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

* وأنت ياغافل تبارز الحق عز وجل بالمعصية والمخالفة ، ثم تأمنه ! .. عن قريب ينقلب أمنك خوفاً ، وسعتك ضيقاً ، وعافيتك مرضاً ، وعزك ذلاً ، وغناك فقراً . واعلم أن أمنك فى يوم القيامة من عذاب الله تعالى ، على قدر خوفك منه فى الدنيا ، وخوفك فى الآخرة على قدر أمنك فى الدنيا .. ولكنكم غائصون فى قعر بئر الغفلة ، فلاجرم أن عيشتكم كالبهائم ، لاتعرفون سوى الأكل والشرب والنكاح والنوم .

* يامن فضحه حرصه ! لو اجتمعت أنت وأهل الأرض ، على أن تجلب لك شيئا لم يقسم لك ، لم تقدر .. فدع عنك الحرص على طلب ما قد قسم لك، وطلب ما لم يقسم لك .. اخرج الخلق من قلبك ، ولاتراهم فى الضر والنفع ، واعتقد أن الخير والشر بيد الله يجريهما على أيدى الخلق .

* من كان فى حالة من الأحوال ، مع ملازمة الشرع ، ولم يتمن ما فوقها ولاماتحتها ولازوالها ولا بقاءها ، فقد حصل له شرط الرضا والموافقة

والعبودية .. إذا أنكرت منكراً ، غيرة لله عز وجل ، أعانك على إزالته ، ونصرك على أهله ، وذلهم لك .. وإذا أنكرته بنفسك وهواك وشيطانك وطبعك ، خذلك ولم ينصرك على أهله .

* إذا جاءتك الأقسام ، تناولها بيد الأمر ، بيد الموافقة على قدم الزهد فيها ، لابيد الاختيار لها والحب لها .. الزهد إذا دام ، عمل فى البدن ، فيورث حزنا فى القلب ، ونحولا فى البنية .. فإذا تحقق هذا الحزن وهذا النحول ، جاء الفرج من الحق ، بالفرح به والمعرفة له ، فيذهب الحزن والهم .. العبد منقطع القلب عن الخلق ، وعن الأهل والمال والولد ، وإنما يتشاغل بهم ، وقلبه منتظر لمجئ رسول الملك .

* انظر إلى الخلق بعين العجز والذل ، ولا تنظر إليهم بعين البقاء . وحِّد الحق عز وجل وتوكل عليه . الدنيا وجميع ما يظهر فيها ، قد فرغ الحق منه ، والخلق وجميع ما يتقلبون فيه ، قد فرغ منه .. فافرغ أنت أيضا قلبك من هذا كله ، واعلم أن الذى قد قضى لايتغير ، والقسم قد فرغ منه ، لايزيد ولا ينقص .



قطوف من أزاهير الرياض

نلتقط تلك الأزاهير العطرة من رياض الصالحين ، السادة المتصوفين ، حتى تستنشق الأرواح عبيرها ، فتتشوق إلى عمل الصالحات التى تقربها إلى الملأ الأعلى ، وتتجنب السيئات ، وتعالج الأخطاء ، وتسارع فى الخيرات :

* **إن أردت أن لا يصـــدأ لك قلبك** ، ولا يلحقك هم ولا كرب ، ولا يبقى عليك ذنب ، فأكثر من قول : سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم . لا إله إلا هو . اللهم ثبت علمها فى قلبى ، واغفر لى ذنبى .

* **إذا توجهت لشىء من عمل الدنيا والآخرة فقل :**

ياقوى ياعزيز ياعليم ياقدير ياسميع يابصير .

حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله . إنا إلى الله راغبون .

* **إذا استحسنت شيئا من أحوالك الظاهرة أو الباطنة** ، وخفت زواله فقل :

ماشاء الله لاقوة إلا بالله .

* **من ابتلى بوقـوعـه فى الغيـبـة** : فليـقـرأ الفـاتحـة ، وسـورة الإخلاص ، والمعوذتين .

ويهدى ثواب ذلك إلى الشخص الذى اغتيب .

* **أسباب القبض ثلاثة** : ذنب أحدثتـه . أودنيـا ذهبت عنك . أو شـخص يؤذيك فى نفسك أو عرضك .

فإن كنت أذنبت فاستغفر .. وإن كانت الدنيا ذهبت عنك ، فارجع إلى ربك .. وإن كنت ظلمت فاصبر واحتمل .. **هذا دواؤك** .. وإن لم يطلعك الله على سبب القبض ، فاسكن تحت جريان الأقدار ، فإنها سحابة سائرة .

* **إذا كثرت عليك الخواطر والوساوس فقل :**

سبحان الملك الخلاق . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وماذلك على الله بعزيز .

* **إن أردت الصدق فى القول : فأكثر من قراءة** « إنا أنزلناه فى ليلة القدر ».
وإن أردت الإخلاص فى جميع أحوالك : فأكثر من قراءة « قل هو الله أحد » .
وإن أردت تيسير الرزق : فأكثر من قراءة « قل أعوذ برب الفلق » .
وإن أردت السلامة من الشر : فأكثر من قراءة « قل أعوذ برب الناس » .
وأقل الإكثار هو سبعون مرة كل يوم ، ممكن أن تزيد إلى سبعمائة مرة .

* **حسنتان لا يضر معهما كثرة السيئات** : الرضا بقضاء الله . والصفح عن عباد الله .. ومن غفل قلبه اتخذ دينه هزوا ، ومن اشتغل بالخلق اتخذ دينه لعبا . لاتركن إلى علم ولا مدد ، وكن بالله عزَّ وجلَّ .

خصلة واحدة تحبط الأعمال ، ولايتنبه لها كثير من الناس : سخط العبد على قضاء الله .. قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد :٩).

* أكثر من قول : أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه وأسأله التوبة والمغفرة . إنه هو التواب الرحيم .

* الله أكبر ! ما أخفى لطائف التعريف . يشرد عبده عن حضرته ، فيرده إليه بالتعنيف (يعنى بالبلايا والمحن) مع أنه فى ذلك رب لطيف .

* من لم يشكر المنعم ، فقد تعرض لزوال النعم . واحذر أن يكون شكرك لأجلك ، بل اجعل شكرك امتثالاً لأمر ربك بالشكر . ولهذا قال تعالى : ﴿ أن اشكر لى ﴾ (لقمان :١٤) .

* الرزق فى طلب المرزوق دائر ، والمرزوق فى طلب رزقه حائر .. وبسكون أحدهما يتحرك الآخر .

* من هلل الله أجله ، ومن سبحه أصلحه ، ومن حمده أيده ، ومن استغفره غفر له ، ومن رجع إليه ، أقبل عليه .

* **ذكر الغفلة** : جزاؤه الطرد - **وذكر الحضور** : جزاؤه القرب - **وذكر الاستغراق** : جزاؤه محبة مشاهدة ووصل - **وذكر اللسان** : يقرع باب الملك، وهو كفارة ودرجات - **وذكر القلب** : زلفى وقربات - **وذكر الروح** : مكالمة ومحادثة .

* **جلاء القلب ودواؤه فى خمس** : قراءة القرآن بالتدبر ، وقيام الليل ، وإخماص البطن ، والتضرع بالأسحار ، ومجالسة الصالحين .

* كن مع الحق بلا خلق (عزلة وفناء) .

وكن مع الخلق بلا نفس (شر الناس من أكل وحده - الكرم - التوسع - التواضع)

الرجل من كان مشغولا مع الخلائق ، ويكون قلبه مع الله تعالى .

* **قال سيدى على الخواص** : لا يكمل الفقير فى باب الاتباع لرسول الله ﷺ - حتى يصير مشهوداً له فى كل عمل مشروع ، ويستأذنه فى جميع أموره من أكل ولبس وجماع ودخول وخروج .. فمن فعل ذلك ، فقد شارك الصحابة فى معنى الصحبة .

* لا تسب أحداً من خلق الله على التعيين ، بسبب مصيبة ، وإن عظمت ، فإنك لاتدرى بم يختم لك وله . لا تسب من أحد إلا فعله لا عينه ، فإن عينك وعينه واحدة ، فلا تسب إلا الفعل الردئ المذموم لقوله ﷺ فى الثوم : إنها شجرة أكره ريحها ، ولم يقل أكرهها .. فهو كره ريحها الذى هو بعض صفاتها .

* كفوا غضبكم عمن يسئ إليكم ، لأنه سلط عليكم بإرادة ربكم .

افعلوا ما أمركم به الشرع ، ولكن من حيث مشروعيته والأمر به ، لا من حيث علة أخرى، واتركوا العلل كلها فى جميع أحوالكم وأعمالكم . واقطعوا الكل بقوله تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ (الرعد:٣٩).

* كتب الشعرانى إلى شيخ له بالمغرب ، يشكو له أذية الخلق ..فكتب له الشيخ : لا تشتغل بمن يؤذيك قط ، واشتغل بالله ، يرده عنك .. وقد غلط فى هذا الأمر خلق كثير ، واشتغلوا بمن آذاهم ، فطال الأذى مع الإثم. ولو أنهم رجعوا إلى الله ، لكفاهم أمرهم ، ولردهم عنهم .. إنما يندفع الشيطان بالتوكل والإيمان ، لأن الله وعد بأنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .

* **أعداؤك أربعة :**

الدنيا .. وسلاحها لقاء الخلق .. وسجنها الخلوة

الهوى .. وسلاحه الكلم .. وسجنه الصمت

الشيطان .. وسلاحه الشبع .. وسجنه الجوع

النفس .. وسلاحها النوم .. وسجنها السهر

* مادام العبد مقيداً فى سجن الأكوان ، ومحصوراً فى هيكل جسمه ، فالأكوان حاكمة عليه . فهو يحبها ويعشقها ، وهى تبغضه وتبعده عن ربه، وهو يفتقر إليها .

فإذا شهد العبد مكونها ، وغاب عنها ، وتحرر من رقها ، كانت حينئذ هى خادمته ، وهو حاكم عليها ، وهى تحبه ، وهو مشغوف بحب خالقها ، وهى تحرص عليه ، وهو زاهد فيها .

* **الفرق** : هو شهود خلق بلا حق - **والجمع** : هو شهود حق بلا خلق .

وجمع الجمع : هو شهود خلق بحق .

الفرق شريعة، والجمع حقيقة - الفرق شهود الحكمة ، والجمع شهود القدرة.

وجمع الجمع : شهود حكمة وقدرة .

* **كيفية التعلق بأوصاف الحق** : أن تلتجئ فى أمورك إليه ، وتعتمد فى حوائجك عليه ، وترفض كل ماسواه ، ولا تري فى الوجود إلا إياه .. فإذا

نظرت إلى وصفه تعالى بالغنى ، تعلقت بغناه ، واستغنيت عما سواه ، ولم تفتقر إلى شيء .

وإذا نظرت إلى وصفه تعالى بالقدرة ، لم تلتجئ فى حال عجزك إلا إلى قدرته ، واستضعفت كل شيء .

* **النعم** طرد ، فمن رضى النعم فقد رضي بالطرد .. **والبلاء** قربة ، فمن ساءه البلاء ، فقد أحب ترك القربة والتقرب إلى الله .

* **الإخلاص** : هو الذى فى معاملته لا ينظر معه أحداً .. **والمروءة** : لايكون علي الخلق ثقيلاً .

* **علامة الأولياء ثلاثة** : تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وإنصاف عن قوة .

محبة الصالحين ، والاقتداء بهم فى الأفعال والأخلاق ، وزيارة قبور الأولياء، والقيام فى خدمة الفقراء والمحبين ، تكون أنفع للمريدين .

* سئل صوفى: **ما الفتوة** ؟ قال : اعتذر الخلق مما يجرى عليهم ، واحمل التقصير من نفسك ، واشفق على خلق الله ، إن كان صالحاً أو فاجراً ..
وكمال الفتوة : أن لايشغلك الخلق عن الحق ، فتشعر بحقيقة الحب مع الله، ودوام الأنس بذكره .

* سئل الحكيم الترمذى عن صفة الذات والفعل ، فقال : كل ما يحتمل الزيادة والنقصان ، فهو من صفات **الفعل** .. وكل ما لايقع عليه الزيادة والنقصان ، فهو من صفات **الذات** .

وسئل عن **الإيثار** فقال : اختيار حظ غيرك على حظ نفسك .

وقال فى **اليقين** : هو استقرار القلب على الله تعالى وعلى قوله وأمره .

وقال فى **الشكر** : الشكر تعلق القلب بالمنعم .

* **أحوال أولياء الله مختلفة** : بعضها بلا وصف ولا تعيين ، وبعضها موصوفا بصفة .. مثلا يقولون : فلان أهل المعرفة ، أو أهل المعاملة ، أو

أهل المحبة ، أو أهل التوحيد..وكمال الحال ونهاية الدرجات لأولياء الله ، أن يكونوا بلا صفة ولاتعين .. وقالوا : انعدام الصفة علامة كشف الذات، وهو مقام رفيع ، ودرجة شريفة .. فالعبارات والإشارات عن كنه تلك المرتبة قاصرة .

* لاتتكلف ماكفيت ، ولا تضيع ما استكفيت .

يعنى لا تتعب فى قدر الله تعالى لك فى الأزل ، ولا تضيع ما طلب منك من الأوامر والنواهى .

* **التصوف** : لا تجده بطلب ولا بصلح ، لأنه قهر .. فهو سهم مثل البرق من النور الأعظم ، ينزل من السماء على من يستحقه .. فمن يكون طالبه يشرد عنه ، ومن يكون أهله ينزل عليه ، وإن كان شارداً عنه .

* سئل عارف : متى يخرج العبد من **خطر الغفلة** ؟ قال : الوقت الذى يكون فيه مشغولاً بما كان به مأمورا ، وغافلا عما نهاه عنه ، ومحاسباً نفسه .

يميتنى ثم يحيينى .. تفسيرها : يميتنى عنه ، ويحيينى به .

* إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا .. أى استقاموا على انفراد القلب لله تعالى .

الأدب مع الله : عمل تخرج فيه عن الماء والتراب ورعونة النفس .. فلا تقول : أنا وعملى ، بل تقول : هو وتوفيقه وعنايته .

* أدنى الذكر : أن تنسى مادونه .. ونهاية الذكر : أن يغيب الذاكر فى الذكر عن الذكر ، ويستغرق فى مذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر .. وهذا حال فناء الفناء .

* قال أحد الأولياء: رأيت الله تعالى ، الليلة التي صلبوا فيها الحلاج .. فقلت : ياالله ما فعلت مع الحلاج ؟ فقال : أظهرت عليه سرا من أسرارى، فأظهره على الخلائق .. فتجليت عليه تجليا فعجب ، وجذب الخلائق إلى نفسه .

* وقال أحد الأولياء : قتل الحلاج كان نقصا له ، وما كان كرامة له .. ولو كان كاهلا ، لما وقع عليه ما وقع . فلا ينبغى إفشاء السر الإلهى ، حتى لا يظهر السر .. وإن تكلم به لغير أهله ، وجبت العقوبة ، فقد كان الحلاج ناقصاً فى وقت كلامه ، وما كان كاملا . ولو كان كاملا فيه ، لكان الكلام مقامه ، وتكون نفسه حية ، ولا ينكر عليه أحد . فينبغى له حال غير هذا الحال ، فما كان مجرما بهذا الكلام ، وأنا أقول أقوى منه عند العوام، ولا ينكرون علىّ ، ويبقى السر على حاله ، لأنه إن لم يكن أهله لا يفهمه . (هذا كلام الهروى) .

* سئل أحد العارفين عن أكبر أحوال الصوفى، فقال : الثقة بالمضمون ، والقيام بالأوامر ، ومراعاة السر ، والتخلى عن الكونين ، بالتشبث بالحق تعالى .

* قال أبو سعيد الخزاز : كن بذكر الله ، فإن قويت حالك رغبت عن ذكر الله، وذكر الله إياك .

أنت تدرى يا حبيبى من حبيبى أنت تدرى

ونحول الجسم والدمع يبوحان بسرى

قد كتمت الحب حتى ضاق بالكتمان صدرى

* قال الشبلى : ياجواد . إنك أوجدت الجوارح ، وبسطت تلك الهمم ، ثم مننت بعد ذلك على أقوام ، بالاستغناء عليهم وعما فى أيديهم بك ، فإنك الجواد . فإنهم يعطون عن حد محدود ، وعطاؤك لاحد له ولا صفة. ياجواد يعلو كل جواد وبه جاد من جاد .

* وقال الشبلى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (النور :٣٠).. أى أبصار الرأس عن المحارم ، وأبصار القلوب عما سوى الله تعالى .

* رأى أحد الأولياء رسول الله ﷺ فى المنام فقال : يارسول الله : ما حقيقة هذه الأفعال ، وما أنا فيه مشغول ؟ قال ﷺ - استح من الله تعالى ، إذا كنت مع الخلق ، ولا تكن غافلاً عن الله .. يعنى: ينبغى لك أن تكون فى الظاهر مع الخلق ، وفى الباطن مع الله سبحانه وتعالى . ولما قال صلى الله عليه وسلم هذا وراح ، ذهب على أثره وقال : زدنى يارسول الله .. فقال : إذا كنت فى الباطن مع الله سبحانه وتعالى ، فينبغى أن تكون فى الظاهر مع الخلق وتؤدى حقوقهم .
* من أظهر العمل فهو مرائي ، ومن أظهر الحال فهو مدعى .. العزلة أن لاتكون أنت .

حقيقة الفقير : أن لا يستغنى العبد بشىء عن الحق سبحانه .

ينبغى أن يكون نظرك فى الدنيا للاعتبار ، وسعيك فيها لحد الاضطرار ، وتركك لها على سبيل الاختيار .

كن شريف الهمة ، فإن الهمة تبلغ بالرجل ، لا المجاهدات .

* إذا ضاقت الأوقات والأنفاس علىّ ، لا أستريح ولا أستطيب بشىء ، إلا بتذكر الأنفاس الماضية التى مضت علىّ ، وقت صفاء الأنس والمودة ، بغير اختلاط الكدورات .
* أى كلام كان خالياً عن الذكر ، فهو لغو .. وكل سكوت كان فارغا عن الفكرة ، فهو سهو .. وكل نظر كان خاليا عن العبرة ، فهو لهو .
* رأى أحد الأولياء النبى ﷺ - فى النوم ، فسأله : يارسول الله : ما التصوف ؟ قال رسول الله ﷺ - : التصوف ترك الدعاوى ، و كتمان المعانى .. ثم سأله : يارسول الله ما التوحيد ؟ قال ﷺ: كل ماهجس ببالك، أو خطر بخيالك، فالله سبحانه بخلاف ذلك . فالتوحيد : أن تنزهه عن الشك والشرك والتعطيل .. ثم سأله : ما العقل ؟ فقال رسول الله ﷺ - أدناه : ترك الدنيا ، وأعلاه : ترك التفكر فى ذات الله تعالى .

* ليس التصوف الصلاة والصوم وإحياء الليل .. فهذه كلها أسباب العبودية .. والصوفية لا تنادى من أحد ، ومتى حصلت وصلت .. الهموم عقوبات الذنوب .

* كن عالما بالله ، فإن لم تكن عالما بالله ، لا تكن عالما بنفسك . لأنك إن لم تكن عالما بنفسك ، لابد أن تكون عالما بالله .. الصادق الذى يملك كل شيء ، ولا يملكه شيء .

أعظم حجاب بينك وبين الحق ، اشتغالك بتدبير نفسك ، واعتمادك علي عاجز مثلك فى أسبابك .

* واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .. ليس اليقين إلا معاينة عين القديم ،بلا صورة عمل عبادة ، والنية التى هى أبلغ من الأعمال .. فإن صورة العمل بلا نية ، معاينة القديم لاتكون عبادة ، بل هى رسم وعادة .. فالطالب هو الذى لايكون له مطلب غير عين القديم ، وكل ما يكون غير عين القديم ، فهو عنده مَحَال وباطل .

* لايكون الصوفى صوفى حتى لاتقبله أرض ، ولا تظله سماء ، ولا يكون له قبول عند الخلق ، ويكون مرجعه فى كل الأحوال إلى الحق تعالى.

* قال أبو على الدقاق : يا الله أنا سودت الديوان بالذنوب ، وأنت بيضت شعرى ، فيا خالق البياض والسواد ، بفضلك تفضل علىّ ، وبدل سوادى ببياضك .

* الصوفى مثل البرسام : أوله هذيان ، وآخره سكون .. فإذا تمكنت خرست .

* التوحيد : سقوط الرسم عند ظهور الاسم .. فناء الأغيار : عند طلوع النهار .. تلاشى الخلائق : عند ظهور الحقائق .. فقْد رؤية الأغيار عند وجد قربة الجبار .

* ومن أقوال شيخ الإسلام (أبو اسماعيل الأنصارى الهروى) : إذا وصلت لك سنة من سنن رسول الله ﷺ - إن لم تقدر أن تجعلها وردا ، فاعملها

مرة واحدة ، حتى يدون اسمك فى زمرة السنيين . وهكذا ، كل معاملة حسنة ، وأحوال وأخلاق المشايخ : فينبغى تقليدهم فتذهب علي أثرهم ، وخذ سيرتهم ، وإن لم تقدر عليها ، خذ شيئا منها .

* إن الأسماء التسعة والتسعين : تصير أوصافاً للعبد السالك ، وهو بعد فى السلوك .

* كن مستقيما فى أوامر الله ونواهيه ، واعمل بالعزيمة والسنة ، واجتنب الرخصة ، وابعد عن البدعة. واجعل أمامك أحاديث النبى ﷺ - وكن متفحصا ومتحسبا لأخبار النبى ﷺ - وآثار الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم أجمعين) .

* إن النصوص " روح " والفتوحات " قلب " . فمن فهم النصوص كما ينبغى، يحصل له الرغبة والميل إلى رسول الله ﷺ - أكثر مما كان .. (نصوص وفتوحات بن العربى) .

* المقصود بزيارة ومشاهدة أكابر الدين (رضى الله عنهم أجمعين) أن يكون التوجه إلى الله ، وأن تكون الروح وسيلة له .. وهكذا فى التواضع للخلق: وإن كان التواضع بالظاهر للخلق ، لكنه فى الحقيقة لله .. لأن التواضع للخلق ، لايكون محسوبا إلا إذا كان ذلك التواضع خاصة لله تعالى ، بمعنى أن يعرفهم مظاهر آثار القدرة وحكمته ، وأن يكون تواضعا بحق ، لا ضِعَة .

* كل من سألته فهو فوقك ، وأنت بمسألته ذليل ، فلا تسأل إلا من لا أحد فوقه ، من يعزك بمسألته ، ويعينك بعطيته ، ذلك الله رب العالمين ، الذى من طمع فيما عنده ، عز بطمعه ، ومن افتقر إليه ، استغنى بفقره ، ومن ذلَّ له لم يُعذب بذله .. ذلك الله الحكيم الحليم الكريم ، الذى من جوده يغضب على من لا يسأله ، ومن عباده إن سأل أعطى وإن لم يسأل ابتدأ عطيته بر ومنحة اختبار .

كن عن همومك معرضا	وكل الأمور إلى القضا
فلربما اتسع المضيق	ولربما ضاق الفضا
ولرب أمر متعب	لك فى عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء	فلاتك لأمره متعرضا

* عن الحسن البصرى : الناس فى هذه الدنيا على خمسة أصناف :

العلماء : وهم ورثة الأنبياء - **والزهاد**: هم الأدلاء - **والغزاة** : هم أسياف الله تعالى - **والتجار** : هم أمناء الله عز وجل - **والملوك** : وهم رعاة الخلق.

فإذا أصبح العالم طامعا ، وللمال جامعاً .. فبمن يقتدى ؟

وإذا أصبح الزاهد راغبا .. فبمن يستدل ويهتدى ؟

وإذا أصبح الغازى مرائيا ، والمرائي لا عمل له .. فمن يظفر بالعدى ؟

وإذا كان التاجر خائناً .. فبمن يؤتمن ؟

وإذا أصبح الملك ذئباً .. فمن يحفظ الغنم ويرعى ؟

والله ما أهلك الناس إلا العلماء المداهنون ، والزهاد الراغبون ، والغزاة المراءون . والتجار الخائنون ، والملوك الظالمون .. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء :٢٢٧).

* الواجب على الإنسان إذا أحس بنعمة ظاهرة أو باطنة ، حسية أو معنوية ، أن يعرف حقها ، ويبادر إلى شكرها ، نطقاً واعتقادا وعملاً . فالنطق : الحمد - والشكر : باللسان - والاعتقاد : شهود المنعم في النعمة وإسنادها إليه ، والغيبة عن الواسطة بالقلب ، مع شكرها باللسان ، إذ من لم يشكر الناس ، لم يشكر الله .

* إذا اعتنى الله بعبد ، وأراد أن يوصله إلي حضرته ، شوش عليه كل ماتركن إليه نفسه ، وأزعجه طوعا أو كرها ، حتى يُيأسه من هذا العالم ، ولم يبق له ركون إلى شيء منه ، فحينئذ يصطفيه لحضرته .

* إياكم وهم الرزق ، وخوف الخلق :
فـــالله تكفل بـالرزق ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذرايات:٢٢).

الأمر كله بيد الله .. فلم تخشى غيره ؟ والرزق بيد الله عليك أن تسعى له ، وتعمل كل ما يجب وتأخذ كل الأسباب ، ولكن ليكن قلبك دائما مطمئنا بالله .. عليك أن تدافع وتحارب ، ولكن اترك النتيجة لله ، وبذلك تكون قوى الثقة ، قوى الإيمان ، قوى العزيمة .

* إذا أردت أن ينقطع عنك الوسواس : فافرح وقتما تحس به ، فإذا فرحت ، انقطع عنك ، لأنه ليس شيء أبغض على الشيطان من سرور المؤمن .. فإن اغتممت به زادك ، وهذا يؤيد ما قاله الأئمة : إن الوسواس إنما يبتلى به من كمل إيمانه ، فإن العصى لا يقصد شيئا خراباً ، إنما يقصد الجواهر الحسان .

* لايجتمع ذكر الله واليأس : فمهما حضر ذكر الله ، ذهب اليأس .. ومهما حضر اليأس ، ذهب ذكر الله . فاعرف قدر ذكر الله ، وسر ذكر الله .. كيف لا ؟ وقد لايحزن الفزع الأكبر القلوب المطمئنة بذكر الله يوم القيامة.. فأحرى بذلك ما يصيب المؤمن من البلايا والمحن فى دار الدنيا ، فلا يحزن لها نتيجة ذكر الله ..وأى ذكر أو عبادة عند المستغرق فى بحر الشكوك والأوهام ، لا يحقق النتائج المرجوة . فالذكر المطلوب يستلزم الحضور مع الله .

* عمرك نفس واحد ، فاحرص أن يكون لك لا عليك ، فليس للقلب إلا وجهة واحدة ، فمهما توجه إليها حجبته عن غيرها .. وإياك أن تطمع فى غيره، وإلا أوكلك إليه ، وحجبك عن خيره ، فالقلب وجهته واحدة ، فاحذر أن تميلها إلى سواه ، وإلا حرمت رضاه . وإياك أن تميل إلى غير الله ، فيسلبك لذة المناجاة .

* من ترقى من الخواطر الشيطانية .. قطع مجيب العنصر النارى

ومن ترقى من الخواطر النفسانية .. قطع مجيب العنصر الهوائى.

ومن ترقى عن الحجب النورانية .. فقد ترقى عن ملاحظة روحه القائمة بصورته الجسمانية .

* طريق الوصل سهل أن ترونى ... ففى إياك اطلبنى تجدنى

قريب حيث كنت وحيث تغدو ... وحيث تروح فاطلبنى تجدنى

فإنى منك فى قرب وبعد ... كقاب القوس فاطلبني تجدنى

ولم أك غائبا فيظن أنى ... بعيد عنك فاطلبنى تجدنى

وأنى منك أقرب منك حتى ... كأنك فى اتخاذ القرب أدنى

فلا تسأل أهل العشق عنى ... ولكن ياقتيل الشوق سلنى

* نصيحة : لا تأخذ فى هذا العلم مع متكبر ، ولا صاحب بدعة ، ولا مقلد.. ومن عامل الحق بالحقيقة ، والخلق بالحقيقة ، فهو زنديق .. ومن عاملهما بالشريعة فهو سنى .. ومن عامل الحق بالحقيقة ، والخلق بالشريعة ، فهو صوفى.

* الحمية فى الأبدان : ترك المخالفة بالجوارح .. والحمية فى القلوب : ترك الركون إلى الأغيار .. والحمية فى النفوس : ترك الدعوى .. أى الحمية : ترك نسيئة ، ومراعاة الحق عز وجل ..أما القلوب فهى محل الحبيب ، وهى : إما محل الأسرار ، وإما محل الأكدار .

فتحقيق الحمية فى القلوب : أن لا يحب إلا الله .. ودوام الحب يكون بدوام الذكر ..أما النفوس فلا تسقط دعواها إلا إذا مات هواها ، وأطاعت مولاها .

* إن الله غيور لا يحب أن يرى فى قلبك غيره ، فلا تتوكل على مالك وجاهك وأهلك ، بل توكل على الله . كيف تثق بما فى يدك وهو معرض للزوال ، وتترك الثقة بالله ، وهو لايزول .

* لاتشك من الخالق إلى الخلق ، بل اشك إليه هو الذى يُقدّر ، وأما غيره فلا .. التوحيد عبادة والشرك بالخلق عادة ، فالزم العبادة ، واترك العادة.

* من كنوز البر : كتمان السر والمصائب والأمراض والصدقة .. تصدق بيمينك ، واجتهد أن لا تعلم به شمالك .. ذوب نفسك بالمجاهدة ، فإنها إذا ذابت وفنيت اطمأنت إلى القلب ، ثم يطمئن القلب إلى السر ، ثم يطمئن السر إلى الحق عز وجل .

* إذا أردت الفلاح فخالف نفسك فى موافقة ربك عز وجل ، ووافقها فى طاعته ، وخالفها فى معصيتك . نفسك حجابك عن معرفة الخلق ، والخلق حجابك عن معرفة الله عز وجل . فما دمت مع نفسك ، لا تعرف الخلق ، ومادمت مع الخلق ، لا تعرف الحق عز وجل .

* لا تدعى محبة الله عز وجل ، وتحب غيره . إن الله هو الصفاء ، وغيره الكدر ، فإذا كدرت الصفاء بمحبة غيره ، كدر عليك . يفعل بك كما فعل بإبراهيم ويعقوب عليهما السلام ، لما مالا إلى ولديهما ، بحرقة من قلبيهما ، ابتلاهما فيهما .

* همك ما أهمك .. فإن كان همك الدنيا ، فأنت معها .. وإن كان همك الآخرة ، فأنت معها ، وإن كان همك الخلق ، فأنت معهم ، وإن كان همك الحق عز وجل ، فأنت معه ، دنيا وآخرة .

* زين ظاهرك بآداب الشرع ، وباطنك بإخراج الخلق منه .. رد أبوابهم ، افنهم من حيث قلبك ، حتى كأنهم لم يخلقوا ، لاترى على أيديهم نفعاً ولا ضراً.

* الصوفى لايكون بخيلا ، لأنه ما بقى له شىء يبخل به ، وقد ادعى ترك الكل .. إن أعطى شيئا أخذه لغيره وليس له ، قد صفا قلبه عن الموجودات والمصورات .. إنما يبخل من له مال ، والصوفى قد صارت الأشياء لغيره ، فكيف يبخل بمال غيره .

* الصلاة تقطع بك نصف الطريق ، والصوم يقيمك على الباب ، والصدقة تدخلك إلى الدار .. ما من نفس إلا وعليها حافظ ، يحفظها من أن تختطفها الشياطين .

* المؤمن الموقن لا يطيع نفسه وشيطانه وهواه .. فهو لايعرف الشيطان حتي يطيعه ، ولايبال بالدنيا حتى يذل لها ، بل يهينها ويطلب الآخرة ، فإذا حصلت له ، تركها واتصل بمولاه ، يخلص عبادته له في جميع أوقاته .

* إذا جاءك الداء فاستقبله بيد الصبر ، وإذا جاءك الدواء فاستقبله بيد الشكر .

* الذاكر لله عز وجل أبدا حي .. ينتقل من حياة إلى حياة ، فلا موت له . إذا تمكن الذكر في القلب ، دام ذكر العبد لله ، وإن لم يذكره لسانه .. كلما دام العبد في ذكر الله عز وجل ، دامت موافقته له ورضاه بأفعاله .

* من أراد الفلاح فليبذل نفسه وماله للحق عز وجل ، ويخرج بقلبه من الخلق والدنيا ، وهكذا من الأخرى ، ومما سوي الحق عز وجل .. فحينئذ يعطى كل ذى حق حقه بين يديه ، وتأكل أقسامك من الدنيا والآخرة وأنت على بابه ، وهما قائمتان خادمتان .

* كل ما شغلك عن الله عز وجل ، فهو عليك شؤم . إذا شغلك ذكره عنه ، فهو عليك شؤم ، وإذا شغلتك نعمة عنه ، فهي عليك مشئومة .. الوقوف مع الخلق بغضة وكلفة وكرب ، والوقوف مع الحق عز وجل فرحة وطيبة ونعمة .

* لاتكذب علي الله .. تقول : الله أكبر وتكذب ، لأن فى قلبك إلها غيره ، كل ما تعتمد عليه فهو إلهك . كل شيء تخاف منه وترجوه فهو إلهك .. قل الله أكبر بقلبك .

* من صح إيمانه بالله عز وجل وبقدره ، سلم كل أموره إليه ، ولم يجعل له شريكاً فيها .

لاتشرك بالخلق والأسباب ، وتتقيد بها عنه .

* لاتخلط الجد بالهزل ، فإذا ما تمكن قلبك مع الخلق ، كيف يجتمع مع الخالق وأنت مشرك بالسبب ؟ كيف يجتمع ظاهر وباطن ؟ ما عند الخلق وما عند الخالق ؟ فما أجهل من نسى المسبب واشتغل بالسبب ، نسى الباقى وفرح بالفانى !
* إياك نعبد وإياك نستعين .. هذا خطاب لحاضر « إياك حاضر عندى » يا عالما بى ، قريباً منى ، يا شاهداً علىَّ .. خاطب فى صلاتك بهذه النية ، على هذه الصفة .
* صف قلبك بأكل الحلال ، والصدق فى طلب الحق عز وجل ، والزهد فى الدنيا ، وإخراج الخلق من القلب ، وتجرده عن سوى مولاه عز وجل .
* اعط العلم حقه بالعمل به ، واعط العمل حقه بالإخلاص فيه .. إذا تكلمت فتكلم بنية صالحة ، وإذا سكت فاسكت بنية صالحة .. كل من لم يقدم النية قبل العمل فلا عمل له .
* التحق بالصالحين ..وإذا أشكل عليك الأمر ، ولم تفرق بين الصالح والمنافق ، فقم من الليل ، وصل ركعتين ، ثم قل :يارب دلنى على الصالحين من خلقك ، دلنى على من يدلنى عليك ، ويطعمنى من طعامك، ويسقينى من شرابك ، ويكحل عين قربى بنور قربك ، ويخبرنى بما رأى عيانا .
* اطلب العلم لله عز وجل ، لا لخلقه ولا لدنياه .. علامة طلبك العلم لله عز وجل : خوفك ووجلك منه عند مجيء الأمر والنهى ، تراقبه وتذل له فى نفسك ، وتتواضع للخلق من غير حاجة إليهم ، ولا طمعا فيما فى أيديهم، وتصادق وتعادى فى الله عز وجل .
* مادمت مع الآخرة لا ترى رب الآخرة ، مادمت مع الدنيا لا تعرف الآخرة ، لا تجتمع الدنيا والآخرة ، فهكذا لا يجتمع الخالق والخلق ..إذا أردت الفلاح فخالف نفسك فى موافقة ربك عز وجل ، ووافقها فى طاعته .
* ذوِّب نفسك بالمجاهدة ، فإنها إذا ذابت ، اطمأنت إلى القلب .. النفوس تحب الدنيا ، والقلوب تحب الآخرة ، والأسرار تحب المولى عز وجل .

وفى نهاية تلك الجولة العطرة فى رياض الصالحين المباركة ، ندعو الله أن ينتفع بها كل من كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد وأن تتقبلها النفوس المؤمنة ، المتشوقة إلى الآخرة ، كما تتقبل الزهرة الظمأى قطرات الندى .

﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج :٥).



معالم على طريق الوصول

يختلف السالكون إلى الله ، فى مراتب الوصول إلى المعرفة واليقين ، حسب مدارج سلوكهم ، وطريقة الاعتماد علي ربهم ..وتلك درجات لا نهاية لها ، نحاول هنا أن نبين الملامح العامة لبعضها ..

ركيزة الاعتماد فى سلوك العباد :

ينقسم الناس فى ذلك إلى ثلاثة أقسام:

١ - معتمد على العمل .. وعلامته : نقصان الرجاء عند وجود الزلل .

٢ - معتمد علي فضل الله تعالى ..وعلامته : الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء ، والتبرى من الحول والقوة .

٣ - يعتمد على سابق القسمة .. وعلامته : الاستسلام والسكون تحت مجارى الأحكام .. فهو ناظر إلى ربه ، فان عن نفسه . فإذا فرطت منه زلة ، شهد تصريف الحق فيه ، وجريان قضائه عليه ، فيرجع إليه بالالتجاء والافتقار ، فيلهمه توبة تزيل الإصرار .. كما أنه إذا حدثت له طاعة ، لم يشهد فيها نفسه ، لأن السابق إلى قلبه ذكر ربه ، فنفسه مطمئنة تحت جريان الأقدار ، وقلبه سابق لما لاح له من الأنوار . فلا فرق عنده بين الحالتين ، لكونه غريقا فى بحر التوحيد ، مخرجاً لنفسه من البين ، فلا يزيد رجاؤه لعلة ، ولا ينقص لزلة .. ولا ينتقص من خوفه ما يجتنبه من العصيان ، كما لايزيد رجاءه ما يجتنيه من الإحسان ، بل يكون دائم البشر ، متواصل الأحزان ، كما كان عليه حبيب الرحمن « صلى الله عليه وسلم» وهذا كله نشأ من شهود « إن بالله كان ما كان وبه يكون ما يكون الذي دلت عليه باء البسملة » .

زيادة الرجاء لأهل التقصير أولى من أهل الجد والتشمير :

لأن المقصر أولى بالإحسان ، وأحرى بالامتنان ، بشرط وجود أهل الإيمان ، وامتثال الأمر حسب الإمكان ، فلا يعتمد إلا على فضله ، ولايرى معه

غيره.. وحسبك « أنا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى إلا خيرا » . فلا يوقع الله به شيئا ، إلا وهو يظن أن الله أراد به خيراً ، فيشكره عليه ويرضى به .

وهذا لا ينافى أنه ينبغي له أن يرجع إلى نفسه باللوم والتوبيخ عند اكتسابه خلاف الأولى . فهو وإن حصل منه لومها وتوبيخها ، لكن جل نظره استغراق شهود إحسان الله إليه ، حيث أوقع به هذا الذى وقع به ، ولم يبتله بأعظم منه من أنواع التقصير ، ويشكره حيث ألهمه الشكر ، وحيث لم يسلبه بقية النعم .. فهو لا يشهد إلا فضل الله ، وامتنانه عليه ، فيكون راضيا بجميع أفعال الله تعالى ، من حيث صدورها من الله تعالى ، وإن كان يكره بعضها من حيث كسبه لها ، حيث كانت حراما أو مكروها أو خلاف الأولى .

مدارج السالكين :

السالكون فى بداية أمرهم يعتمدون على الأعمال ، لغلبة الوهم على وجودهم ، وتراكم الخيال على مرآة عقولهم .. فإذا شملت العناية السالك فى البداية ، خلصته من ظلمة حجاب اعتماده علي عمله ، فينكشف له أن الحول والقوة لله فى كل شىء ، وأنه خالق لجميع أفعال العبد ، فيكون بالله ، لا بنفسه فى جميع شئونه ، فيغلب عليه اللهج باسم الله فى كل ما يأتى ويذر .

فبداية السالك : **التوبة** .. ثم إذا ارتقى إلى مقام **السلوك** فخلعته دوام الذكر وإدمان الفكر ، ليرقى إلى مقام **المراقبة** ، ثم **الحياء** ، فتكون خلعته لزوم الأدب تعظيما لحضرة الحق ، ثم منه إلى مقام **المعرفة** ، فتكون خلعته **اليقين** ، فيفنى فى فنون الفناء ، شوقاً إلى البقاء .. وهكذا إلى مالانهاية له.. فهذا حال أهل هذا الشأن .

أما غيرهم : ففى بحر ظلمة النفس سابحون ، وعلى الأعمال معتمدون ، ظنا منهم أنها تقرب وتبعد ، وتنجى وتسعد .. إنما السعادة بيد من بيده النواصى ، خالق فعل الطائع والعاصى .

وليس القصد توهين العمل ولانفيه ، لأنه مأمور به ، ولابد منه امتثالا لأمر الله ، وقياما بحق ربوبيته وعظمته ، لأنه يستحق ذلك لذاته .. ولكن القصد أن العمل إنما يثمر بالفضل والرحمة ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(يونس :٥٨) .. أى من الأموال والأعمال ، فالقصد : التوقيف على أن النجاة من العذاب ، والفوز بالثواب ، بفضل الله .. والعمل غيرمؤثر فيها على جهة الاقتضاء والإيجاء ، بل هو علامة على أن الفاعل أهل لأن يتفضل الله عليه ، ويقرب رحمته إليه ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف :٥٦).

الاعتماد علي الأعمال يبعد عن مقام الإحسان :

على العبد أن يعمل الطاعات ويترك المخالفات، عبودية لله تعالى ، وامتثالا لأمره .. ولايعتمد عليها ، بل يعتمد علي محض فضل الله تعالى ، مع القيام بشكره ، لأنه أوجد فيه الطاعات ، وأبعده عن المخالفات . ويعلم أن ذلك علامة على إرادة الله الخيرية ، ولا يغفل عن رؤية المنة لله تعالى ، حيث أوجده فيه ، ولم يوجده ضده ، من غير اعتقاد تأثير للأعمال ، ولا اعتماد عليها ، فى حال من الأحوال .. وهذا لايكون إلا لأهل الشهود ، الذين غرقوا فى مقام الإحسان ، فيشهدون الكل من الله وبالله ، ويلازمون على قول « بسم الله » مع الحضور مع المذكور ، و الغيبة عما سواه .. ومن شهد الأفعال من الله تعالى حقيقة ، ينتفى عنه العجب بعمله ، لأنه لا يرى لنفسه عملا .

وهكذا : **من أرجعه الحق إلى نفسه** ، ووكله إلى عقله وعمله وخدمته ، فقد طرده عن بابه ، وأبعده عن جنابه ، فتكون أحواله مدخولة معلولة ، وأعماله مستقبحة مرذولة .. ومن آواه الله تعالى إليه ، وأظهر جوده عليه ، ورأى الفضل والمنة لله تعالى عليه ، فقد اصطفاه لنفسه ، ورفعه إلى حضرة قدسه.. وهو ما تترجمه تلك الكلمات النيرات :

« إذا رددناكم عليكم ، لم يبق إلا العجز والضعف والفاقة والذلة ..وإذا أخذناكم عن أنفسكم صرتم بنا أغنياء قادرين أقوياء أعزاء ، تنفعل لكم الأكوان » .

اختلاف العباد فى شهود المنن والأعمال :

يرى أبو العباس المرسى أن العباد تختلف فى ذلك إلى ثلاثة أنواع :

١ - عبد هو بشهود مامنه إلى الله تعالي .

٢ - وعبد هو بشهود مامن الله إليه .

٣ - وعبد هو بشهود ما من الله إلى الله .

ومعنى ذلك أن :

* **من الناس من يكون الغالب عليه** : شهود تقصيره وإساءته ، فيقوم مقام المعتذر بين يدى الله تعالى ، وتلازمه الأحزان كلما بدت منه سيئة ، أو كشف له عن أوصاف سوء.

* **وعبد الغالب عليه** : شهود ما من الله إليه ، من الفضل والإحسان ، والجود والامتنان . فهذا تلازمه المسرة ، فيفرح بنعمة الله ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(يونس :٥٨)

والأول : هو حال الزهاد .. والثانى : حال أهل العناية

الأول : شأن أهل التكليف .. والثانى : شأن أهل التعريف .

ولذلك قال الشيخ أبو الحسن (رضى الله عنه) : العارف عن عرف شدائد الزمان ، فى الألطاف الجارية من الله عليه ، وأغرق اساءته فى إحسان الله تعالى إليه ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف:٦٩).

فقليل من العمل مع شهود المنة لله تعالى ، خير من كثير من العمل مع رؤية التقصير من النفس .. لأن شهود التقصير لا يخلو عن الشرك فى

التقدير ..قال تعالي : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق :٣) فرجعوا إليه بصدق الرجاء ، محمل عنهم الأثقال ، فساروا إلى الله تعالي محمولين فى محفات المنن ، مروح عنهم بنفحات اللطف .

والآخرون ساروا إلى الله تعالى حاملين لأثقال التكليف ، فتلازمهم المشقات ، وتطول بهم المسافات ، فإن شاء أدركهم بلطفه ، فأخذ بأيديهم من شهود معاملتهم إلى شهود سابق توفيقه لهم ، فتطيب لهم الأوقات ، وتشرق عليهم العنايات .

* **والقسم الثالث** : الذين هم مع الله تعالى ، بشهود من الله إلى الله : فهم يختلفون عن أهل القسمين السابقين . فهؤلاء أهل التوحيد ، الداخلون فى ميادين التفريد .

أما أهل القسم الأول : وهم الذين غلب عليهم شهود ما منهم إلى الله ، لم يخرجوا عن باطن الشرك ، وإن خرجوا عن ظاهره ، لأنهم أقبلوا على أنفسهم موبخين لها ، شاهدين لتقصيرهم وإساءتهم ، فلولم يشهدوا الفعل لها وقتها، ما توجهوا إليها بالتوبيخ إذا قصرت ..فلذلك قلنا : لايخلو شهود التقصير من الشرك فى التقدير . فإن قلت :إذا كان توبيخ النفس وذمها ، يستلزم دقيقة الشرك ، فكيف نصنع والله تعالى قد ذم النفس ، وأمربتوبيخها إذا قصرت ، ووبخها هو إذا كانت كذلك ؟ .. فالجواب : أن الله تعالى ذمها، وأمر بذمها من غير أن تشهد أن لها قدرة ، وتضيف إليها فعلا تراها هى الفاعلة له .

وأما القسم الثانى : وهو الذى بشهود ما من الله إليه ، فهو وإن كان خيراً من القسم الأول ، لكنه ما سلم من إثبات لنفسه ،إذ رأى نفسه أنها مهدى إليها هداية الحق ، فلولا ثباته لنفسه ما شهد ذلك .

ومن أجل هذين المعنيين لأهل القسمين الأول والثانى ، فقد آثر أهل الله (وهم القسم الثالث) أن يكونوا بشهود مامن الله إلى الله .. ونوضح ذلك من إحياء علوم الدين للغزالى فيما يلى :

كيفية شهود ما من الله إلي الله :

قال الإمام الغزالى فى كتاب الفكر : إن الموجود هوالقائم بنفسه ، وما ليس له بنفسه قيام ، فليس له بنفسه وجود ، بل هو قائم بغيره ، فهو موجود بغيره ..فإن اعتبر ذاته ، ولم يلتفت إلى غيره ، لم يكن له وجود البتة، وإنما الموجود هو القائم بنفسه . والقائم بنفسه هو الذى لوقدر عدم غيره ، بقى موجوداً . فإن كان مع قيامه بنفسه ، يقوم بوجوده وجود غيره ، فهو قيوم .. ولا قيوم إلا واحد . فإذن ليس فى الوجود إلا الحي القيوم .. فالكل منه مصدره ، وإليه مرجعه .

وفى كتاب المحبة من عرف نفسه وعرف ربه ، عرف قطعا أنه لا وجود له من ذاته ، وإنما وجود ذاته ، ودوام وجوده ، وكمال وجوده ، من الله وإلى الله وبالله .. فهو المخترع الموجد له ، وهو المبقى له ، وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال، وخلق الأسباب الموصلة إليه، وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب .. وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته، بل هو محومحض، وعدم صرف ، لولا فضل الله عليه بالإيجاد ، وهو هالك عقب وجوده ، لولا فضل الله عليه بالإبقاء ، وهو ناقص بعد الوجود ، لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته .

وصاحب هذا الشهود ينبغى له أن لايغفل عن الكسب ، الذي جعله الله مناط التكليف .

كيفية الشكر :

أكثر من الشكر لله فى جميع الأحوال .. وحقيقة الشكر : أن تصرف جميع ما أنعم الله به عليك ، فيما خلق من أجله .. فيشمل ذلك : المال والبدن والأعضاء الظاهرة والباطنة ، فمتى استعملت شيئا منها فى غير ما خلق لها، كان ذلك كفرانا لتلك النعمة .

قال الشاذلي : قلت :إلهى متى أكون لك عبداً شكوراً ؟ .. فسمعت النداء: إذا لم تر فى الوجود منعماً عليه غيرك ، فأنت إذن شاكر .. فقلت : إلهي كيف لا أرى منعماً عليه غيرى ، وقد أنعمت على الأنبياء والعلماء والملوك ؟ .. فقيل لى : لولا الأنبياء ، لما اهتديت ، ولولا العلماء ، لمااقتديت ، ولولا الملوك لما أمنت ، فالكل نعمة منى عليك .

وقال الإمام الغزالى:

إذا أردت أن ينفتح لك باب **الرجاء** : فاشهد ما منه إليك .

وإذا أردت أن ينفتح لك باب **الحزن** :فاشهد مامنك إليه .

يشير بذلك إلي أنه أولى للعبد عند **حصول المخالفة والعصيان** : أن يشهد كسبه لذلك فيتوب . ويندم ، ولا ينظر إلى أن ذلك بخلق الله وإيجاده، وقضائه وقدره ، حتي يحتج بذلك ، ويتجرأ علي المخالفة .. أما عند **حصول الطاعات** ، واجتناب المخالفات : فليشهد أن ذلك بخلق الله وإيجاده ، ويتبرأ من حوله وقوته .

والحاصل : أن الاعتماد علي الأعمال طريق مذموم ، وأما رؤية المنة لله تعالى ، والاعتماد علي فضله وكرمه ، وشهود فيضان نعمه ، فهو طريق الكاملين .. ويحسن على السالك أن يستحضر ذلك ، لأن شهود الفضل والإحسان يوجب المحبة ، وحسن الظن بالله تعالى . والعامل علي سبيل المحبة لا تكليف عنده ولا مشقة ، لأنه ساع فى رضا محبوبه ، بخلاف من يلاحظ قاعدة التكليف والأمر والنهى فقط ، فإنه تشق عليه الأعمال ، وتطول في حقه المسافات .

شهود الإحسان والفناء فى الله :

العبد الموفق من إذا وقعت منه زلة ، يستدرك ما يكفرها ويمحوها ، ويكتسب مع ذلك حسنات كثيرة ، بخلاف المخذول أعمى البصيرة والأعمال .

فملازم شهود الإحسان ، لا ينقص رجاؤه عند الزلل ، لشهوده الإحسان حالتئذ .. فإنه وإن كان لا تحصل له مساءة لاكتسابه الزلل ، لكنه يشهد أيضاً إحسان الله إليه ، من حيث أنه سلط عليه دواعى الغفلة حتى عصى ، فحصل له الانكسار وسقوط مرتبة النفس ، وانتفاء العجب والكبر ، وحصل له أيضا الالتجاء إلى الله بالذل ، فيلهمه التوبة ، ويشكر الله ، حيث لم يقض عليه بأفظع من هذا العصيان ، وحيث لم يسلبه النعم، وحيث حفظ عليه الإيمان ، ولم يبتله بالإصراروااستحلاء الذنب .. ومن هذه المشاهدات ينتقل إلى الفناء فى الله ، فيصير شاهداً لسابق القسمة حالتئذ ، وهى نصب عينه ، فلا يعتمد على شرف التقريب ، ولا يستند إلي شىء فى الإبعاد .

فالأولى للعبد أن لايشغل قلبه بالالتفات إلى العمل ، بل يشغله بالاستغراق فى الله .. ومن غلب عليه شهود الفضل والكرم، فرح بالطاعة ، من حيث أن الله خلقها فيه ، ولا يلزم من فرحه بذلك زيادة رجائه ، لعدم اعتماده عليها .

« لاتفرح بالطاعة لأنها برزت منك ، وافرح بها لأنها برزت من الله إليك».

وصاحب هذا المشهد لا يزيد خوفه ولا رجاؤه ، ولا ينقصان .. أما الأول فظاهر ، وأما الثاني فلأن شهود الإحسان لابد معه من شهود الانتقام ﴿ إنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (فصلت :٤٣).

وهذا الكلام موجه إلى المستيقظ العامل ، الذى خرج عن دائرة « أهل غلبة الغفلة » إذ أن هؤلاء « أهل غلبة الغفلة » الأصلح لهم الخوف ، لأجل غلبة المعاصى ، أما الكاملين : فيستوى خوفهم ورجاؤهم .

فلابد من أن يستحسن المؤمن ما حسنه الله ، ويستقبح ما قبحه الله .. لا من حيث كونها عمله ، بل من حيث معاملة الله معه ، حيث وفقه لها ، وخلقها فيه ..وتسيئه السيئة ، من حيث أنه اكتسبها ، وخالف أمر الله له بتركها .

إسقاط التدبير :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ (الأعراف : ١٧٢) .

إن إقرارهم هذا بأنه ربهم، يستلزم إسقاط التدبير ، فهذه معاقدة كانت قبل أن تكون النفس التى هي محل الاضطراب ،المدبرة مع الله تعالى ..ولو بقى العبد على تلك الحالة الأولى ، التى هى كشف الغطاء ووجود الحضرة ، لما أمكنه أن يدبر مع الله ..فلما أسدل الحجاب ، وقع التدبير والاضطراب . فلأجل ذلك : فإن أهل المعرفة بالله ، المشاهدين لأسرار الملكوت ، لاتدبير لهم مع الله . إذ وجود المواجهة أبى لهم ذلك . وكيف يدبر عبد مع الله وهو فى حضرته ، ومشاهد لكبرياء عظمته ؟!

واعلم أن هلاك ابن نوح ، إنما كان لأجل رجوعه إلي تدبيرنفسه ، وعدم رضاه بتدبيرالله ،الذى اختاره لنوح عليه السلام ، فأوي إلي جبل ، أى إلى جبل عقله ، ثم كان الجبل الذى اعتصم به صورة ذلك المعنى القائم به .. فكان كما قال الله ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ (هود : ٤٣) أى المغرقين فى الظاهر بالطوفان ، وفى الباطن بالحرمان .. فإذا تلاطمت عليك أمواج الأقدار ، فلا ترجع إلى جبل عقلك الباطل ، لئلا تكون من المغرقين فى بحر القطيعة .. ولكن ارجع إلى سفينة الاعتصام بالله ، فإنك إذا فعلت ذلك، استوت بك السفينة علي جودى الأمن .

كيف يتحقق إسقاط التدبير ؟

ليس شيء فى الأقوال أعون على الأفعال من « لاحول ولا قوة إلا بالله»..
وليس فى الأفعال أعون على ذلك من الفرار إلى الله ، والاعتصام بالله ..
ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . إن كان ولابد : فلتكن نفوسكم على باب الدنيا ، وقلوبكم على باب الآخرة ، وأسراركم على باب المولى ، إلى حين تنقلب النفس قلباً ، وتذوق مما ذاق ، وينقلب القلب سراً ، ويذوق مما ذاق ، وينقلب السر فناء فيه ، ولا يذوق ولايذاق .

إذا خرقت شبكة السبب ، وصلت إلى المسبب .. وإذا خَرقت العادة ، خُرقت لك العادة .. من خدم يُخدم ، ومن أطاع يُطاع ، ومن تواضع رُفع ، ومن أحسن الأدب قُرِّب .

الدينار دار النار ، والدرهم دار الهم .. لاتأكل بنفسك وهواك ، فإن ذلك حجاب ،يحجب قلبك عن ربك عزَّ وجلَّ .. المؤمن لا يأكل لنفسه وبنفسه ، ولا يلبس لها ولا يتمتع ، بل يتقوت ليتقوى على طاعة الله عزَّ وجلَّ ، أى يأكل بالشرع لابالهوى .. والولى يأكل بأمر الله عز وجل .. والبدل الذي هو وزير القطب ، يأكل بفعل الله عز وجل .. والقطب أكله وتصرفه ، كأكل النبى ﷺ.

الخلق حجاب نفسك ، ونفسك حجاب قلبك ، وقلبك حجاب سرك .. فمادمت مع الخلق ، لاترى نفسك ، فإن تركتهم رأيتها عدوة لربك عز وجل ولك ، فلا تزال تحاربها ، حتى تطمئن إلى ربها ، وتطمئن إلى وعده ، وتخاف من وعيده ، وتوافقه فى قدره .. فحينئذ تزول السحب عن القلب والسر ، ويريان مالم يرياه من قبل ، فيعرفان ربهما ، ويلجآن إليه ، ولايقفان مع شيء سواه .. فالعارف لا يقف مع شيء ، بل يقف مع خالق كل شيء .. وشعار العارف ويقينه قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (التكوير:٢٩) .

فإذا كان لا يتم لك ما تشاء ، فلا تشأ .. لاتنازعه فى أفعاله - إذا أخذ عرضك ومالك وولدك ، فتبسم فى وجه قدره وإرادته .. كن على ذلك إن أردت قربه ، إن أردت الصفاء معه ، إن أردت وصول قلبك إليه .. وأنت فى الدنيا : اكتم حزنك ، واظهر بشرك ، وخالق الناس بخلق حسن .

« بشر المؤمن فى وجهه ، وحزنه فى قلبه » حديث شريف

لاتشكو إلى أحد ، فإنك إن شكوت من الحق ، سقطت من عينه ، ومع ذلك لايزول ماشكوت منه .. ولاتعجبن بشيء من أفعالك ، فإن العجب يفسد العمل ويهلكه .. اجعل كل قصدك إليه ، فإنه يجعل رحمته لك ، ويهيئ لك أسباب الوصول إليه .

أنت ظاهر بلاباطن ، أنت باطل بلا حقيقة ، قول بلا عمل ، عمل بلا إخلاص ، إخلاص بلا إصابة السنة ، وذلك دعوى بلابينة .. فلاجرم لايقبل منك .

فعلى الإنسان أن يقول : بسم الله - فررت إلي الله - واعتصمت بالله - ولاحول ولاقوة إلابالله - ومن يغفر الذنوب إلا الله .

لأن : بسم الله : قول باللسان صدر عن القلب .

فررت إلى الله : وصف الروح والسر

واعتصمت بالله : وصف العقل والنفس .

ولاحول ولاقوة إلا بالله : وصف الملك والأمر

ومن يغفر الذنوب إلا الله : رب أعوذ بك من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين .

القدر ومعنى الرضا بالقضاء :

وجوب دوام السجود بالقلب لله تعالى ، والسكون تحت مجارى الأقدار .. يجب الرضا بالقضاء (الذى هو التعلق التنجيزى للإرادة عند الأكثرين) .. لا المقضى (الذي هو المتعلق) .

ومعنى الرضا بالقضاء : ترك المنازعة والاعتراض ، واعتقاد ثبوت الحكمة والعدل والصواب، وعدم الظلم .. وهذا لايستلزم وجوب الرضا بالمقضى ، ولاينافى وجوب السعى فى الانتقال عنه ، إذا كان مذموماً شرعاً ، على أنه إنما يؤمر بالرضا بما وقع من التعلق فى الماضى ، وأما المستقبل فمحجوب .

فلذا تجب المبادرة إلى الخروج عما يكرهه الشرع ، والتلبس بما يرضاه .

فإن قلت : وما الفرق بين القضاء الذى يجب الرضا به والمقضى الذى لا يجب الرضا به : قلنا أجيب عن ذلك بضرب مثل وهو : أن الطبيب الماهرإذا دبر لك دواء سراً ثم ذقته ، فإن استبشعت الدواء من حيث مرارته صدّقك ،

إذ سلمت له حسن تدبيره ونظره .. وإن سفهت تدبيره ونظره ، بطش بك وقلب عليك تسفيهك .. فكذا القضاء تدبير الله تعالى لعباده : راجع لوصفه ، والمقضى مادبره ، ممايتصف به العبد . فإن رضيت بوصف الرب ، أى اعتقدت أنه موافق للحكمة والصواب ، فلا يضرك أن لاترضى بوصف العبد الذى هو مدبر واقع عليه التدبير ، لانفس التدبير .

بمعنى آخر : إن الشيء الواحد يكرهه العبد من حيث هو هو ، أى من حيث ذاته ، ويرضى به من حيث كونه مقضياً ..

حسن الظن بالله وإسقاط التدبير :

إن العبد الكامل لا يعتمد علي عمله ، بل يأتى به امتثالاً لأمر الله ، وقياما بحق ربوبيته .. فهذا هو موضع حسن الظن ، وهو الرجاء المحمود ، وهو من مقامات اليقين، حيث يبعث علي الاجتهاد فى الأعمال ، مع عدم الاعتماد عليها .. وأما ترك العمل مع حسن الظن ، فليس برجاء ، بل هو طمع قبيح يحمل صاحبه علي الغرور .

حسن الظن بالله من حسن العبادة، وسعة رحمته أكثر من أن تحصى ، ومطالعتها مما يزيد المريد قوة فى هذا المقام .. فمن أراد الشفاء فى ذلك : فعليه بقراءة كتاب الرجاء من الإحياء للغزالى ، وكتاب قوت القلوب .

من استغرب أن ينقذه الله من شهوته ، وأن يخرجه من وجود غفلته ، فقد استعجز القدرة الإلهية ..والله تعالى متصف بالقدرة على كل شيء.. وليعلم العبد : أن قلوب العباد ونواصيهم بيد الله ، فلا يقنط ولا ييأس ، وليقصد باب مولاه بالذلة والانكسار والافتقار ، فعساه يسهل عليه مااستصعبه ، وما ذلك علي الله بعزيز .

التوكل وإسقاط التدبير :

ليس من التوكل ترك كل تدبير وعمل وسبب .. فقد قال النبى ﷺ للذى أهمل ناقته: اعقلها وتوكل ..وقال تعالى: ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (النساء:٧١)

و ﴿ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ (النساء :١٠٢) و ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (الأنفال :٦٠) .. وقال لموسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً ﴾ (الدخان :٢٣).

والنبى ﷺ اتخذ خندقاً حول المدينة ، وحمل الزاد فى السفر ، وكان يسأل عن الطرق التى لايريد سلوكها ، بحيث يتوهم السامع أنه يريد سلوكها ، وهويريد سلوك طريق غيرها .

قال العلماء : **التدبير معناه النظر فى عواقب الأمور ، وعواقب الانفاق ، الذى يحترز به عن الإسراف والتقتير .**

فاصرف فكرك فى تدبير ما يقربك إلى مولاك ، معتمداً عليه أن يهديك سواء السبيل ، فإن الله تفضل عليك بالعقل ، وهو من أفضل ما منَّ به على عباده .. وبالعقل وإشراقه ونوره ، تتم مصالح الدنيا والآخرة .. فصرف نعمة العقل إلى تدبير أمورالدنيا ، التى لاقدر لها عند لله تعالى ، كفران لنعمة العقل .. وتوجهه إلى الاهتمام بإصلاح شأنه فى معاده ، أحق به وأفضل وأولى .. فالتدبير لأمور الدنيا ، بنية إيصال النفس إلى حظوظها ، لتتلذذ بالشهوات ، كفران للنعم .

فالسالك عليه : أن يريح قلبه من التدبير ، لأنه نصب وشغل للقلب ، ويدفع الإنسان إلى أن يحدث نفسه بأمور وهمية من قبيل الأمانى ، وهى تضييع للوقت ، كما أنها من علامات الاعتماد علي العمل ، وتجلب للنفس هموماً من حيث الحرمان منها ، ويصيرمشوش الفكر ، مضطرب القلب .. وذلك كله من ضعف اليقين ، والغفلة عن النظر إلي سابق القسمة ، وماضى الحكم ، وأنه لايقع إلا ما أراده الله ، وفيه شهود للحول والقوة لغير الله .. وصاحب هذاالحال ،إذا قال : لاحول ولاقوة إلا بالله ، قالها بلسانه ، لا عن اعتقاد ، ولا عن حال ومشاهدة .. أما من يشهد الحول والقوة لله تعالى حقيقة، وأنه لايتحرك ذرة إلا بتحريكه ، فإنه إذا قالها عن حال صحيحة ، تفتح له أبواب الرحمة ، ويشهد عجز الخلق ، وسقوط حولهم وقوتهم ، وينحصر خوفه ورجاؤه فى الله وحده .

فالتدبير المذموم : هو قيام العبد لجلب الحظوظ لنفسه ، واعتماده على حوله وقوته .

أما التدبير المحمود : فهو تدبيره لأموره التى يتوصل بها إلى قرب ربه ، مع التفويض إلى الله تعالى ، والاعتماد على حوله وقوته .. كالقيام بمصالح نفسه وعياله ، ونفقته عليهم ، مع حسن نيته فى قصد التقرب إلى الله تعالى ، حسب مختارات الشرع من الأوامر والنواهى .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى (رضي الله عنه) : إن كل مختارات الشرع وترتيباته ، هى مختار الله تعالى ، ليس لك منه شيء ، فاسمع وأطع.. فقراءة الأوراد وغيرها ، لايظن القاصر أنها تخرج العبد عن صريح العبودية ، لأنه قد اختار ، فهى تخرج عن تدبيره لنفسه ، واختياره لها لنيل حظوظها ، والطرق الموصلة لله تعالى هى : محو الإرادة ، ورفض المشيئات ، لغير ما أذن للعبد فيه .

قال بن عطاء الله : سمعت أبا العباس المرسى يقول : لن يصل الولى إلى الله تعالى ، حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله تعالى .. يريد والله أعلم، أنه تنقطع عنه انقطاع أدب ، لا انقطاع طلب ، أو أنه يشهد إذا قرب وقت وصوله ، عدم استحقاقه لذلك ، بل إنما حصل ذلك بفضل الله .. ويستحقر نفسه أن يكون أهلاً لما هنالك ، فتنقطع عنه شهوة الوصول لذلك ، لا مللا ، ولا سلوا ، ولا اشتغالا عن الله بشيء دونه .

فعليك بملازمة الرضا من الله ، وعن الله ، وترك التدبير معه ، واسقاط الاختيار بين يديه .. أى التوكل فى أسمى معانيه .

كيف يكون التدبير فى الدنيا محموداً ؟

إن التدبير فى الدنيا على قسمين : تدبير الدنيا للدنيا . وتدبير الدنيا للآخرة .

* **فتدبير الدنيا للدنيا** : هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها ، لا لله تعالى ، كالتدبير فى تحصيل معصية ، أو حظ نفسى ، أو طاعة مع وجود رياء وسمعة ، أومع وجود غفلة عن حول الله وقوته ، وركون إلى حول العبد وقوته .. فينصرف العبد فى تدبيره إلى أسباب جمع الدنيا ، افتخاراً بها واستكثاراً منها ، وكلما ازداد فيها شيئاً ، ازداد غفلة واغتراراً ، وأمارة ذلك أن يشغله عن الموافقة ، ويؤدى به إلى المخالفة . وهذا التدبير مذموم لأنه إما موجب عقاباً أو موجب حجاباً .

* **أما تدبير الدنيا للأخرة** : فهو كل تدبير لمايقربك إلى الله عز وجل ، كالتدبير فى براءة الذمة من حقوق المخلوقين ، إما وفاء وإما استحلالاً ، وتصحيح التوبة لله ، والفكرة فيما يؤدى إلى قمع الهوى ..وإدارة المتاجر والمكاسب ، ليأكل حلالاً ، وينعم بها على ذوى الحاجات ، ويصون وجهه عن الناس . وأمارة من يطلب الدنيا لله تعالى : عدم الاستكثار والادخار، والإسعاف منها والإيثار .

ولذلك فليس كل طالب للدنيا مذموم .. وكل ما دخل فيه الصحابة من أبواب الدنيا ، فهم بذلك متقربون إلى الله ، لأنهم لايقصدون الدنيا ،فهي لاتأخذ من قلوبهم شيئا ، ولاتخدش إيمانهم ، فكانت الدنيا فى أيديهم ، لا فى قلوبهم . وقول عمر : إنى لأجهز الجيش وأنا فى صلاتى ، قول على المعاينة والشهود لربه ، فهو يرى حول الله وقوته ، ويتبرأ من حول نفسه وقوتها ، فهو إذن تدبير الله تعالى .. لذلك لم يكن قاطعا للصلاة ، ولا منقصا لكمالها ، لأنه يشهد عظمة الله .

وعلي ذلك **فالتدبير المنهى عنه هو : التدبير فى الدنيا للدنيا** .. وعلامته أن يعصى الله من أجلها ، وأن يأخذها كيف كان ، ولو من غير حلها .. فالأشياء تمدح وتذم بما تؤدى إليه .. فالتدبير المذموم : ماشغلك عن الله ، وعطلك عن القيام بخدمته . فالدنيا لاتذم بلسان الإطلاق ، ولاتمدح كذلك .. والمذموم منها ما شغلك عن مولاك ، ومنعك من الاستعداد لأخراك .

فإسقاط التدبير : ليس هو الخروج عن الأسباب ، حتى يعود الإنسان ضيعة ، فيكون كلا على الناس ، فيجهل حكمة الله فى إثبات الأسباب ، وارتباط الوسائل .

نعم ، إن الواجب علي الإنسان ربط العزم على الله تعالى ، فلا يعتمد على الأسباب ، ولا على حوله وقوته ، بل يعتقد أنها أسباب عادية لاتأثير لها ، والمؤثر هو الله .. وكل من تعاطى السبب ، مع استحضار : « أن ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن » فقد فر من الله إلى الله . فمن كانت عنده ماشية ، ووجد أرضا مجدبة وأرضاً مخصبة ، فإنه يرعاها فى الأرض المخصبة ويترك المجدبة .. ولا يخرج عن قدر الله سواء رعاها فى هذه أو تلك .

إن التدبير المذموم هو : الركون إلى النفس وتدبيرها واحتيالها مع عدم التفويض إلى الله .

الرزق بين اليقين والتدبير:

الرزق نوعان : مضمون وغير مضمون .

فالأول : ماتقوم به بنية العبد من مطعوم وملبوس ومشروب .. أى من القوة التى يعطيها الله للعبد . ومعنى كونه مضموناً : أن الله تعالى أعلمنا بأنه يوصله إلينا لتسكن نفوسنا ، وإلا فالتقدير شامل للجميع . **والشك فى الحصول وعدمه : إنما يحصل عند الخلق ، فى الرزق غير المضمون** ، أما المضمون : فكل أحديعلم أنه يجرى عليه إلى انقضاء أجله ، حتى من قدر موته بالجوع والعطش ..وذلك لطف عظيم وحكمة باهرة ، لأن الله تعالى خص الآدميين بزيادة ثروة من غير المضمون، لما علم طيشهم وقلقهم ، فشقاهم بالحرص على جمع المال ، وأنساهم بذلك الاهتمام ، ماضمن لهم مما يقيم البنية، لئلا يقع فى قلوبهم شيء من التهمة له فى ضمان الرزق ، فيستوجبون مقته وغضبه ، لأن فى التهمة ما يشير إلي التكذيب .

إن الله تعالى جعل العوائد والوسائط والأسباب ، حجاب قدرته ، وسبحات شمس أحديته ، فواقف عندها مخذول ، ونافذ منها إليه ، هو بالعناية موصول ..فقدرته تعالى لاتتوقف علي الأسباب ، فهو حاكم عليها ، وليست هى حاكمة عليه . علما أن عالم القدرة لايخلو عن الأسباب أيضا ، إلا أن الأسباب فيه خفية بخلاف عالم الحكمة .

والرزق كتبه الله وضمنه ، وهو مرهون بأوقاته وآجاله وأمكنته ، التى كتب الله لك أن تناله بها ، وأسبابه ما كانت هي وسائط فيه ، فهو من جملة الرزق لا يجتمع بدونها ، لإذن الحق بذلك ، لا لكون أمر الحق موقوفا عليها ، بل لقضاء الحق بها ، وحكمه فيها بحكمة يريدها ..﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود :٦)وأنت من جملة الدواب ، ورزقك عليه لاعليك ، وأمرك إليه لا إليك .

إن حكمة الله تعالى هى : أن إرادته اقتضت وضع الأسباب التي أجرى العادة بحصول الشيء عندها لابها .. وينبغى للكامل أن لا يتعمق فى الأسباب ، بل يتعاطى الأسباب الخفية التى أجرى الله العادة يقينا أو ظناً ، عند حصولها ، أنه يوجد الشيء عندها لابها ، مع كمال وثوقه بالله تعالى ، واعتقاد أن لامؤثر سواه ، ويتبرأ من حول نفسه وقوتها .

التوكل والأسباب :

قسم الإمام الغزالى الأسباب « فى كتاب التوكل فى الإحياء » إلى :

١ - **سبب مقطوع به ومظنون وموهوم** .. وقال إن تعاطى السبب المقطوع به والمظنون لاينافى التوكل ، بشرط اعتقاد عدم التأثير ، مع اعتقاد أن المؤثر هو الله وحده . وأما تعاطى السبب الموهوم ، حصول الشىء عنده ، فإنه مناف للتوكل .. فالمقطوع به مثل الأسباب التى ارتبطت المسببات بها ، بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطرداً . كما إذا كان الطعام موضوعاً بين يديك ، وأنت جائع محتاج إليه ، ولكنك لاتمد يديك إليه وتقول : أنا

متوكل ، وشرط التوكل ترك السعى ، ومد اليد إليه سعي وحركة ، وكذلك مضغه وابتلاعه .. فهذا جنون محض ، وليس من التوكل فى شيء .

وكذلك لو لم تزرع الأرض ، وطمعت فى أن يخلق الله لك نباتاً من غير بذر ، وتلد زوجتك من غير وقاع .. فكل ذلك جنون . فالتوكل الحق فى أمثال ذلك : هو تعاطى الأسباب ، مع العلم بأن الله تعالى خالق للطعام واليد ، وخالق للشبع عند أكل الطعام ، لا أن الطعام هو المشبع ، فيكون سكون قلبك ، واعتمادك علي فضل الله .

٢ - **الرتبة الثانية** : الأسباب التي ليست متيقنة ، ولكن الغالب أن المسببات لاتحصل بدونها كحمل الزاد عند السفر ، مع الاعتماد على الله تعالى ، لا على الزاد .

فالقصد إذن : أن يكون للعبد فى كل حركة وسكون ، نية صالحة تقربه إلي الله تعالى ، ليس فيها قصد غرض النفس ونيل شهوتها ولذتها ..فعلى المرء أن يرى الفضل والمنة لله تعالى ، وأن يرى العجز والذلة للنفس . واحذر أن تعتقد التأثيرلشيء غيرالله سبحانه وتعالى ، وكن معتقداً أن الضار والنافع هو الله ، وأن النبي ﷺ واسطة لايستغنى عنها . فلا يشتبه عليك الأمر ، ولاتجعل الواسطة كالمقصد . وكن قائماً بالأمرين . وليكن نظرك هكذا فى كل الوسائط، وكن معتقداً أن نوره ﷺ أصل جميع الأنوار، وأن شجرته مرجع جميع الأثمار ، وأن كل خير يصل لأهل الدنيا والآخرة، إنما هو بسببه ، وواسطته ﷺ ، فهو سبب الوجود والسبب فى كل موجود.

مراتب التقوي :

تقوى عن الشرك - وتقوى عن البدعة - وتقوي عن المعاصى .

وجمعها الله فى آية واحدة : « ليس علي الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا مااتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا » .

فالتقوي الأولى : التقوى عن الشرك، والإيمان الذي ذكر معها في مقابله التوحيد.. **والتقوي الثانية** : التقوى عن البدعة ، والإيمان الذى ذكر معها ، فى مقابله الإقرار بالسنة والجماعة .. **والتقوى الثالثة** : التقوى عن المعاصى الفرعية ، فالإقرار فى هذه المنزلة مقابل بالإحسان ، وهو الطاعة والاستقامة عليها .

فالتقوي : اجتناب كل ما تخاف منه ضرراً فى دينك . فاجعل همتك أن تحفظ **قلبك** عن الميل إلى غيرالله تعالى، **والأذن** عن الفضول ، **ولسانك** عن اللغو ، **وعينك** عن النظرإلى مالايعنيك .

والتقوي : تقوي **فرض** كالنهى عن المعاصى المحضة .. **وتقوى زجر** : وهومانهى عنه تأديباً ، وهو فضول الحلال كالمباحات المأخوذة بالشهوات .

فمن جمع بين الاثنين :كان ورعاً .

وعليك بمراعاة الأعضاء الخمسة ، لتحقق التقوي المطلوبة :

١ - **فالعين** : مراعاتها أن تعلم أن مدار أمور الدنيا والدين علي القلب وخطأ القلب وفساده فى الأكثر من العين ، فهي سبب كل فتنة وآفة .. فاترك النظر ، وكف البصر ، لأن المرء إذا نظر إلى مالايعنيه ، فلا يخلو من أن تقع عينه علي حرام ، وربما تعلق قلبه ، فيأتيه الوسواس والخواطر بسبب ذلك ، فإن غض بصره كان تقى الصدر ، فارغ البال ، مستريحاً عن كثير من الوساوس ، سالم النفس من الآفات .

٢ - **الأذن** : عليك بصيانتها من الفضول. فالمستمع شريك المتكلم ، وذلك يهيج الخواطر ، ويفسد القلب . والكلام الذى يقع فى القلب ، كالطعام الذي يقع فى الجوف ، فمنه ضار ، ومنه نافع ، ومنه غذاء ، ومنه سم .. وإن كان الطعام يزول عن المعدة ، أو له دواء يزيله من الجسم ، إلا أن

الكلام الذي يقع فى القلب ، ويجري به اللسان ، يبقى معه فى جميع عمره، ولايزال يتعب ويسبب له الوسواس ، ويحتاج أن يعرض عنه ، ويستعيذ بالله منه .

٣ - **اللسان** : اعلم أن فيه ربحك وغنيمتك ، وثمرة تعبك واجتهادك كله ، وأن خطرالطاعة والعبادة وإفسادها فى الأكثر من اللسان ، بالتصنع والتزين والغيبة ، فيتلف عليك بلفظة واحدة ، ماتعب فيه سنين عديدة .. فعليك بحفظه وتقييده ليحقق المنافع التالية :

* اللسان إذا استقام استقامت بقية الأعضاء .
* حفظ الوقت ..فإن أكثر مايتكلم به الإنسان ، من غير ذكرالله لغو .
* من لم يصن لسانه ، وقع في غيبة الناس .
* السلامة من آفات الدنيا وعوائقها .

٤ - **البطن** : مراعاته أن تعلم أن مقصودك العبادة ، وأن الطعام بذر العمل .. فعليك بحفظ البطن وصيانتها عن المحرمات والشبهات .. واعلم أن كثرة الأكل تقسى القلب وتذهب نوره ، وتؤدى إلى فتنة الأعضاء ، وقلة الفهم والعلم ، وقلة العبادة ، لثقل البدن وفترة أعضائه ، وفقدان حلاوة العبادة ، وخطرالوقوع فى الشبهة ، وشدة سكرات الموت ، لأن سكرات الموت على قدرلذة الحياة .

٥ - **القلب** : وهو الأصل الجامع لجميع الأعضاء ، وهو كالملك وسائر الأعضاء تبع له ..وإذا رأيت عضواً فاسداً ، فاعلم أن ذلك سببه خلل القلب فينبغى إصلاحه . وأمره دقيق لأنه مبنى علي الخواطر، فإن لم يكن القلب عامراً بتقوي الله وأنوار الحق ، فإنه يكون عرضة لخواطر الشر من الشيطان أو من هوى النفس ، وهى ليست إليك ، والامتناع عن اتباعها مجهود لطاقتك ، ففيه أقصى المشقة .. ولهذا المعنى صار صلاحه أشد على أهل الاجتهاد ، فعليك بحفظه وصلاحه ، وحسن النظر فيما يلى :

أ - أن الله أعلم بما فى نفوسنا ، فانظرماذا تحب أن يعلم الله من قلبك .

ب - إن الله لاينظر إلي صورنا وأنسابنا ، وإنما ينظرإلى قلوبنا ونياتنا ، فالقلب موضع نظر رب العالمين.. فكيف تهتم بموضع نظر الخلق ، وتهمل موضع نظر رب العالمين ؟!

جـ - القلب ملك مطاع ، فإذا صلح المتبوع ، صلح التابع ، وإذا استقام الملك، استقامت الرعية .ولذلك فالجسد فيه مُضغة ، إذا صلحت ، صلح سائر الجسد كله ، وهى القلب .

د - إن القلب خزانة كل جوهرنفيس ، وكل معنى : أولها **العقل** ، وأجلها **معرفة الله تعالى** ، التي هى سبب سعادة الدارين ، ثم **البصائر** التى بها التقوى والوجاهة عند الله ، ثم **النية الخالصة** فى الطاعات ، ثم أنواع **العلوم والحكم** .

ونشرح فيما يلى بإيجاز دلائل حياة القلب وآفاته .

حياة القلب وموته :

علامة حياته : إشراق نور العقل ، فينشرح الصدر، وتخمد النفس ، وتنقمع الشهوات الباطنة والظاهرة .

والقلب الميت : لايخشع ولايلين ، ولا يألف ولا يرحم ، وصاحبه ردئ النفس ، وليس له استئناس بالباطن ، ويكره الوحدة ، ويميل للاجتماع ، ويحب القيل والقال والهذر ، وترى صاحب القلب الحي عكس ذلك .

آفات القلب : الأمل ، وعكسه : قصر الأمل .. الحسد ، وعكسه : النصيحة .. الاستعجال ، وعكسه : التأنى فى الأمور ..الكبر ، وعكسه : التواضع .

أ - **طول الأمل** : ضرره أنه يسوف ويؤجل الطاعات ، ويدعو للكسل ، ويحرص على الدنيا والاشتغال بها ونسيان الآخرة .. أما إذا قصدت

أملك، وقربت نفسك من الموت ، وتذكرت أحوال من ماتوا ، لأبغضت الأمل وغروره ، وأسرعت بالطاعات .

ب - **الحسد** : مفسد للطاعة ، باعث على الخطيئة ، وهو يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب ، ويساعد على فعل المعاصى كالتملق والاغتياب ، والتعب وعمى القلب والحرمان والخذلان .

جـ - **الاستعجال** : خصلة مفوضة للمقاصد الموقعة فى المعاصى ، فلا تستعجل نيل ما لم يحصل أوانه .. لاتستعجل استجابة الدعاء قبل أوانه ، فقد يؤدى ذلك إلى فتورك ..ولا تسأم فتترك الدعاء فتحرم حاجتك .. لاتعجل بالدعاء على الناس ، فقد تقع فى معصية بسبب ذلك .. واصل العبادة والورع ، فالورع أصل النظر البالغ فى كل شىء، والبحث التام عن كل شىء وهو بصدده : فى أكل وشرب ولبس وكلام وفعل .. أما المستعجل فيفوته كل ذلك .

د - **الكبر** : خصلة مهلكة ، وهى تقدح فى الدين والاعتقاد ، لا فى الأعمال فقط ، مثل سائر الخصال .

أنواع النفوس :

النفوس سبعة لدى الخلوتية :

نفس أمارة .. ولها من الذكر : لا إله إلا الله

نفس لوامة .. ولها من الذكر : الله

نفس ملهمة .. ولها من الذكر : هو

نفس مطمئنة .. ولها من الذكر : حق

نفس راضية .. ولها من الذكر : حى

نفس مرضية . ولها من الذكر : قيوم

نفس كاملة .. ولها من الذكر : قهار

وكلها نفس واحدة ، ولكنها تختلف باختلاف أحوالها .

ويقسم القادرية النفوس إلي ثلاثة أنواع :

١ - النفس اللوامة : سيرها إلى الله ، وعالمها عالم البرزخ ، ومحلها القلب ، وحالها المحبة ، وواردها الطريقة ، وصفاتها : اللوم والفكر والعجب، والاعتراض على الخلق ، والرياء الخفى ، وحب الشهرة والريادة ..وترى الحق حقاً ، والباطل باطلاً ، وتعلم أن الصفات السابقة مذمومة ، وترغب فى المجاهدة وموافقة الشرع ، ولها أعمال صالحة من قيام وصلاة وصيام .. فيحب صاحب هذه النفس أن يطلع الناس علي ماهو عليه من أعمال صالحة ، مع أنه يخفيها عنهم ، ولايعمل لهم ، بل عمله لله ، ولكنه يحب أن يحمد ويثنى عليه ، كما أنه يكره كل خصلة مذمومة كامنة فى قلبه . ولايمكن التخلص من هذه الخصال إلا بذكر لاإله إلا الله بكثرة ، وبذلك تتحول نفسه إلى ملهمة .

٢ - النفس الملهمة : ويكون سيرها علي الله ، بعد ما كان سيرها لله .. ومعنى سيرها علي الله ، أن السالك لايقع نظره فى هذا المقام إلا علي الله ، لظهورالحقيقة الإيمانية على باطنه . وعالم هذه النفس كعالم الغيب ، ومحلها: الروح ، وحالها : العشق ، وواردها : المعرفة بالله ، وصفاتها : الحب والسخاء والقناعة ، والعلم والتواضع والصبر ، والحلم وتحمل الأذى ، والعفو عن الناس ، وشهود أن الله هو الفاعل ، ولايعترض علي مخلوق .

ومن صفاتها أيضاً : الشوق وجولان القلب ، والبكاء والقلق ، والإعراض عن الخلق ، والاشتغال بالحق ، وتعاقب القبض والبسط ، وعدم الخوف والرجاء، وحب الأصوات الحسنة والذكر ، وبشاشة الوجه والفرح بالله..وتسمع هذه النفس بآلة وبغير آلة ، أى بواسطة وبغير واسطة ، لأنها صارت نورانية .. ولايخرج صاحبها من ظلمة الشبهات إلا بالمسلك ، لأنه ترد عليه معارف لايفك طلسمها إلا الشيخ العارف . ولايفرق بين الجلال والجمال ، ولا بين إلقاء الملك وإلقاء الشيطان ، لأنه لم يخلص من الطبيعة بالكلية ، وذكره

الجاذب هو : الإكثار من اسم الذات ، حتى ينتقل إلي مقام النفس المطمئنة الراضية المرضية الكاملة ، وهو مقام حق اليقين .

٣ - **النفس المطمئنة** : وهذه النفس سيرها مع الله فى الله ، عن الله بالله.. عالمها الحقيقة المحمدية ، وعالم اللاهوت ، والوحدة فى الكثرة ، والكثرة فى الوحدة .. ولها جزء فى عالم الشهادة ، لكمال العبودية ، وحالها : المطمئنة الراضية .. ولها الفناء الذى فيه محو الصفات البشرية والخفاء ، ومواردها : الشريعة والطريقة وكمال الحقيقة ، وصفاتها : الأوصاف الحسنة ، ومحلها : السر وسر السر ، ومقامها : البقاء بالله .

ومن صفاتها أيضا : الجود والتوكل والحلم والعبادة والشكر والرضا بالقضاء ، ولايلتفت صاحبها إلا إلى التخلق بأخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولاتطمئن نفسه إلاباتباع الشريعة ، وكلامه حق مطابق لما قاله الله ورسوله ، من غير مطالعة ولاسماع . واشتغاله فى هذا المقام بالاسم الثالث.. هو بياء النداء .. وحقيقة مقامها : البقاء بذات الله ، لابذاتها.

نصائح غالية :

* « تفرغوا من هموم الدنيا مااستطعتم » حديث شريف

أكثروا من ذكر الموت وماوراءه ، والصراط .اذكروا الآخرة ، تفرغوا من الدنيا بالشغل مع الله عز وجل ، بطهارة القلوب والأسرار ، ومجاهدة النفوس ومحاربة الشيطان .. الإسلام ظاهر ، والإيمان قوته ، ثم المعرفة بالله عز وجل بعد ذلك ، ثم الوجود بالله تعالي .

* ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق :٢ . ٣).

هذه الآيات غلقت كل الأبواب إلا التوكل على الله .. لابد من حسن الأدب مع الله عز وجل . أحسن الأدب ، واقبل على آخرتك ، واعرض عن

دنياك .. العبد يتوب عن معاصيه وزلاته وخطاياه ،يشتغل بالصوم وصلاة الليل ، يأكل من كسب حلال .. بذلك يكون متبعاً الشرع ، ثم يترقى فيصير متورعاً، فيقل كسبه خوفا من الوقوع فى الحرام ، ثم يترقى فيصير منزها ،ثم زاهداً ، ثم عارفاً مفتقر القلب إلي الله عز وجل فيجالسه ويحادثه ، يفرغ قلبه من الخلق ، يستغنى عنهم ويفتقر إليه ،يجالسه مع أرواح أنبيائه وأصفيائه .

* أكل الشهوات يقسى القلب ، ويقيد السر ، ويزيل الفطنة ، ويكثر النوم، ويقوى الحرص ، ويطيل الأمل .. يامسجونا فى سجن هواه ، ياعبدا للخلق ، ياجاهلاً بعاقبة أمره ، ياجاهلاً بالخلق والحق عز وجل ، وماعليه وماله، إن لم تعقل فاذكر الموت ، فإن ذكره مفتاح كل خير .

* لافلاح لك حتى تعترف بنعم الله عليك ، والنعم تغرقك فى توحيده ، ثم تفني في توحيده عن رؤية غيره .. كيف يحب من يشكو منه ويناظره ويجادله؟ الحب والشوق والقرب منه لايثبت مع هذا .. إذا صحت المحبة فلا ألم عند مجيء الأقدار ..إذا زالت النفس ، صار مكانها أمر الله ، وإذا زالت الدنيا ، صار مكانها الآخرة ، وإذا زالت الآخرة ، صار مكانها قرب الله عز وجل ، يستأنس بقربه ويرتاح إليه .

* الصلاة تقطع بك نصف الطريق ، والصوم يقيمك على الباب ، والصدق يدخلك إلى الدار . اغلق باب منة الخلق ، وقد فتح لك باب منة الحق .. صلاة العباد أن يجعلوا الجنة عن يمين القلب ، والنار عن شماله ، والصراط بين يديه، والرب مطلعاً عليه .. أما صلاة المحبين فهى : الانفصال عن الخلق والاتصال به .

* إذا باسطك انبسطت ، انقلبت رخصتك عزيمة ، وعزيمتك دلالاً .. حتى إذا صرت كلك عزيمة ، أدخلك دار الفضل والأنس ،تبقى بلا رخصة ولاعزيمة ، فعلاً مجرداً .

* بعين الرأس تشاهد الدنيا ، وبعين القلب تشاهد الآخرة ، وبعين السر تشاهد المولى ، ومن غاب عن الخلق وعن نفسه وعن وجوده ، عاش مع الحق ، ومات عن الخلق .. إذا رمت الترقى إلى هذا المقام ، فعليك بترك الحرام والشبهة ، حتى إذا تم لك ذلك ، فعليك بترك الحلال المشترك ،ثم عليك بترك المباح ،ثم عليك بالحلال المطلق ، وهو ملا يدخل فى يد المملكة ، كما فى البرارى والصحارى والسواحل .

* أتبك وأنت غائب عن انتظاره ، واهتمامك بلقم تأتيك وأنت نائم .. افتح عينى قلبك ، ترى حولك الملائكة وأرواح النبيين .. ثم افرغ عن الخلق ، لاترجو مدحهم ولاذمهم ، ولاصورهم ولامعناهم ، تأتيك منة الله ، ثم يأتيك القرب والغنى والفناء عن الوجود ، اطلب المحو بعد الاثبات ، والعدم بعد الوجود ، والقرب بعد البعد .. صحة القلب بلا لسان ، صحة السر بلاقلب ، صحة السر بلاوجود .

* خذ النعمة ، وفر إلى المنعم لاتقيدك ، دعها ومن تقيده :انظر فى وجه النعمة : أهى نعمة أم نقمة أم رحمة ؟ لاتغتر بظاهرها ، لاتنسى المنعم فيها ، ولاتنظر يمينا وشمالاً ، ولاتأكل من يد الدنيا ، فالاشتغال بغير الله عز وجل لعب ، وبالنفس معصية ، وبالخلق انعراج عن بابه .

تلك كانت بعض النصائح الغالية والمعانى السامية التى نختم بها معالمنا على طريق الوصول ، والتى التقطناها من أشياخنا وعلمائنا ، الذين أخذوا بأيدينا فى طريق معراج قلوبنا إلى أنوار ربنا .

فإن كنت أيها السالك على الطريق ،تريد المزيد من التوجيه السديد ، لتجنب عثرات الطريق فعليك بالاعتصام بحبل الله المتين من قرآنه الكريم وسنة نبيه الحبيب .. والله الموفق والهادى إلي سواء السبيل ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ (هود :٨٨).

إجابات على أسئلة السالكين

هناك العديد من الأسئلة التى تراود المريدين ، وقد تعوقهم عن تحقيق اليقين .. لذلك رأينا من الضرورى أن نعرض لبعض من تلك الأسئلة ، ونسجل الإجابة عليها من خلاصة تجارب الطريق :

السؤال الأول : ما هو أساس الإيمان بهذه العقيدة ؟

الجواب :

أساس الإيمان بهذه العقيدة هوحديث : الإسلام والإيمان والإحسان

ثم إن أساس العقيدة : « **لا إله إلا الله** » ..إقرار باللسان وتصديق واعتقاد بالقلب .

وهذا يشع علي الجوارح ، فتسير فى طاعة الله .. فلا يجب أن يراه المولى عز وجل فى مكان نهاه عنه ، وأن يكون فى عمله مستعينا بالله ، كما يستعين بالقلم على الكتابة ، فلن يمكن تسطير أعمال البر إلا بالاستعانة بالمولى العليّ القدير .. فيرى الله فى كل شيء ، ولا يحب ولايكره إلا بالله وفى الله ، ولا يخشى ولايخاف إلا الله ، ولا يرجو إلا الله ..فيكون الله سمعه وبصره ، وملء قلبه ..حينئذ يكون العبد ربانيا ، وينطبق عليه الحديث: عبدى أطعنى تكن ربانيا ، تقل الشيء « كن فيكون » .

« **لا إله إلا الله** » : تعنى أنه لاموجد إلا بالله ، لاضار ولانافع إلا بالله ، لارازق إلا الله ..لايفتقر إلى شيء ، وكل شيء مفتقر إليه : فى وجوده وإمداده وحياته وكسبه ومعاشه وحركاته وسكناته .

لاموجود بحق إلا القائم بنفسه، أما لاقائم بغيره، الذى ليس له قوام من نفسه ، فوجوده بغيره ..ولا قائم بنفسه إلا الله . والكل من مصدره ، وإليه مرجعه .

وعلى الإنسـان أن يدرك حقيقة العـوالم التي يعيش فيـها فى آن واحد : عالم الحس - عالم العقل - عالم القلب .. وعليه أن يملأ كيانه بمعنى التوحيد فى كل من هذه العوالم :

ففى عـالم الحس : يسـخر حواسه فى طاعة الله وعبادته ، والسعى فى تنفيذ شرع الله ، واجتناب كل ضرر للدين .

وفى **عالم العقل** : عليه أن يسخر عقله فى التفكير السليم ، الملتزم بمناهج الله .

وفي **عالم القلب** : عليه أن يحفظ قلبه عن الميل إلى غيرالله ، بأن يجعله عامراً بالإيمان .

ذلك باختصار هو أساس الإيمان بهذه العقيدة .. **فالإسلام**: طاعة وعبادة **والإيمان** : نور وعقيدة وقرت فى القلب .. **والإحسان** : مراقبة ومشاهدة ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك .

السؤال الثانى : كيف يحقق الإنسان التوازن بين المادة والروح ؟

الجواب :

الإنسـان يعـيش فى عـالمين : عـالم منظور تدركه الحـواس - وعـالم غـير منظور يمكن أن يدركه القلب . والقلب ملك مطاع ، فإذا صَلُح ، صلح المتبوع، وعلامة حياته إشراق نور العقل ، فينشرح الصدر ، وتخمد النفس ، وتنقمع الشهوات الباطنة والظاهرة .. والكلام الذى يقع فى القلب ، كالطعام الذى يقع فى الجوف ، منه ضار ومنه نافع .. فعلى الإنسان أن يحفظ قلبه عن الميل إلى غير الله ، بأن يصون حواسه عن اكتساب مايفسد القلب بأن يشيع فيه الظلمة .

فعالم القلب هوعالم الإيمان ، والاتصال الحقيقى بالله ، لأنه المرآة التى تعكس تجليات الحق .. والإنسان الكامل من استعلى قلبه على عقله ، وعقله علي حواسه ، وهذا هو التوازن .

لماذا ؟ لأن الحواس لاتحس إلابعالم المادة فقط ،فتعكس الوجود الظاهر ، لاحقيقة الأشياء .. والعقل أسمى من الحواس ، ولكن أيضا له حدود ، لأن ماوراء الطبيعة لايدرك كنهه .. أما القلب فهوالذي قال الحق فيه : (ماوسعني أرضي ولاسمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن) .. فالقلب هو النواة التي تمد الجسم بالحياة النورانية والمعنوية ، لأنه عنده قدرة علي الإحساس بالأنوار الإلهية ، واستيعاب معانيها السامية ، وأبعادها الروحية.

فالمؤمن الحق : ظاهره مع الخلق ، وباطنه مع الحق .. فهو يفعل ويحس ويسعى متقنا عمله ، مخلصاً فيه ، مطبقاً للشرع ، وفى نفس الوقت فإن قلبه متجه إلى الله فى كل حركة وسكنة .

فمثلاً : الحوادث والوفيات والمصائب ، يتألم لها ، لأنه بشر ، ويبكى أحياناً فى الظاهر ، و لكنه فى أعماق قلبه، راض بقضاء الله ، غيرساخط ولا غاضب ..يفعل ما يجب عليه، ولكنه يرضى بالنتيجة التي تحدث ، مهما كانت ، وإلا كفر بقضاء الله .

السؤال الثالث : ماحقيقة أو معنى هذا القلب ؟

الجواب :

ليس هو القلب المادى ، ولكن المقصود به : هو تلك اللطيفة الربانية ، التي هى سر الله المودع فى البدن ، فالبدن مطيع لها .. وبذلك تعينت لها جهتان ، تكتسب منهما كمالها بالعلم والمعرفة :

١ – جهة هذه الحياة الدنيا التي خلقت لها .

٢ – جهة عالمها الذى نشأت منه .

فجهة عالم الدنيا : تكتسب منها العلوم والمعارف ، ببسط أحوال الحواس الظاهرة ، والتعرف علي حقائق الوجود ، وإعمال الفكر فيها وصقله .

وجهة عالمها الأعلي : العالم الروحى ، تكتسب منه بتصفيتها عن كدورات الرذائل ، وتخليصها من ظلمات البشرية ، فتتعرض بذلك لنفخات الرحمن ، وتلوح لها أنوار العلم والمعرفة .

وتصفية القلب تأتي بالمجاهدة والذكر ، والسلوك السليم.. ولهذا كله دلائل وعلامات طريق ، كالطمأنينة والثقة والسعادة ، والرؤيا الصالحة ، التى هى جزء من ٤٦ جزء من النبوة .

السؤال الرابع : ما معنى القلب والروح والنفس والعقل ؟

الجواب :

القلب : له معنيان :

١ - اللحم الصنوبرى الشكل ، المودع فى الجنب الأيسر من الصدر، فى بطنه تجويف يسكن فيه الدم ، وهو منبع الروح .

٢ - اللطيفة الربانية الروحانية ، لها بهذا اللحم الصنوبرى تعلق غامض ، لايدرك باللسان ، بل موقوف على المشاهدة بالكشف.. وهذه اللطيفة هي العالمة بالله ، والمدركة لما لايدركه الخيال والوهم .. وهو حقيقة الإنسان .

الروح : له معنيان :

١ - الروح الطبيعى . وهذا الروح منبعه دم أسود فى تجويف هذا اللحم الصنوبرى ، وهو ينتشر بواسطة العروق الضوارب فى جميع أجزاء البدن ، كالسراج فى البيت ، يستضىء به جميع زوايا البيت ، وهذا المعنى هو الذى يريده الأطباء بإطلاق الروح.

٢ - اللطيف الربانية الذي هو معنى حقيقة القلب . فالروح والقلب متواردان على تلك اللطيفة على نسج واحد .

النفس : لها معنيان :

١ - المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة والصفات المذمومة .

٢ - اللطيفة الربانية التى هى أحد معانى الروح والقلب . وتلك اللطيفة هى حقيقة الإنسان التى يتميز بها علي سائر الحيوان .

العقل : له معنيان :

١ - العلم بحقائق الأشياء.

٢ - غريزة يتبعها العلم بالضروريات .

وإذا أطلق لفظ الروح والنفس والقلب والعقل فى الآيات والأخبار ، فالمراد بها اللطيفة الربانية ، وهذه هى التى أرادها السهروردى بقوله فى مفارقة الروح للبدن ، وحنينها إلى موردها الأصلى ..

السؤال الخامس : عن السعادة وعن الآفات التى هى خطرة علي المجتمع ؟

الجواب :

السعادة : هى حصول النعيم واللذة ، باستيفاء كل غريزة ما تشتاق إليه ، من مقتضى طبعها .

* فلذة القلب وسعادته : تحصيل حقيقة الإيمان .
* ولذة العقل وسعادته : تحصيل حقيقة المعرفة .

وليس هناك أشرف ولا أسمى من الإيمان بالله ، والمعرفة بالله وصفاته والتفكر فى ذلك .

* أما السعادة الجسمانية : فهى فى لذة الغرائز والقوى ، فى حدود ما رسمه الشرع .

ولكن حقيقة السعادة : أنها تنبع من الإنسان ، ولا تستمد من خارجه ، فليست سعادته ترقية أو حصول علي رغبة معينة .. ولكن كل ذلك وسيلة

لخلق حالة عقلية ، تشع السعادة عليه . فإذا خلق هذه الحالة فى نفسه ، بلا واسطة خارجية ، لأصبح مالكاً لزمام نفسه .. فيما عدا ذلك ، فإنه يصبح عبداً لهوى نفسه وشيطانه ، وأصبح يسعد ويشقى فى كل يوم ألف مرة ، كالريشة في مهب الريح ، لايستقر لها قرار من نفسها .

أما الآفات : فهي كثيرة ، ولكن أساسها - كما ذكرت - هو ما وقر فى القلب .

همك ما أهمك : فإن كان همك المال كنت عبداً له .. وإن كان همك القطيفة كنت عبداً لها .

وإن كان همك الشهرة كنت عبداً لها .. وإن كان همك الدنيا كنت عبدا للدنيا .

وإن كان همك الآخرة كنت عبداً للآخرة .. وإن كان همك الله كنت عبداً لله . وكانت الدنيا والآخرة عبيداً لك .

مؤدى ذلك : ليس أن لايكون لك مثل أعلي .. كلا ، ولكن -كما ذكرت - فرق بين ما تضعه فى قلبك ، وماتتركه خارج كيانك .. لا أن تكون حياتك كلها متعلقة بهذا الذى تريد .

« تعس عبد الدينار ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الدرهم » .

السؤال السادس : إذا قضى الله بارتكاب نهى ، وجب المسارعة فى الطلب من الله أن ينقله من ذلك إلى ما يرضيه .. فهل هذا يتمشى مع الرضا بالقضاء ؟

الجواب :

معنى الرضا بالقضاء : ترك المنازعة وعدم الاعتراض ، واعتقاد ثبوت حكمة الله تعالى ، والعدل فى قضائه .. وليس مقتضى ذلك مأمور بكسبه ، ولا بحبه ورضاه به ، باعتبار أنه سبب لغضب من الله تعالى ، واستحقاق

العذاب .. فإن ذلك يقتضى كراهة ذلك الأمر ، ووجوب السعى فى الخروج منه. وهذا معنى « وجوب الرضا بالقضاء » لابالمقضى . فالشيء الواحد إذا كان سيئاً منهياً عن ، له اعتباران : فمن حيث كونه سيئاً يكرهه العبد ، ويطلب الخروج منه .. ومن حيث كونه مقضياً عليه ،يرضى به من حيث صدوره من الله تعالي .

فالرضا هو ترك الاعتراض، واعتقاد الحكمة .. وليس المراد أنه مكلف بحبه ، بل هو مكلف ببغضه ، ومن حيث كونه مقضياً يرضى به .. هذا باعتبار ما وجد من ذلك فى الخارج فيما مضى وانقضى ، فيترك الاعتراض ، ويسأل الله الغفران .. وأما بالنسبة للمستقبل ، فهو محجوب عنه ، لايدرى هل يكون مثل ما مضى ، أو يتبدل بضره فيسعى فى الخروج عنه .

فقضاء الله تعالي : منه ما هو معلق ، ومنه ما هو مبرم .. فكفر الكافر لايعلم أنه مبرم ، إلا إذا مات علي الكفر .. وأما فى مدة حياته ، فيحتمل أنه معلق بقاؤه بدوام رضاه به ، وعدم تعاطى أسباب الخروج منه .. فإذا تعاطى أسباب الخروج منه ، بالنطق بالشهادتين ، انقطع بقاؤه ، كما أن الجائع معلق دوام جوعه ، بعدم تعاطى أسباب الخروج منه .. والعبد لا اطلاع له علي أن ذلك القضاء مبرم ، وقد أمره الشارع بتعاطى أسباب الخروج منه أوسهلها له .. فعليه أن يفعل ما أمره الله به ، ولا يحتج بأن ذلك بقضاء الله ، لأنه لا يعلم أنه مقضى عليه ، إلا بالنسبة لما مضى لا للمستقبل .

السؤال السابع : هل الطلب من الخلق يتعارض مع العبودية ؟

الجواب :

إن الشارع أذن فى اتخاذ الوسائل لجلب المنافع ، ودفع المضار ، وقضاء الحوائج .. وأمر بشكر الوسائط ، ووعد من نفع أخاه المؤمن ، وسعى فى قضاء حاجته ، بالأجر المضاعف .

لكن ذلك كله بشرط : اعتقاد أن الوسائط ليس لشيء منها تأثير فى نفع أو ضر ، وبشرط عدم الاعتماد عليها .. فالمذموم القادح فى العبودية ، هو الطلب من الخلق علي رجاء الاعتماد عليهم ، والاستناد إليهم ، فيما يرومه الطالب ، ويسعى فى حصوله ، لغفلته عن الله ، وعدم استحضار كون الأمر بيده .. أما الطلب منهم ، من حيث أن الله جعلهم أسباباً ووسائط ، مع الاعتماد فى نيل المطلوب علي الله تعالى ، ورجوع الوجهة والقلب فى ذلك إليه ، وأنه القادر علي ذلك ، وهم العاجزون عن نفع نفوسهم .. وأنه إن أراد حصول ذلك علي أيديهم ، خلق فيهم القدرة عليه ، وسلط عليهم البواعث والدواعى ، وجرهم إليه بسلاسل فى أعناقهم ، لايستطيعون لها نزعاً ، ولا يملكون للقدرة التي جعلها فى أعناقهم دفعاً .. فذلك الطلب حينئذ محمود ، موافق للعبودية .

فهم من حيث هم ، كالأرض الميتة ، فإن أراد الله ذلك منهم ، أمطرهم بسحائب قدرته ، فيظهر منهم ما يظهر ، من الجلب والدفع والضر والنفع . وهو سبحانه الضار النافع .. فمن أراد الطلب منهم ، فيقدم بين يديه استحضار هذه المعانى . فإذا قدر له نفع علي أيديهم شكرهم ، لتسخير مولاه إياهم ، وإن لم يقدر له نفع ، عذرهم ولايداهنهم .

السؤال الثامن : كيف يمكن للإنسان أن يتعرض لنفخات ربه ؟

الجواب :

من شاء أن يتعرض لنفحات ربه : فلا يكن مع نفسه علي ما تشتهيه بحيث يخفف عليها ، وليكن معها علي مالا تشتهيه ، ويثقل عليها .. وبذلك فإن مسافة الطريق يطويها ، وثمرة عمله يجنيها - فإن ترك شهوة من شهوات النفس ، أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها .. وقال بعضهم : لئن أترك من عشاى لقمة ، أحب لى من أن آكلها ، وأقوم من أول الليل إلى آخره..

وعليكم بزيارة الأحباء من شيوخ الطريق ، وعليكم بزيارة الأموات من الأولياء والصالحين والأماكن المعظمة عند الناس ، وعليكم برفع الهمة عن الدنيا واللحوق بالله .

وأوصيكم إن قابلكم أحد بوصف من أوصاف الحرية ، فقابلوه بضده من أوصاف العبودية وإن قابلكم بالكلام ، فقابلوه بالصمت ، أو بالعز فقابلوه بالذل ، أو بالقوة فقابلوه بالضعف ، وهكذا فإنكم تقهرونه وتذلونه ، وتغلبونه لامحالة .

من عرف الله لم يلتفت إلى نعيم الجنة ، فما بالك بنعيم الدنيا ؟! يجب أن لا يتحرك المرء إلا لفائدة ، ولا يسكن إلا لأخرى .. ومالا فائدة فيه لا يشتغل به ، وبذلك تتقوى معانيه ، ومن تقوت معانيه ، أغنته عن التكلف ، إلا ما لابد منه ، إذ هو يغرق فى بحار الفكر ، وتفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة .

احذروا من الشبع والكلام والتأنس بالخلق .. ولتكن ظواهركم دائماً علي حالة التواضع ، أى اتركوا كل حالة تدل على الكبر والتجبر ، وكونوا على حال التواضع والنظافة والمسكنة والقناعة .

بهذا يستطيع الإنسان أن يتعرض لنفحات ربه ورضوانه الأكبر .

السؤال التاسع : عن كيفية ذكر الاسم الجليل ؟

الجواب :

نذكر تلك الكيفية فى ذكرالاسم الجليل (الله) وقفنا عليها عند الشيخ سيدى أبي الحسن ، فى بعض الكتب وهى : أن تشخص الحروف الخمس لكلمة « الله » بين عينيك وقت ذكره ، من غير أن ترسمها بحائط أو بحجر أو بورقة ، إنما تشخصها بين عينيك فقط .. ومهما مللت منها ، رجعت إليها ، ولو مللت عنها ألف مرة أو أكثر بالساعة ، رجعت إليها .. فهذه الحالة

تنتج أفكاراً عظيمة ، وعلوما وهيبة دائمة ، والبشرية إذ ذاك تضعف ، والنورانية تقوى كل وقت .. وهنا تحس بقوله تعالى : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ (الحديد :٣).. وتتحقق بأنه لا موجود إلا الله ، وليس فى الأكوان إلا إياه .

وإذا أردت أن تعرف اسم الله الأعظم :

قل « الله » وليس فى قلبك غيره . اجعل ظاهرك للخلق وقلبك للآخرة ، وسرك أوقفه مع الحق عز وجل ، خارجاً عن الدنيا والآخرة ، إن قدرت .

عليك بتقوي الله وطاعته ، ولاتخف أحداً ولا ترجه ، وكل الحوائج كلها إلي الله عز وجل واطلبها منه ، ولا تثق بأحد سوى الله عز وجل، ولا تعتمد إلا عليه سبحانه .

بذلك يحقق الذكر ثماره المرجوة ، ويؤتى نتائجه بالوصول بالمريد إلى التوحيد التوحيد التوحيد .

السؤال العاشر : كيف يمكن التعرف على آداب العبودية ؟

الجواب :

* إن المطلوب من العبد : التزام الأدب ، بالتلبس بأوصاف العبودية ، فى جميع الأقوال والأفعال والأحوال . لكن للعبودية مقامات يترقى إليها السالك شيئاً فشيئاً .. فيطلب منه أولا : أنه إذا أقامه الحق فى حالة مأذون فيها ، لا يطلب منه أن يخرجه منها ، ليستعمله فى غيرها ، لما يتضمنه ذلك من سوء الأدب ، بالاختيار مع الله تعالي ، وعدم الرضا بقسمته ، ولما فيه من احتقار النعمة التى هو فيها .. ثم إذا رضى العبد بما أقامه الله فيه ، فينبغى له أن لايقف بقلبه معها ، ويركن إليها ، ولا يتجاوز الحد فى استعظامها ، ولا يستحليها استحلاء يحبس قلبه عندها ، ولا يعجبه تلك الحالة إعجاباً يصيرها له مقصداً أو معتمداً ، لأن فى ذلك سوء أدب مع الله تعالى ، حيث

اشتغل قلب العبد بغيره تعالى ، وانقطع بذلك الغير عنه سبحانه وتعالى ، ولما فيه من القناعة من الله ، وعدم طلب الزيادة من فضله .

فاحتقار المتوجه ما هو فيه تفريط ، والوقوف عنده إفراط ، وكلاهما نقص.. أما الكمال : فهو الاعتراف بنعمة الله وفضله عليه ، وطلب الزيادة منه ، وليفرح بتلك النعمة ، لا من حيث ذاتها ، بل من حيث ذكره لله بها .. المهم أن لا يسكن قلبك إلي شيء ، ويغفلْ عن الله تعالى ، وإنما يجب أن يسكن قلبك إلى الله تعالى .

ومن أهم آداب العبودية أيضاً ، التزام الأدب فى الدعاء كما يلى :

* **فالدعاء** : إذا وقع منك طلب ، فليكن عبودية ، وامتثالاً لأمره تعالي : ﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾ (غافر : ٦٠) .

فمن جعل العبودية نصب عينيه فى حركاته وسكناته ، فقد أوصله إليه . والمقصود بالدعاء : إظهار التذلل والفاقة والعجز والاحتياج ومناجاة الرب ، من غير أن ترى دعاءك موجباً لحصول ذلك الشيء ، دون القضاء الأزلى .

فلا يكن طلبك منه تعالي ، علي وجه أن ذلك الطلب هو الموجب لمطلوبك ، بل يجب أن تستحضر فى ذهنك أن الحكم الأزلى هو الموجب .. واجعل دعاءك طلباً لإظهار وصف ضعفك ، وتحقيق فقدك ، وتعلقاً بقوته وغناه ، وامتثالاً لأمره ، لا كراهة وتبرماً لقضائه .

وكذلك دعاؤك لجلب منافعك ، وإنزال مصالحك ، لاينبغى أن تكون فى دعائك متحكماً عليه ،بل تدعوه مع تفويض الخيرة إليه فيما هو الأنفع لك من حصول غرضك أو عدمه .. واعلم أن الطلب من غير الله مذموم ، إن كان حال الطالب غافلاً عن الله تعالى .وأما إن كان مع حضور قلب ومشاهدة أن المعطى والمانع هو الله ، وأن هذا المطلوب منه فى الظاهر ، إنما هو سبب كبقية الأسباب العادية ، التى لا تأثير لها ، فلا ضرر فى ذلك .

السؤال الحادي عشر : ما هى الخواطر ؟

الجواب :

إن الله وكل بقلب ابن آدم ملكا ، يدعو إلي الخير يقال له : « الملهم » ويقال لدعوته إلهام .. وسلط فى مقابلته شيطاناً ، يدعو إلى الشر ويقال له: « وسواس » ولدعوته وسوسة .. فالملك جاثم على أذن قلب ابن آدم اليمنى ، والشيطان على أذن قلبه اليسرى ..ثم ركب الله فى بنية الإنسان ، طبيعة مائلة إلى الشهوات ، راغبة في نيل اللذات كيف كانت ، من حسن أو قبح .. فذلك **هوى النفس** ، وهؤلاء الثلاثة دعاة .

والخواطر أربعة أقسام :

١ - قسم يحدثه الله فى القلب ابتداء ، فيقال له : الخاطر فقط . قد يكون بخير إكراماً ، أو بشر امتحاناً وتغليظاً للجنة .

٢ - قسم يحدثه موافقاً لطمع الإنسان ، ويقال له : هوى النفس . وهذا يكون بالشر ، أو بالخير المقصود منه الشر .

٣ - قسم يحدثه عقب دعوة الملهم ، ويقال له : إلهام .. لا يكون إلا بخير .

٤ - قسم يحدثه عقب دعوة الشيطان ، ويقال له : الوسواس .. لايكون إلا بشر ، وربما يكون بخير استدراجا .

وكلها من الله سبحانه وتعالى يحدثها عند الدعوة .

ويمكن معرفة الفرق بين خاطر الخير وخواطر الشر ، بأن تزن الخواطر بأحد موازين ثلاثة ، تظهر لك حاله :

* أن تعرض الأمر الذى خطر لكم علي **الشرع** : فإن وافق جنسه فهو خير ، وإن كان بضده ، بأن كان رخصة أو شبهة فهو شر .
* فإن لم يتبين لك فيه خير ولا شر ، فاعرضه علي **الاقتداء بالصالحين** : فإن كان فى فعله اقتداء بهم ، فهو خير وإلافهو شر .

* فإن لم يتبين لك فيه شيء ، لاخير ولاشر ، فاعرضه علي **النفس والهوى** : فإن كانت النفس تنفر منه نفرة طبع ، لانفرة خشية ورهبة ، فهو خير .. وإن كانت تميل إليه ميل طبع وجبلة ، لاميل رجاء إلى الله ورغبة ، فهو شر .

السؤال الثانى عشر : كيف يمكن التمييز بين أنواع الخواطر ؟

الجواب :

هناك عدة تقسيمات لإمكانية هذا التمييز .. نوجزها فيما يلى :

*** الفرق بين خاطر الشر الذى يكون من قبل الشيطان أو من قبل هوى النفس أومن الله ابتداء :**

١ - إذا وجدته مصمماً علي حالة واحدة : فاعلم أنه من هوى النفس ، أو من الله ابتلاء منه تعالى .. وإن وجدته متردداً مضطرباً فاعلم أنه من الشيطان .

٢ - إذا وجدته عقب ذنب أحدثته : فاعلم أنه من الله تعالي إهانة وعقوبة ، من شؤم ذلك الذنب .. وإن كان الخاطر مبتدأ بأن لم يكن عقيب ذنب كان منك ، فاعلم أنه من قبل الشيطان .

٣ - إن وجدته لايضعف ولا يقل بذكرالله ولايزول ، فهو من هوى النفس ، وإن وجدته يضعف ويقل بذكر الله فهو من الشيطان .

*** معرفة خاطر الخير هل من الله أو من الملك :**

١ - إن كان قوياً مصمماً فهو من الله .. وإن كان متردداً فهو من الملك ، إذ هو بمنزلة الناصح ، يدخل معك من كل وجه ، ويعرض عليك كل نصح ، رجاء إجابتك ورغبتك فى الخير .

٢ - إن كان عقب اجتهاد منك وطاعة ، فهو من الله ، وإن كان مبتدأ فهو من الملك فى الغالب .

٣ - إن كان فى الأصول والأعمال الباطنة ، فهو من الله ، وإن كان من الفروع والأعمال الظاهرة ، فهو من الملك فى الأكثر.

معرفة خاطر الخير الذى يكون من الله أومن الملك وخاطر الشر الذى يكون من الشيطان :

إذا وجدت نفسك فى ذلك الفعل الذى خطر ببالك : مع خشية لا مع نشاط، ومع تأن لا مع عجلة ، ومع خوف لا مع أمن .. فاعلم أنه من الله أو من الملك .

وإن وجدته مع نشاط لامع خشية ، ومع عجلة لامع تأن ، ومع أمن لا مع خوف ، ومع عمى العاقبة لامع بصيرة .. فاعلم أنه من الشيطان فاجتنبه ، وداوم على ذكر الله تعالى بقلبك ولسانك ، ففى ذلك إبعاد للشيطان .

السؤال الثالث عشر : ما الطريق إلى إذلال النفس وإضعاف هواها ؟

الجواب :

الطريق إلى ذلك بثلاثة أشياء :

١ - منع الشهوات . ٢ - حمل أثقال العبادة .

٣ - الاستعانة بالله والتضرع إليه .

فإذا واظبت علي هذه الأمور الثلاثة ، انقادت لك النفس الجموح ، بإذن الله تعالى ، فتلجمها بلجام التقوى .. والتقوى هى تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق منك مثله ، وهى وقاية بين العبد والمعاصى ..ولها ثلاثة معانى :

١ - بمعنى الخشية والرهبة : ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُون ﴾ (البقرة :٤١)

٢ - بمعنى الطاعة والعبادة :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاته ﴾ (آل عمران : ١٠٢) .

٣ - تنزيه القلب عن الذنوب .وهذا معنى حقيقة التقوى :﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور :٥٢) .

فذكر الطاعة والخشية ، ثم عطف ذلك على التقوى ، والأصل فى العطف أن يكون للمغايرة ، فيدل على أن التقوى غير الطاعة والخشية ، فهى تنزيه القلب عن المعاصى .

السؤال الرابع عشر : ما هى آداب الذكر ؟

الجواب :

هناك آداب سابقة علي الذكر، وآداب فى حالة الذكر ، وآداب بعد الذكر .

بالنسبة **للسابقة علي الذكر** :

١ - التوبة النصوح ٢ - الوضوء أوالغسل ٣ - الصمت والسكينة

٤ - أن يستمد من همة شيخه بأن يشخصه بين عينيه .

٥ - أن يرى استمداده من شيخه ، هو استمداده من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

فى حالة الذكر :

١ - الجلوس فى مكان طاهر .

٢ - أن يضع راحتيه علي فخديه ، ويستحب الجلوس للقبلة .

٣ - تطييب المجلس والثياب بالرائحة الطيبة .

٤ - أن يكون كسبه حلالاً

٥ - اختيار الموضع المظلم من خلوة أو سرداب.

٦ - تغميض العينين ٧ - أن يشخص شيخه بين عينيه

٨ - الصدق فى الذكر ، بأن يستوى عنده السر والعلانية .

٩ - الإخلاص : وهو تصفيه القلب والعمل من كل شوب .

١٠ - أن يختار من صيغ الذكر لفظ لا إله إلا الله .. فإن فنيت شهواته وأهواؤه ، يصلح له ذكر الله بلفظ الجلالة .

١١ - استحضار معنى الذكر فى قلبه ، ويعرض علي شيخه ، ليتلقى منه.

١٢ - تفريغ القلب من كل موجود سوى الله .

بعد الذكر :

١ - أن يجلس فى صمت وسكون .

٢ - أن يترقب وارد الذكر .

٣ - أن يذم نفسه مراراً .

وخير من ذكر الله باللسان ، ذكره عند أوامره ونواهيه ، فإن الذى دعاك لحضرته ، هو الذى نهاك عن مخالفته .. ويعطى الحقيقة حقها ، وهو ألا يشاهد سوى الله فاعلاً ، ولاحياً ولا موجوداً إلا هو ..فإن غلب عليه الحال فى وحدة الأفعال ، وفني وشهد أن المخلوقات كلها أقلام الله ، وعلم أن القلم لايكتب إلا بالكاتب ، وشهد أن لاتأثير لشىء من الكائنات في أثر ما ، وشاهد نفسه من جملة هذه الكائنات ، وعلم علم يقين: أن لا تأثير فى قول ولا فعل ، ولا حركة ولاسكون إلا بالله .. بذلك يصيرالذاكر فرداً من أفراد الوجود، وتصبح الشريعة فعاله ، والطريقة أفعاله ، والحقيقة حاله .

<u>السؤال الخامس عشر</u> : كيف يصل السالك إلى حقيقة التوحيد ؟

الجواب :

* إذا أشركت بالخلق كيف تفلح ؟ كيف يصفو قلبك وهو فارغ من التقوى ؟ ستظل محجوب عن الخالق بالخلق ، وبالأسباب عن المسبب ، محجوب بالتوكل على الخلق والثقة بهم .. فعليك بخويصة نفسك عند ضعف إيمانكم ، ماعليك من أهلك وجارك وأهل بلدك .. فإذا قوى إيمانك ، فابرز إلى أهلك وولدك ، ثم إلى الخلق .. لاتبرز إليهم إلا بعد أن تتدرع بدرع التقوى ، وتترك علي رأس قلبك خوذة الإيمان ، وبيدك سيف التوحيد،

وفي جعبتك سهام إجابة الدعاء ، وتركب حصان التوفيق ، ثم تحمل على أعداء الحق عز وجل ، فحينئذ تأتيك النصرة والمعونة ، وتفيض عليك أنوار التوحيد .

* اعرف نفسك وجاهد آفاتها ، حتى تصير راحلة لك ، تحمل أثقالك ولاتخالفك فى أمرك . وكن علي حذر من تلك النفس ، فإنها تظهر الطمأنينة والذل والتواضع ، والموافقة فى الخير ، وهى تبطن خلاف ذلك .. لاترفع عصا المجاهدة عن نفسك ، قصِّر أملك ، وقلل حرصك .. وارض بالقضاء وآمن بالقدر ، خيره وشره ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك بالتحذر ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك بالجد والعمل .. علامة الولي أن يكون موافقا لله عز وجل فى جميع أحواله ، من غير لم وكيف .

« أنا الله لا إله إلا أنا .. من استسلم لقضائى ، وصبر على بلائى ، وشكر نعمائى ، كتبته عندى صديقا .. ومن لم يستسلم لقضائى ، ولم يصبر علي بلائى ، ولم يشكر نعمائى ، فليطلب ربا سواى » .

* لاتجعل رجاءك الخلق ، وخوفك منهم ، ولا تجعل حمدك عند العطاء ، وذمك عند المنع للخلق ، فهذا شرك .. **التوحيد الحق هو** : أن توقن أن الأشياء توجد وتؤخذ من الله عز وجل ، لا من خلقه ، تؤخذ من الرجوع إلى بابه . الاشتغال بغير الله هوس ، والخوف من غيره هوس . لايضرنا ولاينفعنا إلا الله «هو الذى جعل لكل شيء سبباً » .. الحكم وارد علي السبب ، إذا عملت بالحكم به ، حققت العمل به ، ووقعت الأسباب عنك ، كما تقع الأوراق عن الشجر ، يظهر المسبب ، وتذهب الأسباب ، يظهر اللب ، ويذهب القشر .

* حقيقة التوحيد : إعدام الخلائق ، والخروج من انقلاب طبعك إلى طبع الملائكة ، ثم فناؤك عن طبع الملائكة ، ولحوقك بربك عز وجل يسقيك ما يسقيك ..فكيف تطلب الجاه والمال من هذا الرئيس أو الملك ، وتعتمد عليه

وتخشاه ؟ وهو عن قريب إما معزول أو ميت ، يذهب ماله وملكه ، وينقل إلي قبره (بيت الظلمة والوحشة) إلا أن يكون له عمل صالح .

لا تتكل على من يموت فيخيب رجاؤك ، وينقطع مددك ، فالمؤمن الحق ترتفع همته عن الأرض والدينا والآخرة ، ويتوكل علي الحى الذى لايموت ، ولا يعمل أى عمل إلا بأمر الله، فلا يأكل ولايشرب ولا يلبس بالهوى والطبع ، بل بأمر الواحد الأحد ..

السؤال السادس عشر : كيف نحقق التوافق بين الأخذ بالأسباب والتوكل ؟

الجواب :

اصحب السبب بالسنة ، إحياء لشرع نبيه محمد ﷺ ثم تقدم إلى المسبب ، باتباع النبى ﷺ فى حاله .. فالكسب سنته والتوكل حالته . ثم إن قدرت أن تفنى عنك فافعل ، لا مع السبب ولا مع الحال ، مفوضاً للحق يكفيك ويرفعك ويقربك ، ويعطيك مالا تعرف ، مسلماً لأمواج قدره .. أينما توجهت فثم وجه الله ، رأيت قربه وأنسه.

اغلق باب الخلق ، وقف على باب الحق . هذا الذى فى يدك ، ليس لك ، بل هو مشترك ، فجيرانك شركاؤك ، كسبك جعل فى يدك للمؤاخذة والأخذ.. اقطع الأسباب ، واخلع الأرباب ، ثم انظر ماذا ترى .. قف علي بابه، وقو سد الصبر علي آلام قدره وقضائه ، يقطع فلا تتألم ، حينئذ ترى عجبا : ترى التكوين كيف يفعل حالك ، والرحمة كيف تربيك ، والمحبة كيف ترقيك .. الحق عز وجل يحرم عليك مواضع الخلق والأسباب ، ثم يردك إلى قربه .. يضطرك حتى تدعوه ، يسد الأبواب فى وجهك ، حتى تقف على بابه.. الحق يضيق على العبد ، ليرده إليه ، ولا يعلق قلبه بالخلق .. إذا قربك وابتلاك تنعم ببلائه ، وإلا شغلك ببلائك .

الرغبة فى الأشياء تشوش عليك قربك من ربك ، أقبل علي الآخرة وعلى الطاعة ، لعلك تنجو ، وأقسامك تأتيك وهى كارهة .. يأمرك أن تخرج من طبعك ، وتجعل مكانه رخص الشرع ، ثم يأمرك أن تترك من الرخص شيئاً فشيئاً إلى أن تصير كل أفعالك عزيمة ، فإذا صبرت على العزيمة ، جاء الحب لله عز وجل فى قلبك ، والتوكل عليه ، فإذا ثبت الحب جاءت لك الولاية من الله عز وجل .

إذا فاتك شيء ، فلا تحزن عليه ، فإن الملك يتصرف فى ماله ، فالعبد وما يملك لمولاه .. ومتى كنت مريداً ، فالاشتغال بعبادتك أفضل من الاشتغال بالأسباب .. وإن كنت مراداً ، فلا تدبير لك فى نفسك ، إن شاء أعطاك مطلبك الذى تريده من الدنيا ، وإن شاء شغلك بسواه .

فعليك بالكسب والتعلق بالسبب إلى أن يقوى إيمانك ، ثم انتقل من السبب إلى المسبب . فالأنبياء عليهم السلام اكتسبوا واقترضوا وتعلقوا بالأسباب فى أول أمرهم ، وفى الآخر توكلوا .. أى جمعوا بين الكسب والتوكل بداية ونهاية .

وهكذا : **فى حالة الإيمان** : تأخذ من الدنيا بمباح الشرع .

وفي حالة الولاية : تأخذ من الدنيا بيد أمر الله عز وجل مع شهادة الكتاب والسنة .

وفى حالة البدلية والقطبية : تأخذ من الدنيا بفضل الله عز وجل، وتفوض الأشياء إليه .

السؤال السابع عشر : ما هو الطريق إلي الولاية ؟

الجواب :

* مادام حب الدنيا في قلبك ، لاترى شيئاً من أحوال الصالحين .. مادمت مكدراً من الخلق ، مشركا بهم ، لاتنفتح عينا قلبك . لا كلام حتى تزهد

فى الدنيا والخلق . كن مجتهدا تر ما لايراه غيرك ، تخرق لك العادة . إذا تركت ما هو فى حسابك ، جاءك ما هو فى غير حسابك . إذا اعتمدت على الحق عز وجل ، واتقيته خلوة وجلوة ، رزقك من حيث لاتحتسب .

* لاتفعل شيئاً إلا بأمر جزم من الله عز وجل .. إما بواسطة الشرع ، أو بإلهام من الله لقلبك ، مع موافقة الشرع . وإذا غضبت ، فاغضب لله ، وهذا محمود ..أما لغيره ، فمذموم . ولاتظهر الغضب لله عزّ وجلّ ، وهو لنفسك ، فتكون منافقاً .

* عليك بالصمت والحلم عن جهل الجاهل ، وثوران طباعهم .. أما إذا ارتكبوا معصية فلا صمت ، بل يصير الكلام عبادة ، وتركه معصية .. إذا قدرت علي الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فلا تقصر عنه ، فإنه باب خير قد فتح فى وجهك ، فبادر بالدخول فيه .

* لاتنظر إلى عملك ، بل تكون جوارحك تتحرك بالعمل ، وقلبك مع المستعمل .. فإذا تم لك هذا ، صار لقلبك عيون تنظر بها ، صار المعنى صورة ، والغائب حاضراً .. فإذا صلح العبد لله ، كان معه فى جميع الأحوال ، يغيره ويبدله وينقله من حال إلى حال ، يصير كله معنى ومعرفة وقربا ومشاهدة ، ويصير صفاء بلا كدر ، وقلباً بلا نفس ، وسراً بلا قلب ، وفناء بلا وجود ، غيبة بلا حضور .. كل هذا أساسه الأنس بالله عز وجل.

* قد يتصور أن يكون الخلق فى ظاهرك ، والخالق فى باطنك ، والدنيا فى يدك ، والآخرة فى قلبك .. أما فى القلب فلا يمكن أن يجتمع الاثنان ..إن أردت الدنيا ، فاخرج الآخرة من قلبك ، وإن أردت الآخرة ، فاخرج الدنيا من قلبك ، وإن أردت المولى فاخرج الدنيا والآخرة من قلبك .. لأن مادام فى قلبك ذرة مما سوى الحق عز وجل ، لاترى قربه عندك ، ولا يتحقق لك الأنس والسكون إليه .

* اطلب الحق عز وجل ، فإن يريدك فى البداية أن تكون مريداً ، وهو المراد ..

وفى النهاية ، تكون مراداً وهو المريد .. فإذا علم صدق إرادتك له أرادك ، وإذا علم صدق محبتك أحبك .. نحّ هواك وطبعك وشيطانك ، فإنك تجده، وترتفع عنك الحجب ، فترى نفسك ، وتري غيرك ، وتنظربه ما سواه، فإذا تم لك هذا ، أعطاك مالاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ويخلع عليك خلع كرامته ، ويوليك بولايته ، ويعينك ويسلطنك ويمكنك ، وفى سائر خلقه يسرحك ، يجعلك حارس قلبك ، ويُخدم لك الملائكة ، ويريك أرواح أنبيائه. فلا يخفى عليك من الخلق خافية .

* لا تحب مع الله أحداً ، إن أرادك لصحبته ، فلا تشتغل بغيره .. إن أحببت غيره حب رأفة ورحمة ولطف ، فإن ذلك جائز .. حب النفوس جائز ، أما حب القلوب فلا يجوز ، وحب السر لايجوز .. اشتغل بالله عز وجل لا بغيره ، لا تستأنس بغيره ، اجعل الخلق خارج قلبك .

تلك هى باختصار شديد ، المجاهدات المطلوبة ، لتحقيق الولاية . والله من وراء القصد ، وهو الهادى والموفق إلي سواء السبيل .

السؤال الثامن عشر : كيف يكون المريد عبدا صبورا ؟

الجواب :

* قال رسول الله ﷺ : «الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد».

معنى الصبر : أنك لاتشكو الواجد ، ولاتتعلق بسبب ، ولاتكره وجود البلية ، ولاتحب زوالها .. العبد إذا تواضع لله عز وجل في حال فقره وفاقته ، وصبر معه على مراده ، وواصل الضياء بالظلام بالعبادة والكسب، ينظر إليه بعين الرحمة ، ويغنيه ويغنى عياله من جهة لم تكن في حسابه .. ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق :٢) فإذا أنت اتبعت الشرع ، وصبرت مع الله عز وجل ، وخفت منه ورجوته ، وخالفت نفسك وهواك وشيطانك ، نقلت من هذا الذى أنت فيه إلى غيره .. أى تنقل مما تكره إلي ماتحب .

* لاتشرك بالخلق ، ولاتقبل عليهم بقلبك ، اعرض عنهم ، فليس منهم ضرر ولانفع ، ولاعطاء ولامنع .. لاتدعى توحيد الله عز وجل، مع الشرك الملازم لقلبك ، فما يقع بيدك منه شيء .. اعلم أن الأشياء كلها محركة بتحريكه ، ومسكنة بتسكينه ، إذا ثبت لك هذا ، استرحت من ثقل الشرك بالخلق ، واستراح الخلق منك ، لأنك لاتعيب عليهم ، ولاتطالبهم بشيء مما يليك، إنما تطالبهم بما طالبهم به الشرع فحسب .. تطالبهم شرعا وتعذرهم علما ، جمعا بين الحكم والحق .. وتعلم رؤية فعل الله عز وجل في الخلق عقيدة ، لاينقضى بها الحكم ، وهو المقدر وهو المطالب .. فالله غنى عن صبرك ، ولكن ينظر كيف تعمل فى دعواك ، فكيف تصبر على بلواه.
* كن بين يدى الحق عز وجل ، والآفات تنزل عليك ، وأنت قائم علي قدم محبته ، مقام لاخلق فيه ، لادنيا فيه ولاآخرة ، لاحقوق ولاحظوظ فيه . لاتكدرك رؤية الخلق ، ومؤونة العيال ، ولاتتغير بقلة ولابكثرة .. فمن صبر مع الحق عز وجل ، رأى عجائب ألطافه .
* لاتهرب من باب الحق عز وجل ، إذا ابتلاك ببلية فإنه أعرف منك بمصلحتك ، يبتليك لفائدة وحكمة . إذا ابتلاك فاثبت وارجع إلى ذنوبك ، وأكثر الاستغفار والتوبة ، واسأله الثبات والصبر عليها ، وقف بين يديه ، وتعلق بذيل رحمته ، واسأله أن يكشف ذلك عنك .. فالصبر هو موافقة الحق عز وجل فى قضائه وقدره ، الذى سبق به علمه ، ولايقدر أحد من خلقه على محوه .. والصبر أيضا هو ألا تشكو إلى أحد ، ولاتتعلق بسبب، ولاتكره وجود البلية ، ولاتحب زوالها .

بهذا يكون المريد عبدا صبورا ، والصابرون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفى الآخرة.

السؤال التاسع عشر : كيف تتحق خلوة القلب مع الله للمريد السالك؟

الجواب :

الخلق حجاب نفسك ، ونفسك حجاب قلبك ، وقلبك حجاب سرك .. فما دمت مع الخلق ، لاترى نفسك ، فإن تركتهم رأيتها عدوة لربك عز وجل ولك،

فلا تزال تحاربها ، حتى تطمئن إلى ربها عز وجل ، وتطمئن إلى وعده ، وتخاف من وعيده ، فحينئذ تزول الحجب عن القلب والسر ، ويريان مالم يرياه من قبل ، يعرفان ربهما ، ولايقفان مع شيء سواه . إذا فقدت نفسك فى حال خلوتك ، وطلبتها مع الطالبين ، حينئذ تصير خلوتك أنسا بالحق عز وجل .. وإذا تركت نفسك مع الدنيا ، وقلبك مع الآخرة ، وسرك مع المولى ، حينئذ تصير خلوتك أنسأ بالله .. والخلوة معه ، إنما تكون مع الوحدة من غيره.

فالمؤمن لايسكن أنسا بالله .. والخلوة معه ، إنما تكون مع الوحدة من غيره .. فالمؤمن لايسكن إلى هذه الدنيا ، ولا إلى مافيها . يأخذ قسمه منها ، ويتنحى بقلبه إلى الحق عز وجل ، يقف هناك حتى ينحى عنه وهج الدنيا ، ويؤذن لقلبه بالدخول عليه سفارة سره . يخرج السر إلى القلب ، والقلب إلى النفس المطمئنة ، والجوارح الطائفة فبينما هو كذلك ، إذ يغنى عياله عنه ، ويحيل بينه وبينهم ويكفيه شرور الخلق ، ويطيعهم له ، ويحيل بين قلبه وقلوبهم ، ويبقى وحده مع ربه عز وجل ، لايعرف غيره ولايرى غيره.

ولكى تتحقق خلوة القلب للحق : اذكر ربك بقلبك ألف مرة ، وبلسانك مرة.. اذكره عند مجىء الآفات بالصبر ، وعند مجىء الدنيا بالترك ، وعند مجىء الآخرة بالقبول ، وعند مجىء الحق بالتوحيد ، وعند مجىء غيره فى الجملة ، بالإعراض عنه .. إذا أرخيت العنان لنفسك ، طمعت فيك وأرمت بك، فالجمها بلجام الورع ، ودع عنك القيل والقال، واشتغل بصلاحك وتفرغ من هموم الدنيا وهوسها ، عملا بقول الرسول ﷺ : «تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم» فإن الاشتغال بهموم الدنيا يحجب القلب عن الخلوة مع الحق ، لأنه سيكون مشغولا بالكدورات التى تمنعه من استقبال الأنوار .

إذا أحكمت الإيمان وصلت إلى دار المعرفة ، ثم إلى وادى العلم ، ثم إلى وادى الفناء عنك وعن الخلق ، ثم الوجود به لابك ، ولايهم فحينئذ يزول

حزنك، فالحفظ يخدمك، والحمية تحوطك ، والتوفيق يطرق بين يديك ، والملائكة تمشى حولك ، والأرواح تأتيك وتسلم عليك ، والحق عز وجل يباهى بك الخلق ، ونظراته ترعاك ، وتجذبك إلى دار قربه .

عند الصلاة تستقبل القبلة ، وعند البلاء تستقبل قبلة أخرى ، وهى أن تستقبل بوجه قلبك الحق عز وجل ، كما استقبلت بوجهك الكعبة.. وإن استقبلت بوجهك الخلق عند الآفات كان إيمانك باطلا ، لأن البلاء عند الإيمان منكسر ، انكسار القلوب فيه كبيرة .. لكن انكسار قلوب العوام للدنيا ، والخواص لحظ الآخرة ، وخواص الخواص تنكسر قلوبهم لفوات المولى أو الحجاب بعد الكشف .

السؤال العشرون : متى وكيف يرى الصوفى الله ويسمعه ؟

الجواب :

إذا خرج الخلق من قلب العبد ، ولم يبق فيه سوى الحق عز وجل ، يريه ويقربه كما يشاء . يريه باطنا كما أرى غيره ظاهرا ، يريه كما أرى النبى ﷺ نفسه ليلة المعراج ، كما يرى هذا العبد نفسه ، ويقربه ويحدثه مناما .. قد يحدث قلبه إليه يقظة، يغمض عينى وجوده ، فيراه بعينيه كما هو عليه من حيث الظاهر ، ويعطيه معنى آخر ، فيراه به ، يرى قربه ، يرى صفاته ، يرى كراماته وفضله وإحسانه واللطف به .. أنت عبده ، وليس للعبد مع سيده اختيار ولا إرادة .

كلما صفا قلب العبد، رأى النبى ﷺ في منامه ، يأمره بشىء ، وينهاه عن شىء ، يصير مع النبى ﷺ من حيث معناه ، يتربى قلبه معه ، بين يديه ، يصير يده فى يده ، يكون النبى ﷺ هو المخاطب عنه .

الحبيب بين يديه . إخراج الكل من القلب . قلع الجبال الرواسى . الاحتياج إلى معاول المجاهدات ، والصبر على المكابدات .. قلب يحب الخالق والخلق

لايصح .. قلب يكون فيه الدنيا والآخرة لايصح .. إذا كان القلب للخالق والوجه للخلق يجوز ، لفته إليهم ، نظرا فى مصالحهم ورحمة لهم .

إذا صح القرب لعبد ، أتته الولاية والنيابة ، وعرض عليه جميع مافى الخزائن ، وتشفع له الأرض والسماء .. وهو إما يبنى لك صومعة فى البرية ، أو يقعدك فى الخراب، أو يردك إلى العمران ، ويوقف الدنيا والآخرة والجن والإنس فى خدمتك ، ثم يكثر خوفك وصومك وصلاتك وسهرك .

من صح قلبه ، يرى قلبه ربه ، ويقطع الحجب بينه وبين السماء والأسرار والهمم . فالقلب إذا قرب صار سماء ، فيها نجوم العلم ، وشمس المعرفة ، تستضىء الملائكة بهذه الأنوار .. من شرط المحبة : ترك المشيئة والإرادة . بينما أنت كذلك : إذا نطق لسانك ، واستمعت أذناك ، وفتحت عيناك ، جاءتك الألطاف وصفاء الأسرار . امتثل لأمر الله وأمر رسوله ، واعمل بهما.. مافى هذه الطريق : أنا ولانحن ولا أنت ، بل ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد :٣) .

إبراهيم بن أدهم سمع الله يقول له : يا إبراهيم .. قل : اللهم رضنى بقضائك ، وصبرنى على بلائك ، وأوزعنى شكر نعمائك ، وأسألك تمام النعمة، ودوام عافيتك ، والثبات على محبتك .

وهذا دليل على أن صفاء القلب ، يسمح برؤية وسماع الحق بلا كيف ولا أين.

السؤال الحادى والعشرون : ماهى أنواع الشرك ودواعيه؟

الجواب :

قال السيد محمد السنوسى : إن أنواع الشرك ستة وهى :

١- شرك استقلال : وهو إثبات إلهين مستقلين ، وهو شرك المجوس.

٢- شرك تبعيض : وهو تركيب إله من آلهة كشرك النصارى .

٣- شرك تقريب : وهو عبادة غير الله ، ليقرب إلى الله زلفى .. كشرك متقدمى الجاهلية .

٤- شرك تقليد : وهو عبادة غير الله تبعا للغير ، كشرك متأخرى الجاهلية.

٥- شرك أسباب : وهو إسناد التأثير للأسباب العادية ، كشرك الفلاسفةوالطبيعين .

٦- شرك الأغراض : وهو العمل لغير الله تعالى .

وحكم الأربعة الأول : الكفر بالإجماع .

وحكم السادس : المعصية من غير كفر .

حكم الخامس : التفصيل .. فمن قال : إن الأسباب العادية تؤثر بطبيعتها ، فقد حكى الإجماع على كفره . ومن قال إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها ، فهو فاسق ومبتدع ، وفي كفره قولان .. فلا فعل لغير الله تعالى، ولا مؤثر معه فى الوجود فى فعل من الأفعال ، بل هو جل وعلا الفاعل المختار.

فمن يقل : إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية كالمعتزلة ، فهو فاسق.. ومن يقل : بالتأثير بالعلة أو بالطبع كالفلاسفة فهو كافر إجماعا.. ومن يقل: إن شيئا يؤثر بقوة أودعها الله فيه ، فهو جاهل مبتدع .

قال القطب الدردير : ومن يقل بالطبع أو بالعلة : فذاك كفر عند أهل الملة.

ومن يقل بقوة مودعة : فذاك بدعى ، فلا تلتفت إليه .

وقال العارف الشرقاوى ، عند قول صاحب الحكم فى مناجاته «وطهرنى من شكى وشركى ، قبل حلول رمسى» : الشك ضيق الصدر ، عند إحساسه بأمر مكروه . فإذا ضاق ، أظلم القلب ، وأصابه الهم والحزن .. وطهارته منه بوجود ضده ، وهو اليقين ، إذ به يتسع الصدر وينشرح ، فيستنير القلب

ويجد الروح والفرح بالله تعالى . وبقدر ما يصيب من نور اليقين ، يكون انشراحه واتساعه .

والشرك : تعلق القلب بالأسباب ، عند غفلته من المسبب ، ونسيانه له .. ومبدأ ذلك : هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب ، فيفزع حينئذ إلى الأسباب التى يتوصل بها إلى بغيته ، إذ لايرى غيرها .. وطهارته منه بضده ، وهو نور التوحيد الذى يقذفه ألحق فى قلبه ، فتطمئن بذلك نفسه، وتسكن عن الشره والطيش الذي أصابها .. وكلما قوى نور التوحيد فى قلبه، كان خلاصه من الشرك أكثر .

السؤال الثانى والعشرون : هل تناول الأقسام يتعارض مع التصوف ؟

الجواب :

ليس الشأن فى خشونة ثيابك ومأكولك ، بل الشأن فى زهد قلبك .. فتناول الأقسام بيد الزهد ، لابيد الرغبة ، أى خذ الأقسام وقلبك مع الحق عز وجل ، وبذلك تسلم من شرها .. وإذا رأيت لك حسنة ، فاشكر الله ، وإذا رأيت لك سيئة ، فتب منها ، بهذا يحيا دينك ، ويموت شيطانك .

كان نبينا ﷺ دائم التفكر ، قليل الفرح ، كثير الأحزان ، قليل الضحك إلا تبسما ، تطييبا لقلب غيره .. كان فى قلبه أحزان وأشغال ، ولولا الصحابة وأمور الدنيا ، لما كان يخرج من بيته أو يقعد مع أحد .. ومع ذلك حبب إليه من الدنيا الطيب والنساء ، وجعلت قرة عينه فى الصلاة .. أحب ذلك مع زهده فيه وفى غيره ، لأن ذلك كان من قسمه ، قد سبق به علم الله عز وجل ، فكان يتناوله امتثالا للأمر ، وامتثال الأمر طاعة. فكل من يتناول أقسامه على هذه الصفة فهو فى طاعة ، وإن كان متلبسا الدنيا كلها .

واعلم أن الدنيا كلها آفات ومصائب ، والنادر منها غير ذلك . مامن نعمة إلا وفى طياتها نقمة ، وما من فرحة إلا ومعها ترحة ، ومامن سعة إلا ومعها

ضيق . فتناول أقسامك منها بيد الشرع ، لأنه هو الدواء فى تناول ما يؤخذ من الدنيا .

خذ الأقسام بيد الشرع إذا كنت مريد ، وبيد الأمر إذا كنت خاصا صديقا ، وبيد فعل الله عز وجل ، إذا كنت قانتا واصلا مقربا يساق إليك ، والآمر يأمرك وينهاك ، والفعل يتحرك فيك .. فلا تأكل إلا بشاهدين عدلين وهما : الكتاب والسنة ، ثم اطلب شاهدين آخرين وهما : قلبك وفعل الله عز وجل .. إذا أذن الكتاب والسنة وقلبك ، انتظر الرابع وهو فعل الله عز وجل.

فاخلع ثياب الشهوات والرعونات والعجب والنفاق ، وحبك للقبول عند الخلق وإقبالهم عليك وعطاياهم لك . اخلع ثياب الدنيا ، والبس ثياب الآخرة ، انخلع من حولك وقوتك واستطرح بين يدى الحق عز وجل بلا حول ولاقوة ولاقوف مع سبب ، ولاشرك بشىء من المخلوقات .. فإذا فعلت هذا ، رأيت ألطافه حواليك ، تأتيك رحمته تجمعك ، ونعمته ومنته تكسوك وتضمك إليها ، اهرب إليه ، انقطع إليه عريانا بلا أنت ولاغيرك . سر إليه منقطعا منفصلا عن غيره . سر إليه متفرقا مفارقا بقلبك كل الشهوات والأهواء ، حتى يحميك ويوصلك بقوى ظاهرك وباطنك ، حتى لو أغلق الأكوان عليك ، وحملك جميع الأثقال ، لايضرك ذلك ، بل يحفظك فيه .

فمن أفنى الخلق بيد توحيده ، وأفنى الدنيا بيد زهده ، وأفنى ماسوى الله بيد الرغبة ، فقد استكمل الصلاح ، وحظى بخيرى الدنيا والآخرة.



من تراث الصوفية

إن الكتب التى تركـهـا لنا العـارفـون بالله ، أوليـاء الله الصـالحـون المتصـوفون، أكثر من أن تعد أو تحصى ، حيث يسجلون فيـها مافـتح الله عليهم به من أنوار الحق والعلوم اللدنية ، والحقائق العلية .. فيكتبون بكل الإخلاص ، مايحاولون به إخراج إخوانهم من الظلمات إلى النور ، ويكون لهم ذخيرة عند ربهم ، تضاف إلى حصيلة جهادهم ، وينالون به بعد مماتهم الأجر والثواب عن علم ينتفع به .

ولقد اخترنا نموذج لتلك الكتب التى تعتبر من تراث الصوفية حقا ، داعين المولى عزَّ وجلَّ أن ينتـفع بـه السـالكون على الطريق ، فى جهـاد نـفـوسـهم ، ومعراج قلوبهم ، للوصول إلى معرفة ربهم ، وصحبة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

الفتح الربانى - رسائل لسيدى عبدالقادر الجيلانى

* الدنيا دار حكمة ، والآخرة دار قدرة ، الدنيا تحتاج إلى أسباب وآلات ، والآخرة لاتحتاج إلى ذلك . ياعابد الخلق والأسباب ، ناسيا الحق عز وجل ، تريد أن يقع بيديك هذا ، مع أنت فيه لا كرامة لك ولاعزازة . اسلم وتب . قصر أملك ، واهجر أقران السوء .

* العارف له عينان ظاهرتان ، وعينان باطنتان .. فيرى بالعينين الظاهرتين: ماخلق الله عز وجل فى الأرض .. ويرى بالعينين الباطنتين : ماخلق الله عز وجل فى السماوات .. والموحد حقا : عند قوة توحيده ، لايبقى له أب ولا أم ولا أهل ولاصديق ولاعدو ولامال ولاجاه ولاسكون إلى شيء.. فى الجملة لايبقى له سوى التعلق بالله وباب الحق .. المؤمن غريب فى الدنيا مسجون فيها ، وإن كان في سعة من الرزق . فهو فى سجن الباطن : بشره وسروره فى وجهه ، وحزنه فى قلبه ، عرف الدنيا فطلقها.

* الخير كله بيده ، والعطاء والمنع بيده ، والفقر والغنى بيده ، مالأحد معه شيء، فالعاقل من يلزم بابه، ويعرض عن باب غيره .. يامدبر : أراك ترضى الخلق وتسخط الخالق ، تخرب آخرتك بعمارة دنياك .. الدنيا محبوبة النفس، والآخرة محبوبة القلب ، والحق عز وجل محبوب الأسرار .
* اتق الله فإن التقوى مفتاح لكل باب ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق :٢) .. لاتعارض الحق فى نفسك ، ولافى أهلك ، ولا فى مالك وأهل زمانك .. أما تستحى أن تأمره أن يغير ويبدل؟! أأنت أحكم منه، وأعلم منه ، وأرحم منه ؟ أنت والخلق كلهم عباده . هو مدبرك ومدبرهم . وفى الحديث الشريف : «من جملة عقوبات الله تعالى لعبده : طلب مالم يُقسم له» .. دع عنك طلب ماقسم ومالم يقسم ، فإن طلبك لما قد قسم تعب ، وطلبك لما لم يقسم مقت.

المؤمن يستر حزنه ببشره - ظاهره يتحرك في الكسب ، وباطنه ساكن إلى ربه عز وجل - ظاهره لعياله وباطنه لربه عز وجل - لايفشى سره إلى أهله وولده وجاره .

وفى الحديث الشريف : «بشر المؤمن فى وجهه ، وحزنه فى قلبه» .

هذا من كونه قدر على أن يظهر البشر فى وجوه الخلق ، ويكتم الحزن فيما بينه وبين الله عز وجل - همه دائم - كثير التفكر ، كثير البكاء ، قليل الضحك.

* إن الله لايبتلى المؤمن إلا لمصلحة تعقب ذلك ، إما دنيا وإما آخرة .. فهو راض بالبلاء ، رضاء عليه ، غير متهم ربه عز وجل .. وجاء فى الحديث: « إن الله لايعذب حبيبه ، ولكن قد يبتليه» .

لاتنازع المقدر والقدرة - لاتقنع بعطايا الخلق ، عن عطايا الحق - اثبت ووافق القدر والقضاء فيما لك وعليك «كما تدين تدان - كما تكونوا يُولَّ عليكم» .

* أعمالكم عمالكم - الحق ليس بظلام للعبيد - اخدم الحق عز وجل ، ولاتشتغل عنه بخدمة السلاطين ، الذين لايضرون ولاينفعون .. ماذا يعطونك؟ أيعطونك مالم يقسم لك ؟ لاشيء يستأنف من عندهم .. لاتفسد آخرتك بدنياك ، كيف تفسد طاعة مولاك عز وجل بطاعة نفسك وهواك وشيطانك والخلق ؟ أما تعلم أن الله عز وجل حافظ للمتقين ، وناصر لهم، وآخذ بأيديهم ، وينجيهم من المكاره؟

من استغنى بالله عز وجل : احتاج إليه كل شيء .. وهذا شيء لايجيء بالتحلي والتمني ، ولكن بشيء وقر في الصدور ، وصدقه العمل.

* ليكن الخرس دأبك ، والخمول لباسك ، والتهرب من الخلق كل مقصودك، وإن قدرت أن تنقب فى الأرض سربا تختفى فيه فافعل .. يكون هذا دأبك، إلى أن يترعرع إيمانك ، وتقوى قدم إيقانك، وتنفتح عينا قلبك .. فحينئذ أطلق لسانك فى الكلام ، واخلع لباس الخمول ، واترك الهرب من الخلق ، واخرج إليهم ، فإنك دواء لهم .. لاتبالى بإقبالهم وإدبارهم ، وحمدهم وذمهم، فأنت مع ربك عز وجل .

لافلاح لك ، حتى تخلع الأرباب ، وتقطع الأسباب ، وتترك رؤية الخلق في النفع والضر.

* متى تقوم من الحكمة إلى القدرة ؟ متى يوصلك عملك بالحكمة إلى قدرة الله عز وجل؟ متى يوصلك إخلاصك فى أعمالك إلى باب قربك من ربك عز وجل ؟ لاتهرب من الحق من أجل بلائه ، إنما يبتليك ليعلم هل ترجع إلى السبب وتترك بابه أم لا ؟ هل ترجع إلى الظاهر أم إلى الباطن ؟ إلى مايدرك أم إلى ما لايدرك؟

* حصّل الرفيق قبل الطريق ، والجار قبل الدار ، والأنيس قبل الوحشة، والحمية قبل المرض ، والصبر قبل البلية ، والرضا قبل القضاء .. كن مع الله صامتا عند مجيء قدره وفعله ، حتى ترى منه ألطافا كثيرة .

* انفرد بقلبك مع الحق عز وجل بما يعلم ، وشارك الخلق فى العلم بالحكم، لاتخالفهم فى خصلة منه ، حتى لايكون له ولهم عليك حجة .. أى تكون مع ربك بباطنك ، وتكون مع الخلق بظاهرك ..

إن لم تطعك نفسك فيما تريد من طاعة الله عز وجل ، فعاقبها بسياط الجوع والعطش والذل والعرى والخلوة .. فنفسك إن لم تركبها ركبتك.

* لافلاح لقلبك وفيه أحد غير الله عز وجل .. لاينفعك إظهار الزهد فى الأشياء ، مع إقبالك عليها بقلبك .. أما تستحى أن تقول بلسانك : توكلت على الله ، وفى قلبك غيره ؟!

لاتغتر بالعلماء ! فإنهم علماء بحكم الله ، جهال بذاته .

* لا تيأس من رحمة الله عز وجل ، بمعصية ارتكبتها ، بل اغسل نجاسة ثوب دينك ، بماء التوبة والثبات عليها ، والإخلاص فيها .. واعلم أنك كيفما التفت ، فالسباع حولك ، والأذايا تقصدك .. تحول عنها ، ارجع إلى الحق عز وجل بقلبك .

* لا تأكل بطبعك وشهوتك وهواك .. لا تأكل إلا بشاهدين عدلين : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ثم اطلب شاهدين آخرين ، هما : قلبك وفعل الله عز وجل .. إذا أذن الكتاب والسنة وقلبك ، فانتظر الرابع : وهو فعل الله عز وجل.

* لاتكن كحاطب الليل ، يحطب ولايدرى مايقع بيده .. هذا شىء لاتحصل عليه بالتمنى والتحلى ، والتكلف والتصنع ، ولكن هو شىء وقر فى الصدر ، وصدقه العمل.. أى عمل العمل الذى أريد به وجه الله عز وجل.

* العافية فى ترك طلب العافية ، والغنى فى ترك طلب الغنى ، والدواء فى ترك طلب الدواء .. كل الدواء فى التسليم إلى الحق تعالى ، وقطع الأسباب ، وخلع الأرباب من حيث قلبك .. الدواء فى قصد الله بالقلب لا باللسان.

* كل همك فى استجلاب الخلق إليك ، فأنت فى هوس وتكلف ورياء ونفاق.. ألا تعلم أنك كلما خطوت بقلبك خطوة إلى الخلق ، بعدت عن الحق عز وجل ؟ .. تدعى أن قلبك قد خرج من الخلق ، وأنت تخافهم وترجوهم .. ظاهرك الزهد ، وباطنك الرغبة ، ظاهرك الحق ، وباطنك الخلق.

* اعمل ، ثم انفرد فى خلوتك عن الخلق ، واشتغل بمحبة الحق عز وجل.. فإذا صح لك الانفراد والمحبة، قربك إليه ، وأدناك منه ، وأفناك فيه .. ثم إن شاء ، يظهرك للخلق ، ويردك إلى استيفاء الأقسام (أى ما قُسم لك) وأظهر أمرك للخلق ، فتكون بينهم به لابك ، تستوفى أقسامك ، مع عدم شؤم النفس والطبع والهوى ، أى تستوفى ماقسم لك ، وقلبك مع الحق عز وجل.

* اسمع: الحق هو الحق عز وجل ، والباطل هو الخلق .. الحق فى القلوب والأسرار والمعانى ، والباطل فى النفوس والأهواء والطباع والدنيا ، وماسوى الحق عز وجل .. هذا القلب لايفلح ، حتى تتصل بقرب الله تعالى .. القلب الصادق يسافر عن الخلق إلى الخالق ، يرى فى الطريق الأشياء ، يسلم عليها ويجود .. نح همتك عن هذه الأشياء كلها ، فإن كان لك فيها قسمة ، فإنها تجيئك فى وقتها ، وقلبك مستريح من تعب الانتظار ، وثقل الحرص .. فما لك وهذا التعب ، فى شىء مفروغ منه؟

* الصدِّيق صبر على كسر أغراضه ، ورُدَّ فى جميع أحواله : كان يدعو فلا يستجاب له ، يسأل فلا يعطى سؤله ، يشكو فيزداد مما شكا منه ، يطلب الفرج فلا يجده ، يتقى ولايرى مخرجاً ، يُوَحِّد ويخلص فى أعماله ، فلا يرى قربا من العامل له ، كأنه ليس بمؤمن ولاموحد .. ومع هذا كله كان مداريا ، صابرا فى مداراة هذه الأشياء .. علم أن صبره دواء لقلبه ، وسبب لصفائه وتقريبه ، وأن الخير يأتيه بعد هذا الاختبار .

* كل البلايا والأمراض تنتج عن : شركك بالخلق ، ورؤيتهم فى الضر والنفع والمنع والعطاء .. وكل الدواء وزوال البلاء : فى خروج الخلق من قلبك، وعزمك عند نزول الأقدار والأقضية ، وأن لاتطلب الرياسة على الخلق ، والعلو عليهم ، وأن يتجرد قلبك لربك عز وجل .

* يامشغول بالدنيا ! غنى الدنيا عندى ، والأرباح عندى ، ومتاع الآخرة عندى .. كل من اطلع على كرم الله لاتجد عنده بخلا ، كل من عرف الله عز وجل ، هان عنده ماسواه .. البخل من النفس ، ونفس العارف ميتة ، بالإضافة إلى نفوس الخلق .. هى مطمئنة ساكنة إلى وعد الله عز وجل ، خائفة من وعيده .

* ما أنت على شىء من الإسلام .. الإسلام يبنى على شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنت تقولها وتكذب .. فى قلبك جماعة من الآلهة : خوفك من سلطانك ووالى بلدك آلهة - اعتمادك علي كسبك وربحك وحولك وقوتك وسمعك آلهة - رؤيتك للضر والنفع والعطاء والمنح من الخلق آلهة .. كثير من الخلق متكلون على هذه الأشياء بقلوبهم ، ويظهرون أنهم متكلون على الحق عز وجل .

* إذا قلت لا إله إلا الله ، فقلها أولا بقلبك ، ثم بلسانك .. واتكل عليه ، واعتمد عليه دون غيره .. اشغل ظاهرك بالحكم ، وباطنك بالحق عز وجل .. اترك الخير والشر على ظاهرك ، واشتغل بباطنك مع خالق الخير والشر.

المؤمن له نية صالحة فى جميع تصاريفه ، لايعمل فى الدنيا للدنيا ، يبنى فى الدنيا للآخرة يعمر المساجد والقناطر والمدارس .. يفعل ذلك حتى يُبنى له فى الآخرة بدله ، أى لايبنى لطبعه وهواه ونفسه .

* لاتغتر بطاعتك وتعجب بها . اسأل الحق سبحانه وتعالى قبولها ، واحذر وخف أن ينقلك إلى غيرها . من عرف الله عز وجل لايقف مع شىء ، ولايغتر بشىء .. لا يأمن حتى يخرج من الدنيا على سلامة دينة ، وحفظ مابينه وبين الله عز وجل .

* عليكم بأعمال القلوب وإخلاصها ، والإخلاص الكامل هو ترك ماسوى الله عز وجل.. لكم أقوال بلا أفعال ، وأفعال بلا إخلاص ولاتوحيد .. العارف المحب لايحب الدنيا ولا الآخرة ، ولا ماسوى الحق عز وجل .. إذا تم حبه له وتحقق ، آتته أقسامه من الدنيا مهنأة مكفاة .. وكذلك إذا وصل إلى الآخرة ، فجميع ماتركه وراء ظهره ، يراه عند باب الحق عز وجل ، قد سبقه إلى هناك ، لأنه تركه لوجه الله عز وجل .. فهو يعطى أولياءه أقسامهم من الأشياء ، وهم فى معزل عنها .

* حظوظ القلب باطنة ، وحظوظ النفس ظاهرة .. حظوظ القلب لاتأتى إلا بعد منع النفس حظوظها ، فإذا امتنعت ، انفتحت أبواب حظوظ القلب .. حتى إذا استغنى القلب بحظوظه من الحق عز وجل ، جاءت الرحمة للنفس. يقال لهذا العبد : لاتقتل نفسك ، فيأتيها حينئذ حظوظها ، فتتناولها وهى مطمئنة .

* اعمل لوجه الله عز وجل ، لا لنعمة .. كن مع الذين يريدون وجهه ، اطلب وجهه حتى يعطيك ، فإذا أعطاك ذلك ، حصل لك الجنة فى الدنيا والآخرة فى الدنيا : القرب منه ، وفى الآخرة : النظر إليه .. لاتغتر بالأعمال ، عليك بسؤال الحق أن يصلح خاتمتك .

اجتهد أن لاتؤذى أحدا ، وأن تكون نيتك صالحة لكل أحد ، إلا من أمرك الشرع بأذيته ، فأذيتك له عبادة .

* من صح نظره ، نظر بعينى رأسه إلى الخلق ، وبعين قلبه إلى فعل الله عز وجل فيهم . يرى تحريكه وتسكينه لهم ، فهذا نظر العز .. من أولياء الله عز وجل ، من إذا نظر إلى شخص ، رأى ظاهره بعين رأسه ، وباطنه بعين قلبه ، ومولاه عز وجل بعينى سره .. إذا جاءه القدر وافقه ، إن حمله إلى البر أو البحر أو السهل أو إلى الجبل ، أطعمه حلوا أو مرا ، وفقه فى العز والذل والغنى والفقر .. مشى مع القدر ، حتى إذا علم القدر أنه قد تعب ،

نزل وأركبه مكانه ، وصار ركابا له ، وخدمه وتواضع له ، لقربه من الله عز وجل ، وكرامة له .. وكل ذلك لمخالفته لنفسه وهواه ، وطبعه وعاداته وشيطانه .. الهم ارزقنا موافقة قدرك فى جميع الأحوال .

* محبة الله عز وجل ليست هينة ، شرطها أن لاتكون لك إرادة مع محبوبك، وأن لاتشتغل عنه بدنيا ولا آخرة ولاخلق .. ولاتحقر أحدا من المسلمين ، فإن أسرار الحق عز وجل مبذورة فيهم .. تواضع فى نفسك ، ولاتتكبر على عباد الله عز وجل .

* الرزق مقسوم ، لايزيد ولاينقص ، ولايتقدم ولايتأخر .. أنت شاك فى ضمان الحق عز وجل ، وحريص على طلب مالم يقسم لك .. حرصك قد منعك عن الحضور عن العلماء ، ومشاهد الخير .. كل من اعتمدت عليه فهو الرب، وكل من خفته أو رجوته ، فهو إليك .. كل من رأيته فى ضر أو نفع فهو إليك، ولم تر أن الحق عز وجل مجرى ذلك على يديه ، وعن قريب يأخذ الحق منك سمعك وبصرك ومالك ، وكل ما اعتمدت عليه دونه، ويقطع بينك وبين الخلق ، ويقسى قلوبهم عليك ، ويعزلك عن عملك، ويغلق الأبواب فى وجهك ، يردك من باب إلى باب ، ولايعطيك لقمة ، وإذا دعوته لايجيبك.. كل ذلك لشركك به ، واعتمادك على غيره، وطلبك نعمة من غيره .. تب إلى الله ، لكى تتدارك أمرك .

* المريد الصادق فى إرادته الحق تعالى ، فى بداية أمره يضيق عن رؤية الخلق، وعن سماع كلمة منهم ، وعن رؤية ذرة من الدنيا .. يكون قلبه تائها ، وعقله غائبا ، وبصره شاخصا ، ولايزال كذلك حتى تقع يد الرحمة على رأس قلبه ، فيأتيه السكون ، ويستنشق رائحة القرب من ربه عز وجل .. وإذا تمكن في توحيده وإخلاصه ، ومعرفته بربه ، جاءه الثبات واتساع الخلق ، وتأتيه القوة من الله تعالى ، فيحمل أثقالهم من غير كلفة، ويكون كل شغله فى مصالحهم ، وهو لايشتغل عن ربه طرفة عين .

* الدنيا حجاب عن الآخرة ، والآخرة حجاب عن رب الدنيا والآخرة .. كل مخلوق حجاب عن الخالق عز وجل .. مهما وقعت معه فهو حجاب لك ، لاتلتفت إلى الخلق ولا إلى الدنيا ، ولا إلى ما سوى الحق عز وجل ، حتى تأتى إلى باب الحق عريانا عن الكل ، متحيرا فيه ، مستغيثا إليه ، مستعينا به ، ناظرا إلى سابقته وعلمه .. فإذا قربك وأدناك ، وولاك على القلوب ، وأمرك عليها ، فحينئذ التفت إلى الخلق والدنيا ، فيكون التفاتك إليهم نعمة فى حقهم ، وأخذك للدنيا من أيديهم وردها إلى فقرائهم ، عبادة وطاعة وسلامة .

* حديث : «إن هذه القلوب لتصدأ ، وإن جلاءها قراءة القرآن وذكر الموت وحضور مجالس الذكر» .

من تمكن من قلبه حب الدنيا ، زال ورعه ، فيجمعها من حلال وحرام ، يزول تمييزه فى جمعه ، يزول حياؤه من ربه عز وجل ومراقبته .. الأعمال لها أرواح وهى الإخلاص ، فلا تعمل عملا بلا روح .

* كل ما تناوله الرسول ﷺ كان امتثالا للأمر ، وامتثال الأمر طاعة .. فكل ما يتناوله على هذه الصفة ، فهو فى طاعة ، وإن كان متلبسا بالدنيا كلها .. وكذلك أولياء الله : فإنهم متناولون من الدنيا بالأمر ، لا بالهوى . عندهم شدة فى حب الله ، والشوق إليه ، والزهد فيما سواه ، وإعراض الظاهر والباطن عن الكل ، ولكن لهم أقسام، قد سبق بها العلم ، لابد لهم من تناولها ..

* مت عن الكلام ، فإن الحق عز وجل إذا أرادك لأمر ، هيأك له ، إذا شاء أنشرك وأهلك وأثبتك ، يكون هو المظهر لا أنت .. سلم نفسك وأحوالك إلى قدره ، واشتغل بالعمل له ، كن عملا بلا كلام ، إخلاصا بلا رياء ، باطنا بلا ظاهر ، واشتغل بالباطن .. أن تخاطب الحق عز وجل «إياك نعبد وإياك نستعين» هذا خطاب لحاضر .. إياك حاضر عندى - ياعالما بى قريبا منى -ياشاهدا على .. خاطبه في صلاتك بهذا المعنى .

* العارف يصحب الحق عز وجل بلا اعتراض ولامنازعة . يصحبه مع حسن الأدب ، وسكون الظاهر والباطن ، والموافقة الدائمة ، كل من وافق القدر ، دامت له الصحبة مع الحق عز وجل .. العارف بالله قائم معه لامع غيره.

* إذا تكلمت فتكلم بنية صالحة ، وإذا سكت فاسكت بنية صالحة .. كل من لم يقدم النية قبل العمل فلا عمل له .. تواضع لربك عز وجل ، وذل له ، ولاتكفر بنعمة ، ولاتتغير بتغير الأحوال ، وضيق الأرزاق ، كأنك جبار تتحكم على الحق عز وجل .. فهذا سوء أدب مع الله .

* الدنيا حكمة ، والآخرة كلها قدرة .. اهرب من الفاسقين والمنافقين ، والتحق بالصالحين الصديقين ، وإذا أشكل عليك الأمر ، ولم تفرق بين الصالح والمنافق ، فقم من الليل ، وصل ركعتين ، ثم قل : «يارب دلنى على الصالحين من خلقك . دلنى على من يدلنى عليك ، ويطعمنى من طعامك ، ويسقينى من شرابك ، ويكحل عينى قربى بنور قربك ، ويخبرنى بما رأي عيانا لاتقليدا» .

* لاتخف جنيا ولا إنسيا ولا ملكا ، ولاتخف شيئا من الحيوانات ، ولاتخف من عذاب الدنيا ولامن عذاب الآخرة ، وإنما خاف من المعذب بالعذاب.

* لاتتهم ربك فى فعله . الذى أنزل الماء ، هو الذى ينزل الدماء ، هو أعرف بما يصلحك من غيره . نفسك أولى بالتهم واللوم من غيرها .. قل لها : العطاء لمن أطاع ، والعصا لمن عصى .

* إذا أراد الله عز وجل بعبد خيرا سلبه ، فإن صبر ، رفعه وطيبه ، وأعطاه وأقناه اللهم إنا نسألك القرب منك بلا بلاء . اللهم الطف بنا فى قضائك وقدرك ، واكفنا شر الأشرار وكيد الفجار ، واحفظنا كيف شئت وكما شئت، نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة . ونسألك التوفيق للأعمال الصالحة ، والإخلاص فى الأعمال .. آمين .

* يامن يطلب الدنيا من أبنائها ، ويذل لها ، قد أضلك ذلك على علم ، ذهبت بركة عملك . وأنت يامن يدعى العبادة ، وقلبه يعبد الخلق ويخافهم

ويرجوهم . ظاهر عبادتك لله عز وجل ، وباطنها للخلق ، كل طلبك وهمك لما بأيديهم ، ترجو حمدهم وثناءهم ، وتخاف ذمهم وإعراضهم ، تخاف منهم وترجو عطاءهم، بكثرة تماديك وتخادعك ، ولين كلامك على أبوابهم.

* تقف فى الصلاة وتقول : الله أكبر ، وأنت كاذب على الله ، والخلق فى قلبك أكبر من الله عز وجل . تب إلى الله ، ولاتعمل حسنة لغيره ، لا للدنيا ولا للآخرة . كن ممن يريد وجهه ، اعط الربوبية حقها ، ولاتعمل للحمد والثناء.

* اجعل دكانك ومالك لعيالك ، تكسب لهم بأمر الشرع ، ويكون قلبك متوكلا على الله عز وجل .. اطلب رزقك ورزقهم منه ، لامن المال والدكان، فيجرى رزقك ورزقهم على يدك ، ويجعل فضله وقربه والأنس به لقلبك . يغنى عيالك عنك ، ويغنيك به ، يغنيك بما شاء وكيف شاء .

* اغلق باب قلبك ، وأيئس الكل من الدخول إليه ، وأنزل فيه ذكر الحق عز وجل فقط ، وتب توبة فى أثر توبة من أعمالك ، وأكثر البكاء على ماكان منك ، وواس الفقراء بشىء من مالك ، لاتبخل فعن قريب تفارقه.

* شقى أم سعيد ؟ معلوم أن هذا فى علم الله عز وجل وسابقته . لكن لاتترك الخوف وتتكل على العلم والسابقة ، فتمرق عن حد الشرع . فاجهد فى فعل ما أمرت به ، وماعليك من هذا العلم السابق ، فإنه من جملة الغيوب.

* الدنيا كلها حكمة وعمل ، والآخرة كلها قدرة ، فهذه مبنية على الحكمة، وتلك مبنية على القدرة، فلا تترك العمل فى دار الحكمة ، ولاتعجز قدرته فى دار القدرة . اعمل فى دار الحكمة بحكمته ، ولاتتكل على قدرته ، لاتجعل القدر عذرا لنفسك ، فإنها تحتج به ، وتترك العمل . العذر بالقدر حجة الكسالى ، إنما يكون العذر بالقدر فى غير الأوامر والنواهى .

* اشتغل بنفسك . انفع نفسك ثم غيرك ، إذا أرادك الحق لأمر هيأك له ، فإن أرادك لنفع الخلق ردك إليهم ، وأعطاك ثباتا ومداراة لهم ، وقوة على

معاناتهم .. ويوسع قلبك للخلق ، ويشرح صدرك ، ويقذف فيه الحكم ، ويلاحظ باطنك ، ويسر إلى سرك ، فحينئذ يكون هولا أنت .. أما سمعت قوله عز وجل : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (صٓ :٢٦)

اعتبر قوله تعالى : «إنا جعلناك خليفة ، ولم يقل : «أنت جعلت نفسك» فالقوم لا إرادة لهم ولا اختيار ، بل هم فى مجرد أمر الحق عز وجل وتدبيره وإرادته.

* إذا أحبك الله وملائكته ، أحبك جميع الخلق ، سوى الكافرين والمنافقين، فإنهم لايوافقون الله عز وجل فى حبك ، كل من فى قلبه إيمان يحب المؤمن، وكل من فى قلبه النفاق يبغضه .

* المؤمن الموقن العارف فى معزل عن الخلق بقلبه وسره ومعناه ، يصل إلى حالة لايقدر أن يدفع عن نفسه ضرا ولانفعا يجلب إليها ، يصير مستطرحا بين يدى الحق عز وجل ، لايبقى له حول ولاقوة .. فإذا صح له هذا ، جاءه الجبر من كل جانب .

* لاتزاحم القوم بمجرد الدعوى والتخلى والتمنى ، مايجىء من هذا شىء، لاكلام حتى تعمى عن الأسباب ، لا كلام حتى ترضى وتنقطع رجلاك عن السعى إلى أبواب الناس . لاكلام حتى ينقلب قلبك وعقلك ووجهك عن الخلق إلى الخالق ، فيصير ظهرك إلى الخلق ، ووجهك إلى الحق .. هذا أمر يتعلق بالقلوب والأسرار والمعانى لا بالصور .

* لا إيمان لك ، وعلى وجه الأرض من تخافه وترجوه .. لازهد لك ، وفى الدنيا شىء تريده . لاتوحيد لك ، وأنت ترى غيره في طريقك إليه .. اترك شهواتك تحت أقدامك ، واعرض عنها بكل قلبك ، وإن كان لك شىء منها ، فى سابقة علم الله عز وجل ، فهو يجيئك فى وقته ، لأن السابقة لايصح الزهد فيها ، وعلم الله عز وجل لايتبدل ولايتغير.

* من أراد أن يحصل له الرضا بقضاء الله عز وجل ، فليدم ذكر الموت ، فإن ذكره يهون المصائب والآفات . واسكت ووافق ، واطلب من الله الرضا

بأفعاله ، والشكر فى سائر الأحوال ، فسعة الرزق فتنة مع عدم الشكر، وضيق الرزق فتنة مع عدم الصبر .

* جميع ما أنت فيه هوس ، تفرد عما أنت فيه جميعه ، بقلبك وسرك وباطنك . فالدنيا إلى أمد معلوم ، والآخرة إلى أبد غير معلوم .. اجهد أن يكون كلك طاعة . المعصية وجود النفس ، والطاعة فقدانها .. تناول الشهوات يعنى وجود النفس ، والامتناع عنها يعنى فقدانها . امتنع عن الشهوات ولاتتناولها إلا بموافقة لقدر الله تعالى ، لا باختيارك وشهواتك تناول الشهوات بيد الزهد فيها قهرا وجبرا .

* اعتقاد العارفين لكتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله ﷺ : أن السيف لايقطع بطبعه ، بل الله عز وجل يقطع به ، وأن النار لا تحرق بطبعها ، بل الله عز وجل المحرق بها ، وأن الطعام لايشبع بطبعه ، بل الله عز وجل يشبع به.. وهكذا جميع الأسباب على اختلاف أجناسها ، الله عز وجل هو المتصرف فيها ، وهى آلة بين يديه ، يفعل بها مايشاء ، فهو الفاعل على الحقيقة .. فلم لاترجعون إليه فى جميع أموركم وتلزمون التوحيد في جميع أحوالكم؟

* لاتكثر القعود مع الجيران والأصدقاء والمعارف بغير سبب ، فإن ذلك هوس. وأكثر ما يجرى الكذب والغيبة بين اثنين ، والمعصية بين اثنين .. لايخرج أحدكم من بيته إلا من أجل مالابد منه من مصالحه ، ومصالح أهله اجتهد أن لاتبدأ بالكلام ، بل يكون كلامك جوابا .

* عليك بخويصة نفسك عند ضعف إيمانك ، ماعليك من أهلك وجيرانك وأهل بلدتك .. فإذا قوى إيمانك ، فابرز إلى أهلك وولدك ، ثم إلى الخلق.. لاتبرز إليهم إلا بعد أن تتذرع بدرع التقوى ، وبيدك سيف التوحيد .. قصر أملك ، وقلل حرصك . صلِّ صلاة مودع ، لاينبغى لمؤمن أن ينام إلا ووصيته مكتوبة تحت رأسه ، فإن أيقظه الحق فى عافية ، كان

مباركا ، وإلا فإنه جحد أهله الذين قد ينتفعون بتلك الوصية بعد موته.. بهذا يكون أكلك ووجودك كله ورع.

* إن آحاد من الخلق ، يطلعون على مايكون لهم ومنهم فى أى وقت يموتون ، وهو مخزون فى قلوبهم ، يرون ذلك عيانا كما نرى الشمس ، لاتعبر عنه ألسنتهم . أول مايطلع على ذلك السر ، ويطلع السر القلب ، ويطلع القلب النفس المطمئنة ، بعد تأدبها وخدمتها للقلب .

* اغلق باب منة الخلق ، وقد فتح لك باب منة الحق .. ادخل هذا الباب المفتوح ، اصحب السبب بالسنة ، إحياء لشرع نبيه ﷺ ، ثم تقدم إلى المسبب ، باتباع النبى ﷺ فى حاله ، فالكسب سنته ، والتوكل حالته ، ثم إن قدرت أن تفنى عنك فافعل ، لامع السبب ولامع الحال ، متوجها للحق، يكفيك ويرفعك ويقربك ، بل ويعطيك مالاتعرف مسلما لأمواج قدره، أينما سقطت لقطت فضل الله عز وجل ، أينما توجهت فثم وجه الله .

* الزاهد من زهد فى الحلال ، أما الزهد فى الحرام فواجب .. خالط الناس بالدعاء ، ووافقهم وعاشرهم بالدعاء ، وقلبك بارد ناظر إلى وعد الله .. ازهد في مشيئتك لتظفر بمشيئة الله عز وجل .

* نم تحت ميزاب القدر ، متوسدا بالصبر ، متقلدا بالموافقة ، عابدا بانتظار الفرج . عليك بالتقوى ، وعليك بالتزام حدود الشرع ، ومخالفة النفس والهوى والشيطان وأقران السوء .. خراب معظم الناس مع الزلات ، وخراب الزهاد مع الشهوات ، وخراب الأبدال مع الفكر والخواطر فى الخلوات ، وخراب الصديقين فى اللحظات ، شغلهم حفظ قلوبهم ، لأنهم قيام على باب الملك ، هم قيام فى مقام الدعوة .

* نفسك منافقة كاذبة كافرة فاجرة مشركة .. كيف تقف معها ؟ خالفها ولاتوافقها ، قيدها ولاتطلقها ، اقمعها بالمجاهدات .. أما الهوى فاركبه،

ولا تجعله يركبك .. والطبع فلا تصحبه ، فإنه طفل صغير لاعقل له .. والشيطان عدوك وعدو أبيك آدم ، كيف تسكن إليه وتقبل منه ، وبينك وبينه دم وعداوة قديمة ؟ لا تأمن منه .. اجعل التقوى سلاحك ، والتوحيد لله عز وجل، والمراقبة له والورع في الخلوات ، والصدق والاستعانة بالله عز وجل جندك .

* لايكن همك ما تأكل وماتشرب وماتلبس وماتنكح وماتسكن وماتجمع.. كل هذا هم النفس والطبع .. فأين هم القلب والسر ، وهو طلب الحق عز وجل؟ فليكن همك ربك عز وجل وماعنده ، فالدنيا لها بدل وهو الآخرة ، والخلق لهم بدل ، وهو الخالق عز وجل .. كلما تركت شيئا من هذا العاجل، أحدث عوضه، وخيرا منه في الآجل .

* إذا قلت : «لا إله إلا الله» فقد ادعيت .. يقال : أيها القائل ألك بينة؟ فالبينة هي : امتثال الأمر ، الانتهاء عن النهى ، والصبر على الآفات ، والتسليم إلى القدر .. وإذا عملت هذه الأعمال ، ماتقبل منك إلا بالإخلاص للحق عز وجل. فاغلق أبواب الخلق ، وافتح الباب بينك وبين الحق عز وجل ، واعترف بذنوبك ، واعتذر إليه من تقصيرك .. وتيقن أن: لاضار ولانافع ولامعطى ولامانع إلا هو .

* سمى الأبدل أبدالا : لأنهم لايريدون مع إرادة الله عز وجل إرادة ، ولايختارون مع اختياره اختيارا .. يحكمون الحكم الظاهر ، ويعملون الأعمال الظاهرة ، ثم ينفردون إلى أعمال تخصهم . وكلما ترقت درجاتهم ومنازلهم ، يزيدون أمرا ونهيا ، إلى أن يبلغوا إلى منزل لا أمر فيه ولانهى، بل أوامر الشرع تنفعل فيهم ، وتضاف إليهم وهم فى معزل ، لايزالون فى غيبة مع الحق عز وجل ، وإنما يحضرون فى وقت مجىء الأمر والنهى ، يحفظون فيها ، حتى لايخربون حدا من حدود الشرع .

* العافية فى ترك العافية ، والغنى فى ترك الغنى .. كل الدواء فى التسليم إلى الحق تعالى ، وقطع الأسباب ، وخلع الأرباب من حيث قلبك .. الدواء

فى توحيد الله عز وجل بالقلب لا باللسان فحسب .. التوحيد والزهد لايكونان على الجسد واللسان ، التوحيد فى القلب ، والزهد فى القلب - لاتجعل همك استجلاب الخلق إليك . فكل خطوة بقلبك إلى الخلق ، تبعدك عن الحق عز وجل .. لكى يكون ظاهرك الخلق ، وباطنك الحق : فهذا أمر لايجىء بلقلقة اللسان ، بل بالمجاهدات حتى تصل إلى حالة ليس فيها خلق ولادنيا ولا آخرة ، ولا ماسوى الله عز وجل .

* الشرع يهذب الظاهر ، والتوحيد والمعرفة يهذبان الباطن .. اطلبوا حوائجكم من الحق لا من الخلق .. وإذا كان لابد من الخلق ، فادخلوا على الحق بقلوبكم ، واخرجوا هم أرزاقكم من قلوبكم .. الإسلام هو الأساس الذى يبنى عليه الشهادة .. تقول « لا إله إلا الله » وتكذب ، لأن فى قلبك جماعة من الآلهة : خوفك من سلطانك ووالى محلتك آلهة ، اعتمادك على كسبك وربحك وحولك وقوتك آلهة ، رؤيتك الضر والنفع والعطاء والمنع من الخلق آلهة .. كثير من الخلق يتكلون على هذه الأشياء بقلوبهم ، ويظهرون أنهم متكلون على الحق عز وجل .

* القلب هو المؤمن ، هو الموحد ، هو المخلص ، هو المتقى .. إذا قلت «لا إله إلا الله» فقل أولا بقلبك ، ثم بلسانك ، واتكل عليه ، واعتمد عليه دون غيره .. اشغل ظاهرك بالحكم ، وباطنك بالحق تعالى .. اترك الخير والشر على ظاهرك ، واشتغل بباطنك مع خالق الخير والشر .. من عرفه ذل له، وكل لسانه بين يديه ، وتواضع له ولعباده الصالحين .

* المؤمن له نية صالحة فى جميع تصاريفه ، لايعمل فى الدنيا للدنيا، بل يبنى فى الدنيا للآخرة . يعمر المساجد والقناطر والمدارس ، ويصلح طرق المسلمين .. يفعل ذلك حتى يبنى له في الآخرة بدله .. لايبنى لطبعه وهواه ونفسه .. إذا صح ابن آدم كان مع الحق عز وجل في جميع أحواله ، يصير فقده بالله ، ووجوده بالله .

* لاتهتم برزقك ، فإن طلبه لك أشد من طلبك له . إذا حصل لك رزق اليوم، فدع عنك الاهتمام برزق الغد .. لو عرفت الحق لاشتغلت به عن طلب

الرزق ، لأن هيبتـه تمنعك عن الطلب منه ، لأن من عـرف الله عز وجل كل لسانه.

* الدنيا حجاب عن الآخرة ، والآخرة حجاب عن رب الدنيا والآخرة .. كل مخلوق حجاب عن الخالق عز وجل ، مهما وقفت معه ، فهو حجاب لك . لاتلتفت إلى الخلق ولا إلى الدنيا ، ولا إلى ماسوى الحق عز وجل ، حتى تأتى إلى باب الحق عـز وجل بأقـدام سرك ، وصحـة زهدك فـيـما سـواه ، مستعينا به ، ناظرا إلى سابقته وعلمه .. فإذا تحقق وصـول قلبك وسرك ودخلا عليه ، وقربك وأدناك وولاك علي القلوب ، وجعلك طبيبا لها .. فحينئذ تلتفت إلى الخلق والدنيا ، فيكون التفاتك إليهم نعمة فى حقهم ، وأخذك الدنيا من أيديهم وردها إلى فقرائهم ، واستيفاؤك لقسمك منها عبادة وطاعة .. ومن أخذ الدنيا على هذه الصفة ، لاتضره بل يسلم منها ، ويصفو له أقسامه من نتن كدرها ..

* الحق عز وجل كتب فى قلوب المؤمنين الإيمان ، قبل أن يخلقهم . هذه سابقة ولايجوز الوقوف مع السـابقة ، والاتكال عليـها .. بل يجتـهد ويتـعرف ويبذل المجهود ، ويجتهد فى تحصيل الإيمان ، ويتـعرض لنفحات الحق عز وجل، ويلازم الوقوف على بابه . فقلوبنا تجتهد فى اكتساب الإيمان . فلعل الحق عز وجل يهبه لنا من غير كسب ولاتعب .

* أسـاس هذا الأمـر : الإسـلام ثم الإيمان ثم العـمل بكتـاب الله عـز وجل وشريعة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ثم الإخلاص فى العمل ، مع توحيد القلب عند كمال الإيمان .. المؤمن مازال يجاهد نفسه والخلق كلهم فى جنب الحق عـز وجل حتى هداه إلى سبيله . كن زاهدا فى الأشـيـاء وقد رضيت بتدبيـره، يقلبك فى يد قدره ، فإذا وافقتـه نقلك إلى قـدرته ، وطوبى لمن وافق القـدر ، وانتظر فعل المقدر ، وعمل بالقدر ، وسار مع المقدر ، ولم يكفر نعمـة الأقـدار .. إذا وصل قلب العبد إلى ربه عز وجل ، أغناه عن

الخلق ، يقربه ويمكنه ويملكه ويقول له : إنك اليوم لدينا مكين أمين ، يستخلفه فى ملكه ، كما استخلف صاحب مصر يوسف عليه السلام .

* اقصدوا بقلوبكم باب الحق عز وجل ، وصافحوه واعتذروا إليه .. الخلق كلهم آلة ، والله عز وجل الصانع لها والمتصرف فيها ، فمن رأى هذا ، تخلص من التقيد بالآلة ، ورأى المتصرف فيها .. الأعمال لها أرواح وهى الإخلاص .. مت عن الكلام ، فإن الحق عز وجل إذا أرادك لأمر ، هيأك له، إذا شاء أنشرك وأهلك وأثبتك ، يكون هو المظهر لا أنت « سلم نفسك وكلامك وجميع أحوالك إلى قدرته ، واشتغل بالعمل له .. كن عملا بلا كلام، إخلاصا بلا رياء ، توحيدا بلا شرك ، خمولا بلا ذكر ، خلوة بلا جلوة ، باطنا بلا ظاهر .

* إذا أردت أن يكون لك خاطر صحيح ، فنور قلبك بمعرفة الله عز وجل ، ولاتسكن إلى خاطرك حتى تصبح المعرفة يقينية ، ذلك من الخير والغنى . غض بصرك عن المحارم ، وامسك نفسك عن الشهوات ، وعود نفسك أكل الحلال ، واحفظ باطنك بالمراقبة لله عز وجل ، وظاهرك باتباع السنة .. هنا يصير لك خاطر صحيح مصيب ، وتصح لك المعرفة بالله عز وجل .

* لانجاة لك حتى تؤثر ربك على غيره ، تؤثر دينك على شهواتك ، وآخرتك على دنياك ، وخالقك على خلقك .. عليك بخويصة نفسك حتى تقهرها وتذلها وتستأسرها وتجعلها مطيتك ، فتقطع بها فيافى الدنيا حتى تصل إلى الآخرة ، تقطع بها الخلق ، حتى تصل إلى الخالق .. اضرب نفسك بسوط الجوع والمنع من الشهوات واللذات ، واضرب قلبك بسوط الخوف والمراقبة ، واجعل الاستغفار دأب نفسك وقلبك وسرك ، فإن لكل منهم ذنبا يخصه.

انظر بعين قلبك ويقينك إلى ماينتظرك من خير فى الآخرة ، وأنت صابر فى الدنيا على البلاء والآفات .

* من أحب القوة فى دين الله ، فليتوكل على الله عز وجل ، لأن التوكل يصحح القلب ويقويه ويهديه ، ويريه العجائب .. لاتتكل على درهمك ولادينارك وأسبابك ، فإن ذلك يعجزك ويضعفك ، وتوكل على الله عز وجل، فإنه يقويك ويلطف بك .. لاتبالى بإقبال الدنيا وإدبارها ، وإقبال الخلق وإدبارهم ، تكن أقوى الناس .. وإذا توكلت على مالك وجاهك وأهلك وأسبابك ، فقد تعرضت لمقت الله عز وجل ، ولزوال هذه الأشياء ، لأنه غيور لايحب أن يرى فى قلبك غيْره .

* حدث الخلق بما يعقلون ، وتصدق عليهم بالمداراة .. اعط الخلق من عطاء ربك عز وجل ، تكرم عليهم بشىء من كرامته لك . ترفق بهم وألن جانبك لهم ، يصير خلقك من خلق الله عز وجل ، وفعلك من أمره .. المتقون يتقون الله عز وجل فى جميع أعمالهم ، ويدارون الخلق ، يحدثونهم بما يعقلون بقلوبهم بخلق حسن ، بخلق الكتاب والسنة ، ويأمرونهم بما فيهما ، فإن قبلوا شكروهم على ذلك ، وإن خرجوا منها ، فلا يبقى بينه وبينهم صداقة ولامحاباة .

* بابان لابد لك من الدخول فيهما ، باب الخلق وباب الخالق ، باب الدنيا وباب الآخرة ، أحدهما تبع الآخر .. باب الخلق أولا ، وباب الحق عز وجل ثانيا .. ماترى الباب الآخر حتى تجوز من الباب الأول . اخرج بقلبك من الدنيا ، حتى تدخل إلى الآخرة ، اخرج من الخلق حتى تعرف الحق عز وجل.. هذه الأشياء أضداد ، فلا تطلب الجمع بينهما ، فرِّغ قلبك الذى هو بيت الحق عز وجل ، لاتدع فيه غيره .. اجعل نفسك مع الدنيا ، وقلبك مع الآخرة ، وسرك مع المولى عز وجل .

* لاعبرة بعلمك من غير عمل ، ولاعبرة بعملك من غير إخلاص ، لأنه جسد بلا روح .. علامة إخلاصك : أنت لاتلتفت إلي حمد الخلق ، ولا إلى ذمهم، ولاتطمع فيما فى أيديهم ، بل تعطى الربوبية حقها ، تعمل للمنعم لا للنعمة ، للمالك لا للملك ، للحق لا للباطل .

* إنما يتسلط الخراب على الأبنية والمبانى بالمعاصى ، لأن المعاصى تخرب البلاد وتهلك العباد .. وهكذا أنت جسمك بنيتك ، إذا عصيت فيها جاءها الخراب .. ياقوم اتبعوا ولاتبتدعوا ، وافقوا ولاتخالفوا ، أطيعوا ولاتعصوا ، أخلصوا ولاتشركوا ، وحدوا الحق عز وجل ولاتبرحوا عن بابه، سلوه ولاتسألوا غيره ، توكلوا عليه ولاتتكلوا على غيره ، سلموا نفوسكم إليه ، وارضوا بتدبيره فيكم ، واشتغلوا بذكره دون مسئلته .. «من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» .. «أنا جليس من ذكرنى» .. «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى» أما ترضى من عطائه أن يكون جليسا لك؟

* توصل إلى رضا الحق عز وجل عنك ، فإنه إذا رضى عنك أحبك .. نح هم الرزق عن قلبك ، وقد جاءك الرزق من الله ، من غير تعب منك ولاعناء.. نح الهموم عن قلبك ، واجعلها هما واحد وهو الحق تعالى .. فإذا فعلت ذلك ، كفاك الهموم كلها .. همك ما أهمك .. فإن كان همك الخلق ، فأنت معهم ، وإن كان همك الدنيا ، فأنت معها ، وإن كان همك الآخرة ، فأنت معها ، وإن كان همك الحق عز وجل ، فأنت معه دنيا وآخرة .

وبهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية المطاف فى عرض ذلك النموذج الفريد من تراث التصوف .داعين المولى عزَّ وجل أن يتقبل منا صالح أعمالنا ، ويعفو عن سيئاتنا ، ويوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه .

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (فاطر : ١٠).

الخـاتمة

ندعـو الله أن تكون خاتمة خيـر وبركـة إن شـاء الله ، فـقد طفنا فى رياض الصالحين ، واقتطفنا ثمرات من خواطر العارفين ، فى بهجة الإشراق الروحى العالى ، والبصيرة النفاذة المضيئة ، حول التصوف الإسلامى .

وقـد أمتـعنا بحق أسـتـاذنا الفاضـل الولي العـارف بالله د. حسن عبـاس زكى، بذلك الحصـاد الذى جمـعـه فى جولاتـه فى عـالم الملك والملكوت ، في محاولة منه إلى دعوة الناس إلى مايحييهم ، بعد أن أماتتهم المادية الطاغية، وذلك بعرض مذاقات الصوفيـة المستنيرة ، لإحياء القلوب ، وإخراجها من ظلمـات المادة والأهواء والشـهوات ، إلى أنوار الحق المبين ، واتباع نهج النبى الأمين . وتلك القضيـة كانت الشغل الشاغل الذى شغل الدكتور حسن طوال عمره، وكانت محور جهاده في دعوته إلى الله ، وهى استعلاء القلب ، ليكون أهلا لتلقى أنوار الحق .. فـإن القلب الراكد تحت طغـيـان المادة ، يؤدى إلى ضلال الإنسـان وغوايتـه ، لأنـه سيكون غـارقـا فى ظلمات الماديـة ، يئن تحت وطأتهـا ، ويعـانى آلاما مـتنوعـة ، تفرضـهـا عليـه مطارق العـقل التـائه فى فلسفات عقيمة.

لذلك فقد بذل عالمنا الولى التقى ، عصارة جهده ووقته وكل مايملك ، فى حرم التـصـوف ، لأنه على يقين تام ، أنـه فى هذا الحـرم يعـيش أوليـاء الله، الذين أوردهم الله موارد الكرامات . واختصـهم بمزيد عنايته ، وجعلهم أهلا لوراثة الأسرار المقتبسة من أنوار النبوة المحمدية ، وكل ولى يعكس من تلك الأنوار على حسب قربه من الرحمن .. وهكذا فإن الاهتمام بهؤلاء الأوليـاء ، وتتبع خطاهم وجهادهم على طريق الحق ، يعتبر ضرورة حياتية لكل من أراد العروج بقلبه في مدارج الهدى ، فقد جعلهم الله نجوما يهتدى بها السـائرون إليـه ، فهم حملة الأمانة ، المتبعون لنهج المصطفى الحبيب ، المجاهدون على

درب الصراط المستقيم ، حتى صفت قلوبهم ، وتزكت نفوسهم ، وانجلت مرايا قلوبهم بما حفلت من تقوى الله ، فأصبحت تعكس حقائق الأحدية وأنوار الألوهية .

ولقد بذل الدكتور حسن جهدا لايستهان به خلال رحلة عمره فى الدفاع عن التصوف ، وإظهار صورتة الوضاءة المشرقة ، فى محاولة جادة منه لإشراق القلوب بنور النبوة ، واستعلائها على تيارات المادية التى تؤدى بها إلى التدنى فى عالم المادة بدل متابعة الترقى فى مدارج النور .

وقد شهد الكثيرون لعالمنا الفاضل د. حسن عباس زكى جهاده المشرف ، وسعيه الدءوب فى ذلك الميدان المقدس .. ومن هؤلاء ننقل شهادة الشيخ محمد زكى إبراهيم رحمه الله ورضى عنه وأرضاه حيث قال:

إن السيد العارف المحقق الأستاذ حسن عباس زكى من العلماء الأعلياء، الذين يجمعون بين الثقافتين ، ويتابعون حركة الفكر العالمى ، وتطور أساليب الفهم والإفهام ، والإقناع والاقتناع ، والبحث المقارن الموزون ، والذين يقدرون خطورة الإشارة ، ومسئولية العبارة ، والذين لايتهمون فى مذهب ولاتفكير .. ولذلك فحين يتحدث هؤلاء ، وخاصة فى بحث كالتصوف ، فقد وجب أن يؤخذ عنهم وأن يقتدى بهم ، وأن تخرس ألسن تعارض أقوالهم ، أو تتعقب أحكامهم .. فالتصوف الإسلامى النقى فى رأينا : هو علم فقه المعرفة .. وإن الصوفي المسلم المستنير هو : الفقيه بهذا العلم ، العامل بمقتضاه ، سواء أكان فيما بينه وبين ربه ، أو بينه وبين نفسه ، أو بينه وبين الناس .. إذ التصوف الحق هو الإنسانية المتسامية ، فهو أخطر مقومات حياة الحضارة والعمران فى الإسلام .

من هذا المنطلق ، ومن منبع الحب الفياض لله ورسوله ، وبالتالى الحب للبشرية جمعاء، فإن عالمنا التقى الورع د. حسن أحب التصوف من سويداء فؤاده ، لأنه وجد فيه مبتغاه وهواه ، وبالتالى بذل الغالى والنفيس فى سبيل

تجلية كل ادعاءات تشوه وجهه المشرق الوضاء ، أو تدنس رحابه الطاهرة .. فالتصوف هو صفاء النفس ونورانية القلب وانطلاقة الروح ، وذلك كله بعد مجاهدة طويلة وشاقة يخوضها السالكون على طريق الحق .

فإلى كل من تتشوق نفسه إلى معراج الهدى والأنوار .. وإلى كل من تهفو روحه إلى صحبة الأخيار أهل العرفان .. نقدم هذا الكتاب ، ليكون نبراسا على طريق الرشاد ، داعين المولى عز وجل أن يذيقه من تلك المذاقات العالية ، وينعم عليه بالأنوار الباهرة ، ويصفيه من أكدار البشرية بما يتجلى له من حقائق الأحدية .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وكل من اتبع نهجه واقتدى بهداه إلى يوم الدين .